من الشرق والغرب

أفريقيا تتكلم

بقلم

جيمس دفي روبرت ا. مانرز

ترجمة

عبد الرحمن صالح

مراجعة

الدكتور ابراهيم جمعة

مقدمة

هذا الكتاب ، الذى يمثل حلقة جديدة من جهود « الدار القومية للطباعة والنشر » فى الميدان الافريقى، لا يكتفى بأن يلقى أضواء على حاضر افريقيا وحسب وانما هو يشير الى معالم الطريق الذى سوف تسلكه دول هذه القارة المناضلة وشعوبها فى المستقبل القريب .

وهو يتميز بالواقعية ولا يخلو من الاحلام وفى الوقت الذى نرى فيه ملامح الوطنية الافريقية الأصيلة مرسومة بأقلام « باتريس لومومبا » و « سيكوتورى » .. و « نكروما » و « توم مبويا » و « جوشيا انكومو » نلتمس فيه ايضا محاولات « المعتدلين » الذين ارتبطت مصالحهم بهذه القارة ولم يكن أمامهم الا أن يسايروا التيار الدافق ، من امثال « المستر بلوندل » و « الكابتن جلفاو » ..

والطائفة الاولى من الزعماء الافريقيين الذين انصهرت شخصياتهم فى بوتقة الجهاد من أجل التحرير الافريقى وخرجت من تلك البوتقة وقد انطبعت بالأفكار العملية والمثل العليا التى عبرت عنها دول افريقية من شعوبها فى قرارات مؤتمراتها التاريخية التى بدأت بمؤتمر أكرا للدول الافريقية المستقلة عام ١٩٥٨ .

ومن ذلك التاريخ الى مؤتمر القاهرة للشعوب الافريقية عام ١٩٦١ والى الدورة الثانية لمؤتمر كازابلانكا فى يونيو من هذا العام لم تتغير جوهر القرارات واهداف الخطط التى رسمت لتحرير القارة وبناء هيكل افريقيا على أساس الوحدة الشاملة .

وقد ساهم الزعماء الافريقيون الذين بسطوا افكارهم فى هذا الكتاب ، وهم : لومومبا وسيكوتورى ونكروما ومبويا وانكومو وشيومى ساهموا فى المؤتمرات التى ابرزت معالم الشخصية الافريقية وحددت لها مكانها فى العالم الحديث ، ووقفوا منذ المؤتمر الاول صفا واحدا يبشرون بما آمنو به سواء بين شعوبهم ، أو فى المجال العالمى الفسيح.

والذى يقرأ افكارهم فى هذا الكتاب لا يخطىء نفس مبادىء السياسة ، الداخلية والخارجية التى أعلنها « جمال عبدالناصر » فى خطبه وبياناته والتى جمع شملها فى « الميثاق الوطنى »

ومبادىء الديموقراطية النابعة من الواقع الافريقي ، القائمة على « الكفاية والعدل » ثم مبادىء « الحياد الايجابى » والتعايش السلمى وعدم الانحياز .

وقد تولى هؤلاء الزعماء الرد ، فى هذا الكتاب ، على الكثير من المزاعم التى صاغها عملاء الاستعمار لتشـــويه الوطنية الافريقية والحط من قدرها ومحاولة ربطها بعجلة « الديموقراطية الغربية » بل محاولة تأجيل اليوم المحتوم ، يوم التحرر الكامل والاستقلال الناجز ...

لقد أكد زعماء القارة ، على هذه الصـفحات ان الاسـتقلال هو مفتاح التقدم الاقتصادى والارتقاء الاجتماعى بل ان هذا الارتقاء وذلك التقدم مستحيلان بغير التحرر السياسى ، وأوضحوا ان تحكم الشعب فى مصيره يطلق امكانياته من عقالها فيقفز فى ســنوات مقدار ماكان يزحف اليه فى قرون أيام الاستعمار ...

وأكدوا على لسان نكروما أن افريقيـا ليست امتدادا لأوربا ... وعلى لسان « سيكوتورى » : اننا واثقون تماما من انفسنا ، مؤمنون بالمستقبل ، معتقدون اننا سنقف ضد سـوء النية والحقد والارادة الشريرة ... واننا من الجيل الافريقى الذى يمد يد الاخاء والصداقة الى كل الشـعوب لنعمل معا على تحقيق السـعادة للجنس البشرى ، والاستخدام الكامل لكل فضائله ، بالاستعانة بالمصادر الاقتصـادية والامكانيات الاجتماعية والثقافية للجميع .

والجانب الآخر من الكتـاب الذى يعرض أفكار بعض السـاسة الطارئين على القارة الافريقية يكمل لنا صـورة التيارات السـياسية الجـارية فى الحقل الافريقى فان السـيد « بلوندل » وهو من قـادة المستوطنين الاوربيين فى كينيا ، ومن الداعين للاعتـدال و « التطـور البطىء » يحدثنا عن تعجل الافريقيين نحـو « الحكم الذاتى » ويقـول ان هذا يفرض قيدا على شعب بريطانيا العظمى يعـوق برنامجه الذى رســمه لتحقيق استقلال كينيا الذى قد يسبب له المتاعب حينما يبدو انه يسير فى اتجاه يخالف مبـداه الخاص (أى مبدأ الشـعب البريطانى) عن الديموقراطية ...

ويمضى فى محاولة لاقناع القارىء بضرورة نقل صورة «كربونية» من البرلمان البريطانى الى نيروبى ...

ونجد الرد على هذه الدعوة فىمقال « توم مبويا » ومقال «نيريرى» اللذين بسطا فى وضوح وبراعة مفهوم الديموقراطية المستمد من الواقع الافريقى وأكدا أن هذا المفهوم وحده هو الذى يصلح لقارتنا ...

اما السيد « جالفاو » وهو القبطان الذى اثار انتباه العالم فى السنة الماضية باعتراضه السفينة البرتغالية « سانتاماريا » ومحاولة اختطافها اذلالا للرئيس البرتغالى « سالازار » فهو يتحـدث أيضـا كاستعمارى عريق يود أن يسـاير « روح التغير » فيدعو الى تطوير المستعمرات البرتغالية نحو الحكم الذاتى . ثم ضمها الى البرتغال فى « اتحاد فدرالى أو كونفدرالى » ..

وفى الوقت الذى يهاجم فيه « دكتاتورية سالازار » نراه يشيد بسياسة « الادماج » البرتغالية التى كانت بداية تكوين طبقة ممتازة من الزنوج وبداية استعدادها للتدخل فى الحياة السياسية والادارية كبرتغاليين ... لا تعترض طريقهم فروق قانونية أو أدبية .. ثم نزعم ، فى صراحة ، أن « هذه صورة المستقبل الخالى من مشكلات التفرقة العنصرية .. »

والرد على هذه التصورات البالية فى متناول كل قارىء افريقى وقد تجسم هذا الرد حتى صار شعارا لكل مناضل فى هذه القارة ، ألا وهو : افريقيا للافريقيين ..

محمد عبد العزيز اسحق

الفصل الاول

استقلال افريقية

فى نهاية الحرب العالمية الثانية لم تكن توجد غير ثلاث فقط من الدول الافريقية المستقلة من جنوبى الصحراء .. هذه الدول هى « ليبريا واتيوبيا واتحاد جنوبى أفريقية » ، وفى نهاية سنة ١٩٦٠ لم يكن قد بقى دون استقلال أو دون سير فى الطريق نحو الحكم الذاتى غير المستعمرات البرتغالية « غينيا وأنجولا وموزنبيق » والممتلكات الاسبانية الصغيرة ، والمحميات البريطانية : سوازيلاند وباسوتولاند وبتشوانالاند . وباستثناء اتحاد جنوبى أفريقيا واتحاد وسط افريقيا فان كل دولة افريقية جديدة تدار الآن أو سوف تدار مستقبلا بوساطة ابنائها الافريقيين ومن المحتمل خلال السنوات العشر القادمة أن تكون القارة التى يربى عدد سكانها على مائتى مليون نسمة قد تخلصت كلها من آخر آثار سيطرة البعض السياسية . وتبدو افريقية فى نظر كثير من رجال السياسة والصحفيين ، قارة تتأجج بالنيران التى تغذيها آمال الافريقيين فى الحرية والاستقلال .

والقسم الأول من هذا الكتاب يعرض آراء أربعة من القادة الافريقيين الذين يهتمون بمصير افريقية كقارة مستقلة .

اول هؤلاء الأربعة هو « توم مبويا » عضو المجلس التشريعى بكينيا والسكرتير العام لاتحاد العمال الكينيين وهو من أبرز الشخصيات الافريقية التى تلعب دورا بارزا فى سياسة كينيا .

والشخصية الثانية هى « جوليوس نيريرى » رئيس وزراء تنجانيقا ورئيس اتحاد تانجانيقا (١) الافريقى الوطنى .

والشخصية الثالثة هى : سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا . وعنوان المقال الذى كتبه سيكوتورى مأخوذ من خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى الخامس من نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

والشخصية الرابعة والاخيرة هى كوامى نكروما رئيس جمهورية غانا ، ومقاله مأخوذ عن خطبة له القاها فى السابع من ابريل سنة ١٩٦٠ امام مؤتمر العمل الايجابى من اجل السلام والامن .

وهؤلاء الرجال الاربعة يعتبرون امثلة للقادة الافريقيين الجدد وما يتصفون به من تصميم وعزم .

---

(١) لم يعد جوليوس نيريرى رئيسا لوزراء تنجانيقا بعد أن قدم استقالته .

حلم افريقية

بقلم توم مبويا

تجتاح افريقيا كلها اليوم فكرة دافعة واحدة ، هي فكرة النضال فى سبيل الحرية السياسية ، وربما كان عام ١٩٦٠ أهم الأعوام فى تاريخ افريقيا فيما يتعلق بهذا النضال ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية شاهدنا ميلاد أمم حديثة فى آسيا وغيرها ، من بينها أمم سبع فى القارة الافريقية .. وفى عام ١٩٦٠ وعدت أربع أمم أخرى بالاستقلال وهى :

الكاميرون فى أول يناير ، وتوجولاند فى ابريل ، والصومال فى يوليو ، ونيجيريا فى أكتوبر (١) ولسوف يخطو عدد آخر من الدول خطوات حاسمة فى سبيل الاستقلال ، كالكونجو وروواندا أوراندى ، وتانجانيقا ، وأوغندا وسيراليون ..(٢) وهناك احتمال ان تلحق كينيا ونياسالاند بهذه المجموعة الأخيرة ، ومن المحتمل أن تحصل الجزائر على استقلالها بالاضافة الى جمهوريات المجموعة الفرنسية التى اقترعت فى مصلحة الاستقلال التام . وبذلك فان عام ١٩٦٠ يبدو وكأنه عام افريقيا .. وفيه تدخل افريقيا أيضا مرحلة جديدة من مراحل تقدمها واليوم يطغى الجهاد فى سبيل الحرية على كل المشكلات الأخرى . وكما قال « دكتور نكروما ذات مرة » احصل على حريتك السياسية أولا ، لتجد باقى الاشياء تنهال عليك بعد ذلك . ومن المحتمل أن تبقى المعركة ضد الاستعمار والاضطهاد العنصرى مستمرة عشر سنوات أخرى فى كل من جنوبى أفريقيا وجنوب غرب افريقيا ، والأقاليم البرتغالية والأسبانية فضلا عن جزء من اتحاد وسط افريقيا .

وظهور الأمم الحديثة الطارىء فى أفريقيا ينتج عنه هذا الصراع الجديد الذى تجب معاناته ، اذا ارادت افريقيا الجديدة هذه أن تكون حرة وفخورة وقادرة على المساهمة البناءة فى اقتحام الاخطار الكثيرة التى تقابل الجنس البشرى . وبعد الحصول على الحرية والاستقلال . تواجه الأمم الحديثة عملية التوفيق بين الحرية والاستقلال ، وعملية خلق الوحدة والتجانس بين الدول الافريقية الحرة ، وكذلك عملية اعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى للقارة .

وطالما وضع النضال السياسى فى الاعتبار ، فهناك بعض النقاط القليلة التى يجب على الأجانب بصفة خاصة أن يفهموها ، فبسبب أن افريقيا كانت موزعة بين قوى استعمارية مختلفة ، فان الاجزاء المختلفة

---

(١) حصلت تلك الدول على استقلالها فعلا فى المواعيد المقررة

(٢) حصلت كل من الكونجو وتنجانيقا وسيراليون على استقلالها

من افريقيا سوف تتطور فى آفاق سياسـية متباينة ، ونتيجة ذلك ، تتخذ التقدم السياسى اشكالا مختلفة .. فمثلا حينما نجد أن أساس السياسة الاستعمارية فى المناطق الفرنسية ، والى حدما فى الكونجو البلجيكى ، هو الارتباط بالمجموعة الفرنسية او البلجيكية ، مع منح حق المواطنة للاهالى فيما وراء البحار . نجد ان هذا الاساس فى المستعمرات البريطانية يتمثل فى احق المطلق فى الاستقلال ، داخل نطاق الكومنولث وهذه السياسات سوف تنعكس على التطور الاجتماعى والاقتصادى للدول الافريقية والواقع أن فرنسا قد استثمرت أموالا فى مستعمراتها اكثر نسبيا مما استثمرته بريطانيا .. كما أن تطور الاتحادات المهنية فى المناطق الفرنسية كان قائما على التضامن الوثيق بينها وبين الحركات المماثلة فى فرنسا . على حين نجد أن هذه الاتحادات فى المناطق البريطانية مستقلة عن مثيلاتها فى بريطانيا . وفى المناطق البرتغالية تعتبر نظرية الاندماج هى أساس السياسة المتبعة نحو المستعمرات .. وبذلك فان قليلا من الوطنيين فى موزمبيق وأنجولا قد قبلوا كمواطنين برتغاليين، فى حين نجد الغالبية العظمى ليس لها من حقوق حتى مجرد حق الحرية فى التجمع والتكتل . ويبدو أنهم لن يصبحوا سوى مجرد مصدر من مصادر الأيدى العاملة الرخيصة المستعبدة .. والاندماج متوقف على التعليم والتقدم الثقافى ، وهو أمر تقيده الحكومة بشدة بمساعدة الكنائس .

وبالاضافة الى هذا التباين فى السياسات الاستعمارية ، فهنالك مشكلات ناجمة عن الوسائل المختلفة التى تتبعها السلطات الاستعمارية بالنسبة لمستعمراتها المختلفة . فمثلا بينما اعترفت فرنسا بالاستقلال التام لتونس ومراكش ، فانها انكرت الحق نفسه بالنسبة للجزائر المجاورة . وبالمثل ، حينما قبلت بريطانيا مبدأ الاستقلال القائم على الحماية الدولية بالنسبة لبعض المستعمرات ، مثل نيجريا والصومال وغانا وأوغندا .. الخ ، نجدها ترفض قبول الوضع نفسه فيما يختص بكينيا وروديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند حيث توجد المشكلة العنصرية ، وحيث يعتبر مركز الأفريقى أقل من مستوى المستوطنين ويتبقى بعد ذلك جنوبى افريقيا .

والنضال الافريقى فى سبيل الاستقلال السياسى مستمر وهو يستجمع قواه ليندفع الى الأمام .. وتود أفريقيا أن تكون وجهات نظر شعوبها مفهومة ، وهى لاتريد بعد ذلك أن يشار اليها على أنها فرنسية أو بريطانية أو بلجيكية أو برتغالية . فافريقيا يجب أن تخلق وان تتحقق شخصيتها ، وأن يتاح لها أن تعبر عن نفسها . وهى لا تستطيع أن تظل انعكاسا لأوربا ، ولن تسمح لنفسها بعد ذلك أن يتحدث باسمها او يشرح وجهة نظرها من ينتدب نفسه لذلك دون ارادتها .

هذا الايمان هو الذى دفع قادتها وزعماء الحركات العمالية فيها الى عقد مؤتمرين فى « اكرا » فى ابريل وديسمبر سنة ١٩٥٨ .

فمؤتمر الدول الأفريقية المستقلة كان دلالة على ميلاد الشخصية الافريقية .. وقد وافق ممثلو الدول الافريقية الذين تقابلوا فى «أكرا»

فى ابريل سنة ١٩٥٨ على أنه من الضرورى أن يكون صوتها مسموعا فى كل المجالس التى تتناول الشئون الدولية .. ولتحقيق هذا الفرض ، انشئوا منظمة الدول الافريقية التى أصبحت تدلى برأيها الآن فى كل المسائل المتعلقة بافريقيا مما يعرض أمام الامم المتحدة . وهذا الرأى يمثل الارادة المتحدة لكل الافريقيين فى مثل هذه المسائل .

ويعادل هذا فى الاهمية ، القرار الذى اتخذوه بأن تحرير أفريقيا كلها هو مهمة كل الافريقيين .

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، اجتمع ممثلو الشعوب الافريقية من جميع انحاء القارة فى مؤتمر الشعوب الافريقية فى غانا .. وكان هذا المؤتمر ايذانا بميلاد الرابطة الافريقيه وفيه وافق كل المندوبين بالاجماع — ممثلين بذلك الاحزاب السياسية والمنظمات الوطنية واتحادات العمال والهيئات المختلفة فى كل أجزاء أفريقيا — على العمل معا فى تضافر تام لتحرير افريقيا كلها .

وبذلك كان طابع المؤتمرين روح الاتحاد القائم على المبادىء والمثل العليا التى نسعى الى تحقيق الهدف المشترك وهو استقلال القارة بأسرها .. ولقد كان هناك اتفاق على أن استقلال اى جزء من افريقيا يعتبر ناقصا، ولا معنى له، الا اذا اقترن بالاستقلال الكامل لكل الاجزاء.

وحادث هام آخر وقع سنة ١٩٥٨ هو انشاء اللجنة الاقتصادية لافريقيا التابعة للامم المتحدة فى اديس أبابا فى اثيوبيا .. ولقد دل هذا على ان هيئة الامم المتحدة على علم بالمكانه الشرعية التى تحتلها افريقيا ، والدور الهام الذى تقوم به فى الناحية الاقتصادية والاجتماعية فى العالم وكان هذا تقدما كبيرا وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار مشكلات اعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى اللذين يعقبان كل استقلال .

وهناك من يصرح بشكواه من ان افريقيا تتحرك بسرعة كبيرة، وان التقدم السياسى يجب أن يوائم أو يتبع التقدم الاقتصادى أو الثقافى .. ومثل هذا الشخص الذى يشكو ، لايسىء فقط الى تقدير اثر تقدم القرن العشرين على كل الدول المتخلفة بالعالم ، ولكنه يفشل أيضا فى تقدير آمال شعوب هذه المناطق وتقدير الأخطار الكامنة فى معارضة حركتهم التقدمية بالقوة . وفى هذا الشأن يصعب فهم الاتجاه الواضح لبعض القوى العالمية الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة والمرتبطة باعلان حقوق الانسان ، حين نجد شعوبها وقد حملت على الاعتقاد بأن الحكم الاستعمارى والسيطرة الأوربية تؤدى وظائف البعثات التبشيرية نفسها من أجل تحقيق الديموقراطية والمدنية ، والمساعدة على تثقيف الشعوب البدائية واعدادها ليوم الاستقلال .. وهذا الفرض الزائف استخدمته السلطات الاستعمارية فى اغلب الاحيان لتسويغ وجودها . وعلى كل حال ، فان الحقيقة القائلة بأن القوى الاستعمارية قد أسلمت سلطاتها للمواطنين ، بعد أن نظم كل بلد شعبه فى قوة فعالة تمنع القوى الاستعمارية من أن تحكم بسهولة ، هذه الحقيقة تتعارض مع أية نظرية تقول بأن الحرية تعطى حين يصبح الشعب مستعدا لها .

وكثيرا ما طلب من أفريقيا أن تؤمن بالديموقراطية وحقوق الانسان والمثل العليا المسيحية . ولكن خيانة المبادىء السامية عندما يحدث صدام مع المصالح القومية أو غيرها ، جعلت افريقيا تشك فى اخلاص المدافعين عن هذه المبادىء وشرفهم .

ولنضرب مثلا ببلدى « كينيا » .. فقبل وقوع حوادث «الماوماو» كان القليلون هم الذين سمعوا عن كينيا .. وحتى اليوم ، ما زال عدد قليل يفهمون مشكلاتنا الرئيسية ، ومعظم هذه المشكلات من صنع الاستعمار البريطانى ..

فمن الناحية السياسية عملت الحكومة البريطانية ، عن طريق مكتبها الاستعمارى فى كينيا ، على أن يسيطر المستوطنون على كل مرافق الحياة واليوم يمثل ٦٠ ألف أوربى عدد من النواب « ١٤ ممثلا » يساوى العدد نفسه الذى يمثل ستة ملايين من الافريقيين هم عدد سكان كينيا .. وعلى الرغم من أن الأوربيين منذ سنة ١٩٢٣ قد أدلوا بأصواتهم على أساس التصويت العام ، فان الافريقيين مقيدون بقاعدة مزدوجة للتصويت .. وهذه القاعدة لا تطبق على البيض والهنود ، فى كينيا فقط بل انها لا تطبق حتى على الافريقيين فى الاراضى البريطانية المجاورة وبذلك فان الافريقى لا يحق له الاشتراك فى التصويت الا اذا بلغ دخله السنوى ٣٣٦ جنيها ، ولا يحق له الادلاء بأكثر من صوتين اضافيين هذا اذا استوفى شروطا أخرى معينة ، على حين نجد أنه فى أوغندا ، يكفى أن يكون الافريقى متعلما على مستوى لهجته المحلية ليدلى بصوته ، ولكن ليس له حق التصويت مرتين .. ومن جهة أخرى نجد أن « شرط الدخل » للافريقى يرتفع فى تانجانيقا الى ٤٢٠ جنيها سنويا ، والى ٢١٠٠ جنيه فى الروديستين . وهذه الشروط قد أدت الى اقناع الافريقيين فى كينيا وغيرها بأنهم قد وقعوا فريسة للغش وأن حقهم فى التصويت قد سلب منهم .

ومن الناحية الاقتصادية ، نجد انه قد فرضت قيود على الافريقيين تجعل من المستحيل عليهم أن ينافسوا الاوروبيين والهنود .. كما حرم الأفريقى التسهيلات الائتمانية ؛ وقيدت لوائح التراخيص حريته فى التجارة .. وفيما يختص بالزراعة نجد انه من المحرم على الافريقى انتاج المحصولات النقدية ، كما حجز جزء كبير من أجود أراضى البلاد للمستوطنين البيض ، ونجم عن ذلك أن أصبح عدد من الافريقيين يتردد بين ٨٠٠ و ١١٠٠ شخص متكدسين فى الميل المربع الواحد . مقابل أوربى واحد يملك آلاف الفدادين فى الضواحى المجاورة .

وبالنسبة للعمل ، فان فرصه وشروطه قد اصبحت ضد الافريقيين .

وفى أواخر سنة ١٩٥٩ نشرت حكومة كينيا اقتراحات تهدف الى انهاء تخصيص أراضى المرتفعات فى كينيا للمستوطنين الأوربيين . وعلى كل حال فانه ما دامت الاقتراحات قائمة تماما على أساس برنامج للبيع والشراء الاختيارى ، فانهـا لا تستجيب لمطالب الافريقيين الذين ينادون بفتح المرتفعات لهم ، طبقا لبرنامج حكومى يشجع استيطانهم بها

ويمنع مزيدا من هجرة الاوربيين اليها . والافريقيون يحتجون بأنهم لم يعترفوا بأى حق للمستوطنين فى المطالبة باى جزء من كينيا . وبذلك فان أقل ما يتوقعونه من الحكومة هو أن تصدر برنامجا للاصلاح الزراعى ، يهدف الى التوزيع العادل للأرض . وأن تكون على علم بمظاهر الظلم الاقتصادى الموجودة فى الوقت الحالى .

ومن الناحية الاجتماعية فان التفرقة العنصرية ما زالت سائدة فى مناطق كثيرة خاصة فى ميدان الخدمات العامة كالمدارس والمستشفيات والتفرقة العنصرية فى المدارس موجهة فقط ضد الافريقيين . لأنهم يعتقدون جميعا أن المدارس تهيىء لاولادهم حياة أفضل وأسعد ، واستعدادا أكبر ليتحملوا بأنفسهم مسئولية الحكم الذاتى وبينما يوجد تعليم الزامى للأوروبيين ، فانه لا يوجد مثل هذا التعليم بالنسبة للافريقيين .وتنفق حكومة كينيا سنويا ٨٩٫٦ جنيها على تعليم الطفل الأوربى الواحد اما بالنسبة للطفل الافريقى الذى يحتاج الى التعليم أكثر من زميله الاوروبى بمراحل ، فلا تنفق أكثر من ١٤ جنيها سنويا . .

ويرتبط اسم كينيا فى اذهان كثير من الناس فى مختلف انحاء العالم بحالة الطوارىء التى اعلنتها الحكومة الاستعمارية من أجل « الماو ماو » .. وقد اعلنت هذه الحالة فى اكتوبر سنة ١٩٥٢، وانتهت فى يناير سنة ١٩٦٠ اى بعد أكثر من سبع سنوات .. وخلال هذه الفترة لم يكن للافريقيين أى حقوق مدنية أو سياسية على الاطلاق لقد اضطهدت كل المنظمات السياسية ، والقى بألوف المواطنين فى السجون واتخذت الحكومة كل وسائل العقاب الجماعية حتى عوقب كثير من الابرياء دون ذنب جنوه ، وحكم على الزعيم الأفريقى جومو كينياتا بالسجن سبع سنوات ، على ان ينفى بقية حياته بعد ذلك . .

وتبين بعد ذلك ان الحكومة قد دفعت خمسة آلاف جنيه الى « شهود الملك » فى المحاكمة ـ لاسباب مختلفة ، وكبتت تماما حرية الخطابة والصحافة والتجمع .

وتصر الحكومة على أن انتهاء حالة الطوارىء لا يعنى تخفيف الاجراءات السابقة التى اتخذتها بل وقامت بتحويل بعض هذه الاجراءات المهنية الى قانون دائم : فمثلا أصدرت الحكومة « قانون المحافظة على الأمن العام » الذى يسمح للحاكم بمنع او تقييد اقامة أو تحركات الاشخاص الذين يعتبرهم خطرين على الأمن العام .. كما اجاز القانون أيضا فرض الرقابة على عقد الاجتماعات العامة وتسجيل الاحزاب السياسية وبخاصة الافريقية منها .. والقانون الثانى وهو قانون « الأشخاص المعزولين والمعتقلين » ، الذى يمنح الحكومة الحق فى استمرار اعتقال الأشخاص المعتقلين حاليا حتى بعد انتهاء حالة الطوارىء ، وبذلك ظل جومو كينياتا وغيره من الزعماء الافريقيين معتقلين ، برغم أن بعضهم لم يقدم اصلا للمحاكمة ، وبعضهم الآخر حوكم وبرئت ساحته ، ثم ألقى القبض عليه للتهم نفسها التى برىء منها .

وقصة كينيا صورة طبق الاصل لقصة معظم المستعمرات التى يوجد فيها مستوطنون أوربيون بل انه لتوجد فى الحقيقة مواقف كثيرة ظلما

وانتهاكا للديمقراطية وحقوق الانســـان فى مســـتعمرات بريطـانية وبرتغالية أخرى بافريقيا :

ففى أواسط افريقيا فرضت الحكومة التى تسيطر على روديســيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند ، برغم معارضةالافريقيين الذين تبلغ نسبتهم الى الاوربيين نسبة (٢٠ : ١) وتعارض نياسالاند وروديسيا الشمالية ـ وهما محميتان ـ أى اتحاد مع روديسيا الجنوبية التى تسيطر على حكومتها فكرة التفرقة العنصرية ٠٠ ولكن هذه المعارضة لا تلقى أذنا صاغية ٠ والاصلاحات التى تمت منذ تحقق الاتحاد أثبتت أن الامر يسير نحو تطبيق سياسة التفرقة السائدة فى اتحاد جنوبى افريقيا . وفقدت بريطانيا السيطرة على الاتحاد ، ولابد للافريقيين من الدفاع عن أنفسهم .. والدليل على ذلك مقتل واحد وخمسين افريقيا بطلقات الرصـــاص سنة ١٩٥٩ فى نياســـالاند ، واعلان حالة الطوارىء بحجة اكتشـــاف مؤامرة لقتل البيض ،اتضح بعد ذلكلاحدى اللجان القضائية البريطانية أنها محض اختلاق وباعلان حالــة الطوارىء فى أوائل عام ١٩٥٩ حلت جميع منظمات الأفريقيين ، والقى القبض على قادتهم مثل دكتور باندا زعيم نياسالاند وكينيث كواندا زعيم حزب زامبيا بروديسيا الشمالية وعلى الرغم من انه قد اتضح للجنة « دفلن » أن المؤامرة التى زعمت الحـكومة أن حزب المؤتمر الأفريقى فى نياسالاند قد دبرها واعتقلت من اجلها الزعماء الأفريقيين ، وعلى رأسهم دكتور باندا هى محض اختلاق ، فان الحكومة البريطانية لم تضـــع حدا لحـــالة الطوارىء ، ولم تطلق سراح الزعماء المعتقلين . وقد حدث الموقف نفسه فى كينيا ، حيث قتل احد عشر معتقلا افريقيا نتيجة الضرب والتعذيب الذى انهال عليهم من سجانيهم البيض .. وبدلا من محاكمة هؤلاء السجانين المجرمين ، فقد طلب اليهم الاستقالة وأحيلوا الى المعاش .

ان سياسة الاضطهاد والتفرقة العنصرية المطبقة فى اتحاد جنوبى افريقيا هى المقترح تطبيقها فى اتحاد وسط أفريقيا . وفى جنوب افريقيا وصل الطغيان الى منتهاه ، فهناك يضطهد ثلاثة ملايين من البيض تسعة ملايين من الافريقيين ومليونين آخرين من أعضاء الأقليات الأخرى السيئى الحظ . وبالرغم من التاريخ المخزى الفاضح للتفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، لم تتخذ حكومات الغرب الديموقراطية أية خطوات لمساعدة ضحايا هذه التفرقة فى الاتحاد أو حتى فى جنوب غربى افريقيا حيث تعانى الملايين هناك بعد أن ضمتها حكومة الاتحاد اليها ناقضـــة بذلك اتفاقية الانتداب وميثاق الأمم المتحدة وقرار محكمة العدل الدولية .

ويبدو أن الجهود المبذولة فى الأمم المتحدة وخارجها لم تفلح فى التأثير على حكومة اتحاد جنوبى أفريقيـــا التى تملك فى الداخل قـــوة بوليسية تعتبر من اكثر مثيلاتها فى العالم تنظيما وكفاية وقســـوة . وبذلك فان التنظيم العادى للقوى الوطنية فى الداخل يعتبر فى حد ذاته عملا شديد الخطورة ان لم يكن ميئوسا منه تماما ..

وقد حددت اقامة الزعيم لوثولى مدة خمس ســـــنوات متواصلة بمقتضى قانون النظام العـــام . كما عانى مائة وخمسون شخصا متاعب

الطغيان سنة كاملة حين أجبروا طوالها على البقاء في المحكمة لمحاكمتهم في قضية خيانة لا نهاية لها .. وغارات البوليس وجرائم القتل التي يقوم بها في جنوب غرب افريقيا لا تعتبر الا مسائل داخلية .

وبهذه الحجة نفسها .. حجة « المسائل الداخلية » التي لا تدخل في اختصاص ميثاق الأمم المتحدة تركت البرتغال مدة طويلة تمضي بحرية في تطبيق أقسى وأعنف نظام استعماري في افريقيا . ففي المستعمرتين الصامدتين أنجولا وموزنبيق يطبق هناك نظام من العسف والجور يعتبر على الأقل معادلا في قسوته للنظام المطبق في اتحاد جنوبي افريقيا ، وذلك خلف ستار قانوني « بأن هذه الاراضي تتمتع بحكم ذاتي مثلها في ذلك مثل أقاليم البرتغال الأخرى » .. وفي هذه المستعمرات ما زال يوجد علانية نظام العمل الاجباري اي العبودية . واية معارضة تقمع في الحال بمنتهى القسوة عن طريق الضرب وشحن المعارضين في سفن ونقلهم الى « جزيرة الموت » ـ جزيرة سان تومي ـ التي لا يعودون منها الا نادرا .

وحتى في غربي أفريقيا حيث يضطرد الحكم الذاتي بنجاح نسبي نجد أن الاستعمار قد خلف هناك تركة مثقلة : فهناك الحدود السياسية غير الطبيعية التي لا تتلاءم مع الأقسام الجغرافية المنطقية أو التجمعات البشرية ، مما أدى الى اعاقة التقدم السياسي والاقتصادي للدول الافريقية الناشئة . ومن هذا مثلا ان تقسيم الكاميرون (الذي كان مستعمرة المانية) بعد الحرب العالمية الاولى بين فرنسا وانجلترا كان من العقبات الكبرى التي عقدت قضية الكاميرون حين عرضت على الامم المتحدة في مارس سنة ١٩٥٩ ، ونتج عن ذلك شعور بالمرارة نحو الغرب بين الدول الافريقية الاعضاء .

ان تكوين صورة عامة لأفريقيا حاليا أو مستقبلا أمر مستحيل ما لم يكن المرء مسلحا بمعرفة تاريخ افريقيا المستعمرة وتأثير الاستعمار عليها وآثاره فيها والمشكلات التي خلفها وراءه لتعاني منها افريقيا في مستقبلها .

وعلى الرغم من تأثير الاستعمار كعامل منشط للتقدم الاقتصادي في افريقيا ، فان الاستعمار كان دائما أكبر عقبة في سبيل تطور الشعوب .. ففي ظل الحكم الاستعماري نجد ان العناية بالتعليم والصحة والتدريب الفني وتطوير المجتمع الافريقي قليلة لا تكاد تذكر .

انتقسيم افريقيا واستخدام اقاليمها كمصادر للمواد الخام لاحداث القوى الاقتصادية الرئيسية لم يسمح بوضع خطة للتطور على مستوى القارة أو على المستوى الاقليمي وبدلا من ذلك فان التقسيمات الاستعمارية قد أدت الى معالجة أمور كل اقليم كأنه منعزل عن الاقاليم الأخرى .

ان الافريقيين مقتنعون ان الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لايمكن ان تعتبر بمعزل عن أوضاعها السياسية فالحكم الذاتي والاستقلال يتيح فرصا واسعة وامكانيات كبيرة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي ..

والحكم الذاتي لا يسمح الشعب فقط بوضع برامج النهوض باحتياجاته الخاصة التي يعرفها تماما فحسب ولكنه بالاضافه الى ذلك يمكنه من انشاء علاقات مع البلاد الاخرى على قدم المساواة ، وأن يتعاون تعاونا بناء من الناحية الاقتصادية مع غيره من البلاد . والتحرر الاقتصادي والاجتماعي الكامل مستحيل وجوده دون وجود التحرر السياسي . وفوق ذلك فان الشعب حين يحكم في مصيره فان امكانياته تنطلق من عقالها لتقوم بالعمل النساق الذى يتطلبه التطور الاقتصادي والاجتماعي.

اما قهر الشعوب تحت اى شكل من الاشكال بما فى ذلك العمل الاجبارى والتفرقة العنصرية أو الاستعمار المقنع تحت اسم الاندماج فانه لا يتفق اطلاقا مع التقدم الاقتصادي والاجتماعي . وهذا هو الجواب الذى نجيب به هؤلاء الذين يقولون بوجوب أن تنتظر الدول الافريقية حتى يتحسن اقتصادها وتكتسب خبرة كافية قبل أن تطالب بالحرية .

وهذه الدعوة الى التأنى فى طلب الحرية ، هى الدعوى التى تفوح منها رائحة الخيانة السلبيه للديموقراطية تتجاهل ما أثبتته التجربة . من أنه بعد الاستقلال فقط ، استطاعت الدول أن تضع مشروعات واسعة فى ميدان الاقتصاد والتعليم وتنفذها .. كما أنه بعد الاستقلال فقط استطاع العالم ان يعرف مشكلات الدولة الاقتصادية والاجتماعية. وفى الحقيقة لا يمكن ارساء قواعد حكومة مستقرة الا بعد الاستقلال وهذا ما يدحض مزاعم الحكومات الاستعمارية من أنها تدرب الافريقيين على الحكم الذاتي . وفى كل الاحوال لم تترك السلطات الاستعمارية الاراضى التى تحتلها . الا بعد أن جعل الضغط الشعبى المنظم من المستحيل عليها الاستمرار فى حكمها دون أن يترتب على ذلك نتائج خطيرة .

وبالاضافة الى تحذيرات المنادين بالحرص وعدم الاندفاع ، فقد أثار هؤلاء المترددون المعارضون لحرية افريقيا بعض الاعتراضات وحينما تثير معظم هذه الاعتراضات هؤلاء الذين يخشون أن يؤثر الاستقلال على مراكزهم المالية ، أو ما يتمتعون به من مزايا خاصة ، فاننى أود أن اناقش المسائل التى يثيرها غير الافريقيين .

فمثلا ، ثار النقاش حول الوسائل التى يمكن المواطنون استخدامها لتحقيق الاستقلال .. وكان الاهتمام منصبا على استعمال الوطنيين للعنف خاصة فى الحالات التى لا تستجيب فيها السلطات الاستعمارية لمطالبهم بالسرعة الكافية . ومن المهم أن نقدر مضار استعمال العنف سواء فيما يختص بالمتاعب والآلام العاجلة التى يسببها للبلاد والناس، أو فيما يختص بالعوامل النفسية التى يمكن أن يتركها فى العقول فيما لو فكر البعض بعد الحصول على الاستقلال ، فى الاستمرار فى أعمال العنف بغرض استبدال قادتهم أو حكومتهم . وقد اوصى مؤتمر اكرا فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ باستعمال العمل الايجابى غير المتسم بالعنف . وبهذا الشأن لا بد أن يتجه الاهتمام الى كلمات المصلح الانجليزى جون برايت التى قالها سنة ١٨٨٦ : «اننى لم أدل بكلمة واحدة تجيز استخدام القوة ، فكل ما قلته كان ضدها ، ولكننى حر فى أن انذر هؤلاء الذين

بيدهم مقاليد السلطان ، بأن تأخير تطبيق العدالة او اطالة عهد الظلم يسوغ استعمال القوة لاصلاح الامور . ان هذا هو ما توحي به الطبيعة وما يامر به الله عز وجل .. وكل انحراف نحو الجانب المضاد لن يكتب له البقاء • اذا شـــيد الناس مبانيهم على فوهة بركان فيزوف فقـــد أحذرهم من غيتانهم ومن الخطر المحدق بهم • ولكننى كنت مسئولا بأية حال عن ثورة البركان التى ستدمرهم . ويمكننى أيضا أن أقول ان القوة التى تمنع الحرية وتنكر الحقوق ليست أكثر تمشيا مع قواعد الاخلاق من القوة التى تكسب الحرية أو تضمن الحقوق » •

وثانيا يوجد هؤلاء الذين تأثروا بالضمير المثقل الذى يؤديه اليه سجل الاســتعمار الغربى لســوء الحظ فهم يختشــون أن يستجيب الافريقيون بعد الاستقلال لنوازع الانتقام من الأقليات ، خاصة من البيض أصحاب السيطرة فيما مضى .

وللرد على ذلك لا بد أن نشير الى حقيقتين هامتين : فنظرة الى كل الدول المستقلة تبين رغبتها الأكيدة فى رفع مستواها الاقتصـادى وهذا يتوقف على رأس المال الأجنبى والمهارة الفنيـــة .. وعلى الرغم من أن الأعمال التجارية والصناعية بالدول الافريقية المستقلة فى أيدى الاجانب يملكونها ويديرونها فانها تتقدم باطراد .

والحقيقة الاخرى هى أن الافريقى فى تلك المناطق التى تســمى مناطق الأجناس المتعددة ، حريص كأخوته فى الأماكن الأخرى ، على تطوير اقتصاده .. وبذلك سيعتمد على رأس المال الخارجى والخبرة الاجنبية ... ولذلك فليس من مصلحته حينئذ أن يتبع سياسة اضطهاد للعناصر التى تختلف عنه فى اللون .

وبغض النظر عن كل هذه الاعتبارات •• فيجب التثبت من أن مجرد تأخير الاستقلال لا يحقق الامن للمستوطنين ، بل على العكس فان هذا التأخير يجعل المستوطنين يبدون فى نظر الوطنيين على انهم العقبة التى تعوق تقدمهم .. وبذلك تتولد كراهية المستوطنين فى نفوس الوطنيين بدلا من الصداقة . ولذلك فان التحرك ببطء نحو الاستقلال أشد خطرا من التحرك السريع . وبجانب ذلك فان هناك حقيقة هامة هى : انه لا بقاء لمعاهدة أو أى شكل آخر من أشــكال المواثيق الا اذا غلف برصيد من حسن النية .. والنية الحسنة من جانب آخر تتوقف على العلاقات التى توجد بين المستوطنين واصحاب البلاد ، وهذه تبعا لذلك تتوقف على مدى مجاراة المستوطنين لآمال الافريقيين بدلا من هذه الاسطورة التى تدعى « سمو الجنس الأبيض » .

والكفاح الافريقى فى سبيل الاستقلال لا يمكن ايقافه ، كما لا يمكن الحكم عليه أيضا . فلا بد من وقوع أخطاء ، ولكن هذه الاخطاء جديرة بالفهم لا بأن نحكم على الكفاح الافريقى بمقتضاها ونلصق به التهم ... وبعد ذلك فلا توجد أية قوة من هذه القوى التى تدعى بطولة الدفاع عن الديموقراطية قد بلغت حد الكمال . فأمريكا لديها مشكلة التفرقة العنصرية ، وبريطانيا لديها مشكلة المســتعمرات ومشــكلة التفرقة فى

داخل الوطن ؛ وفرنسا تعانى مشكلة الديموقراطية بالداخل ومشكلة الجزائر بالخارج .

وهناك هؤلاء المهتمون بافريقيا لمجرد خوفهم من أن تسقط ضحية للشيوعية وأن تنضم للكتلة الشرقية .. وهذا الاتجاه ليس مخطئا فحسب ، بل انه افلاس وتعويق للديمقراطية فأفريقيا لديها مشكلات انسانية عاجلة تنتظر الحل ، وعليها أن تكرس كل وقتها وقواها لهذا العمل .

فى أفريقيا تجرى الآن تغيرات سريعة ٠ والسنوات القادمة سوف تشهد نهاية كل أشكال الاستعمار فى افريقيا ٠ وقد تبقى مشكلة الاضطهاد العنصرى فى جنوبى افريقيا كما قد تستمر انجولا وموزمبيق خاضعتين للبرتغاليين ولكن الجزء الأكبر من افريقيا سيتحرر ٠

وبعد التحرير ستأتى فترة الترميم .. ونعنى بالترميم وسائل الحكم والادارة ، وظهور الاتجاهات والميول، ووضع البرامج الاقتصادية والاجتماعية الضخمة ٠ وعلى افريقيا أن تخوض نضالا مرا بل دمويا فى بعض اماكن من أجل الحرية ٠٠ ونضالها يقوم على دعائم أخلاقيه ، كما أنه دفاع عن حقوق الانسان الديموقراطية ٠ عن الحريات الأساسيه ٠ ومن أجل هذه المثل العليا يجب أن تكرس أفريقيا نفسها ، ان الفشل فى تحقيقها سيكون معناه ٠ خيانة الشعار الذى يسير نضالها فى ظله ٠ والشخصية الافريقية ستصبح باهتة ولا معنى لها الا اذا اتسمت بهذه الأشياء النبيلة التى تناضل افريقيا فى سبيلها ٠ وبالاضافه الى ماسبق فانه لكى تستطيع افريقيا أن تمد العالم بثمار حريتها أو كرامتها التى ظفرت بها حديثا ، فلا بد أن تبقى رمزا للحرية والديموقراطية تذكر العالم بهما فى كل وقت٠ وبدلا عن أن تنضم الى واحدة من الكتل الموجودة أو أن تعمل على تشكيل كتلة جديدة ، يجب عليها أن تؤكد شخصيتها فى ثوب من الحرية الفردية الاساسية والمدنية ٠

والحرية والاستقلال لا يمكن تعريفهما فقط بأنهما هزيمة للاستعمار وللسيطرة الاوربية والاستغلال الخارجى ٠ فحقيقة يجب على افريقيا أن تحذر أى عدوان على حريتها أو انتقاص منها ، ولكن الحرية أيضا يجب أن تتضمن حرية الفرد فى داخل الدولة حديثة النشأة ، تماما كما يجب أن يتضمن التقدم الاقتصادى توزيعا عادلا للثروة ونهضة اجتماعية للشعب كله . فالشعب الذى يحارب فى سبيل استقلاله يتطلع دائما الى القضاء على كل مظاهر الضغط والقهر والوسائل غير الديموقراطية، وذلك مع قيام حكومته الحرة .

وفى أغلب الاحيان ينصرف تفكير الناس حين يتحدثون عن الديموقراطية ، الى الديموقراطية الغربيه ؛ وخاصة البريطانية والفرنسية والامريكية بما لكل منها من أشكال برلمانية وأجهزة خاصة ٠٠ومثل هؤلاء يطالبون بأن تستورد افريقيا صورة طبق الاصل من هذه الديموقراطية بأجهزتها المختلفة ،وما يصحبها من الخصائص التى تقتصر عليها ٠ وهذا الاتجاه يتجاهل الحقيقة التى تبين أن أوربا وأمريكا فى

جهودهما لتطوير هذه المنظمات تأثرت كل منهمـــا بالظروف والملابسات التى كانت تحيط بهذه الجهود . وبدون أن تهمل افريقيا مبدأ الحرية السياسية والمدنية للفرد ، يجب على افريقيا أن تكون حرة خـــلال فترة البناء فى أن تقرر أى شكل من أشكال هذه المنظمات ، يلائم ادارة حكومة ديموقراطية ، فيها . وقد صرح النــاقدون لافريقيا أن الديموقراطية لن تنجح فى أفريقيا بســبب الامية ولعدم وجود أحزاب للمعارضة . ولكن الامية لن تقف حائلا دون الديموقراطية ، وقد تؤدى الى التحول عن شــكل معين من أشكال الديموقراطية ومنظماتها ، ولكنها لا تؤدى الى الغائها تماما . وعندما تحصل احدى الدول على استقلالها سيتضامن الجانب الاكبر من قيادتها الفعالة للعمل معا كفريق واحد فى حقل الكفاح الوطنى ، وستكرس الحـكومة الجديدة نفسها لتحقيق أمس حاجات الشعب الاجتماعية والاقتصـــادية . ومثل هذا الموقف لا يســـمح الا بمعارضة صــغيرة وضعيفة جدا ، غالبا ما تكون مجردة من القيادة القوية . وما لم يحدث انشقاق فى صفوف الحكومة الوطنية الجديدة فقد يستمر الموقف السابق مدة عشر سنوات أو أكثر . . وهذا لا يعنى الغاء الديموقراطية ، ولـكنه موقف يحتـاج الى أن يزداد الوعى من جانب الشــعب ليحافظ على حرياته الفردية . والحزب الذى يتولى الحكم عليــه عبء ثقيــل ، ويجب ألا يسمح للمعارضــة الصغيرة الضعيفـة أن تعوض ضعفها باستعمال العنف أو الوسائل غير الديموقراطية .

ومثل معظم المناطق المتخلفة فى العالم ، تحتاج افريقيا الى سرعة تطوير اقتصـــادها وعليها أن تفعل ذلك فى أقصر وقت ممكن ، وبأقل عدد من الموظفين ورأس المال وحينما تنهمك الدولة فى خطط التنميـــة الخاصــــة بها يجب عليها أن تواجه منــكلات اعادة بنــاء اقتصـــادها وتحويله من الشكل الاســـتعمارى الى شـــكل يتلاءم مع حاجات دولة مستقلة ولن يــكون هذا العمل ســهلا بسبب منافسة القوى الغربية والشرقية . ولكن افريقيا يجب أن تتفادى من الزج بنفسها فى غمار هذه المنافســة ، وان تفسح لنفسـها حرية العمل بعقد اتفاقيات اقتصــادية ثنائية أو متعددة الاطراف مع أية دولة تمدها بحاجتهـــا العاجلة بأيسر الشروط وبدون قيود اقتصادية أو غير اقتصادية .

وفى خلال عمليـــة اعادة البنـــاء ، قد تفكر الدول الافريقيـــة فى توثيق الروابط وتوسيعها مع الدول المستقلة المجاورة ، وبقدر الامكان فى توحيد الجهود والتعاون فى استغلال مصادر الثروات . ويعتبر تطوير القوى والمواصلات والبحوث ميدانا طيبا للتعاون فيه مع الدول المجاورة .

وكل زعيم افريقى يأمل أن يؤدى الاستقلال الى رفع الحواجز التى وضعها الاستعمار وأن يســهل تنمية الوحدة الافريقية وربما — ذات يوم — الولايات المتحدة الافريقية . وكل القادة سيعملون فى الحقيقة من أجل هذا الهدف . ولكن من السذاجة أن نتجاهل وجود عدد من المشكلات مثل تعدد اللغات والقبلية فى بعض المناطق ، ومثل فقر المواصلات والمسافات الطويلة فى مناطق أخرى ، ومثـــل الشخصيات والاحزاب المتعـــارضة

فى غيرها الخ . وهذا يتطلب بعد حسن الادارة، الاحترام والفهم المتبادلين لمصالح كل الاطراف .

وعلى المسرح العالمى نجد أن افريقيا هى محور الصراع فى النصف الثانى من القرن العشرين . وان لها لقـــوة دافعة ، ومستقبلا كفيلا بأن يؤثر فى الشـــئون العالمية بشكل يتزايد بتطور دولهـــا . ولها أيضـــا شخصيتها مما يجعلها تفرض وجودها على الدول الاخرى حتى تعرفهـــا وتقبلها . وتهتم افريقيا بالشئون العالمية على نحو ما تهتم بها ما تسمى بالقوى الكبرى . وانها لتستفيد من السلام أكثر من افادة بعض الامم الاخرى اذ أن حاجات أهلها تتطلب الوفاء السريع بها .

والنضال الافريقى له أوجه ثلاث : نضال من أجل الحرية السياسية، ونضال من أجل الفرص الاقتصادية، ونضال من أجل الكرامة والانسانية وعندما ينتصر هذا النضـــال فى كل أنحاء القارة فستتجه قواها جميعا لتحقيق هذه المبادىء التى ناضلت من أجلها .

الافريقي والديمقراطية

بقلم : جوليوس نيريرى

بانتهاء هذه السنوات العشر (١٩٦١ سنة ١٩٧٠) ستكون افريقيا كلها قد تحررت من الاستعمار ويؤكد الوطنيون الافريقيون أن نهاية الاستعمار سيعنى قيام الديموقراطية .

حكام افريقيا الاستعماريون الذين لم يظهروا احتراما كافيا للديمقراطية مقتنعون بأن الافريقي غير قادر على ادارة دفة حكومة ديموقراطية ·· وهم يتكهنون أن نهاية الاستعمار ستقود الى قيام الدكتاتورية في جميع أنحاء القارة الافريقية · وهم يتناقشون حول استعداد الافريقيين أو عدم استعدادهم ليصبحوا ديموقراطيين ·

وقد اخترت أن أسهم فى هذا النقاش بهذا المقال ، لا لأنى أريد أن أنحاز الى أحد الجانبين ، ولكن لأنني أعتقد أن المتناقشين لم يعنوا بتوضيح عباراتهم ·· فلو أنهم فعلوا ذلك وعنوا على الأخص بتحليل اصطلاح «الديموقراطية» ، لكانوا قد اكتشفوا أن تعريفاتهم للديموقراطية تختلف فيما بينها اختلافا تاما ، وأنهم كانوا فى الحقيقة يضيعون وقتهم بالجدال حول أغراض متعارضة ·

لقد بذلت أكثر من محاولة لتعريف الديموقراطية ·· ولعل من أحسن التعاريف ومن أوسعها انتشارا ، التعريف الذى وضعه آبراهام لنكولن وهو « حكومة الشعب التي يكونها الشعب والتى تعمل من أجل الشعب » · وفى الحقيقة أن حكومة أى بلد ما دامت قد كونها الشعب بنفسه ، فلا شك ان الشعب سوف تكون لديه بعض الوسائل التى تجعل صوته مسموعا عندها · ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون لكل واحد من أفراد الشعب دور شخصى فى وضع التشريعات ورسم السياسات . ولهذا كان من الضرورى أن يختاروا من بينهم عددا محدودا من الشخصيات التى تمثلهم وتتحدث باسمهم داخل الحكومة · وقد يبدو هذا من الاشياء الاولية التى لا تحتاج الى الشرح الذى قدمته هنا · واذا كان الأمر كذلك فلماذا يدعى بعض الناس أن الافريقيين لا يمكن أن يقيموا فى بلادهم حكومة ديموقراطية بمجرد حصولهم على استقلالهم ؟ وبماذا يسوغون قولهم بأن أية حكومة افريقية لن تسمح طبعا بقيام معارضة ؟

أنا لا أعتقد ان أى شخص يمكن أن يكون لديه سبب حقيقى للادعاء بأن قيام معارضة فى دولة افريقية مستقلة يعتبر أمرا مستحيلا فى هذه المرحلة من تاريخنا ·

وفى رأيى أن دعائم الديموقراطية ثلاث : المناقشة والمساواة والحرية. والاخيرة هى نتيجة للدعامتين الاولى والثانية .

وهؤلاء الذين يشكون فى مقدرة الافريقى على انشاء مجتمع ديموقراطى ، لا يمكن أن يشكوا أيضا فى مقدرة الافريقى وحبه للنقاش . فهذا شئ افريقى صرف كالشمس الاستوائية الساخنة .. كما انهم لا يستطيعون الشك أيضا فى حب الافريقى للمساواة لأن الارستقراطية شئ غريب عن افريقيا. وحتى اذا كانت توجد طبقة ارستقراطية بالمولد، فمن الناحية التاريخية يمكن ارجاع أصولها الى بلاد تقع خارج القارة . ومن الوجهة التقليدية لا يعرف الافريقى نظام الطبقات . وأنا أشك فى أنه توجد كلمة فى أية لغة افريقية نعنى .. طبقة ، حتى فى تلك المجتمعات القليلة التى ترك فيها المستعمر بعض مظاهر الارستقراطية .. ويشير الافريقيون الى الارستقراطيين بالمولد بكلمة «العظيم» أو «الشخص الذكى»

والمجتمع الافريقى التقليدى سواء كان له رئيس أم لا ـ وكثير من المجتمعات مثل مجتمع بلادى ليس له رئيس ـ هو مجتمع المساواة الذى يدير شئونه عن طريق المناقشات .

واذا كانت الديموقراطية اذا هى شكل من أشكال الحكومات أقامها الناس بمحض ارادتهم ، واذا كانت دعائمها هى المناقشة الحرة والمساواة، فليس فى المجتمع الافريقى التقليدى حينئذ ما يجعل الافريقى غير متلائم معها .. بل على العكس يوجد فى تقاليده كل ما يؤهل الافريقى لأن يصبح صورة صادقة لما يطلبه أى ديموقراطى بالطبع .

لقد كان فى امكان اليونانيين القدماء أن يتشدقوا بالديمقراطية حين لم يكن لأكثر من نصف عدد السكان حق مناقشة أمور الدولة . وكان فى قدرة واضعى اعلان الاستقلال أن يتحدثوا عن « الحقوق الثابتة للانسان » على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون فى الاستثناءات ، وكان فى قدرة « ابراهام لنكولن » أن يقدم لنا تعريفا دقيقا للديموقراطية . على الرغم من أنه تحدث فى مجتمع كان يؤمن بملكية الرقيق .. وكان ممكنا لاصدقائى البريطانيين أن يطنطنوا بالديموقراطية ، وهم فى الوقت نفسه يشيدون امبراطورية عظمى لمجرد تحقيق مجد لهم .

وهؤلاء الناس لم يكونوا مدعين ، بل كانوا يؤمنون فعلا بالديموقراطية ، التى كانت تعنى بالنسبة لهم « الحكومة التى تقوم على المناقشة والمساواة » ، والتى دافعوا عنها ، ولكنهم عاشوا فى عالم كان يستبعد حشودا من المخلوقات البشرية من فكرة المساواة .. وهو أمر لا يمكن حدوثه اليوم فى القرن العشرين . فالرجل العادى اليوم ، فى الشارع ، أو فى الغابه ، لم يحتفظ لنفسه بمثل هذا التقدير من قبل . وأنصاف الآلهة الذين يريدون معاملته كمخلوق أدنى منهم ، يعلمون مدى قوته التى تخيفهم وتجبرهم على تفسير وتسويغ جرائمهم .. لأن الشعب الذى من حقه اليوم أن يحكم نفسه بنفسه ، لا يمكن أن يغفر خطأ أو يعفو عن شخص نخرق القانون .

ولا توجد قارة حاربت من أجل كرامة الانسان العادى مثل ماحاربت افريقية . ففى البلاد الاخرى قد يصبح الناس كما يأتى : « رجل واحد، تصويت واحد» والسنتهم فى أفواههم ، أما فى افريقية، فالقادة الوطنيون يؤمنون بذلك كمبدأ أساسى ، والجماهير التى يقودونها لا تقبل شـــيئا أقل من ذلك .. وفى كثير من البلاد التى تدعى الديموقراطية ينبثق القادة من الارستقراطية ، سواء كانت ارســتقراطية المولد أو الثروة ، أما فى افريقيا فهم أشخاص عاديون ، لأنه فى افريقيا لاتوجد طبقة ارستقراطية. وقد فشلت التقاليد فى خلق هذه الارستقراطية ، وســـوف تجعل روح القرن العشرين من ظهورها أمرا مستحيلا .

ويوجد كثير من هؤلاء الذين ينقدون القومية الافريقية فى بلاد مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .. وهـــم حين يهاجمون استعدادنا لتكوين شكل ديموقراطى للحكومة ، فانه لا ترتسم فى ذاكرتهم صـــورة الديموقراطية ، ولكن صورة النظام الخاص الذى اتخذته الديموقراطيةفى بلادهم .. نظام الحزبين والمناقشة التى تجرى بين حزب الحـــكومة وحزب المعارضة داخل مبنى البرلمان .

والحق أنه بالنسبة للدول الانجلو ســـكسونية ، أو الدول ذات التقاليد الانجلو سكسونية ، يعتبر نظام الحزبين هو عصب الديموقراطية وروحها .. ومن غير المجدى أن تخبر أحد هؤلاء الانجـــلو سكسون أنه حينما يجتمع سكان احدى القرى البالغين مائة شخص، ويتناقشون معا حتى يوافقوا أخيرا على المكان الذى يحفر فيه أحـــد الآبار فانهم بذلك يمارسون الديموقراطية ويطبقونها .. هذا الانجـــلو سكسونى سيصر أولا على معرفة ما اذا كانت المناقشة قد نظمت تنظيما صحيحا ، وسيصر على معرفة ما اذا كانت قد وجدت جماعة مؤيدة وأخرى معارضة .

وأحب أن أقول اننى أشك فى مدى صلاحية هـذا الشكل الانجلو سكسونى من أشكال الديموقراطية .. ولتوضيح ذلك أقول :

أن الافريقى فى مجتمعه التقليدى هو دائما فرد حر ، ومندمج الى أقصى حد فى عضويته لمجتمعه ، ولكنه لا يرى أى تعارض بين مصالحه الخاصة وبين مصالح مجتمعه .. وذلك لأن بناء مجتمعه كان فى الحقيقة امتدادا مباشرا للعائلة . فهناك أولا العائلة برابطة الدم التى تجمـــع أفرادها ، والتى تتطور بعد ذلك لتتكون القبيلة .. وشئون القبيلة — كما شرحت من قبل — تدار بالمناقشة الحرة المتساوية . وعلى كل حال ، فان اصطلاح حكومة ، يعنى فى عقل الافريقى غير ما يعنيه عند الأوربى ، فهو فى نظر الافريقى يتخذ معنى شخصيا ، بمعنى « رئيس » ، وهو فى نظر الاوربى يعنى بناء كبيرا تجرى فيه مناقشة ما .

وفى افريقية المستعمرة لم يتغير هذا المعنى الشخصى ، ما عدا أن الشخص العادى الذى يسمع كلمة « حكومة » يتجه بفكره الى مامور المركز ومفتش الاقاليم والحاكم العام. وعندما بدانا نحن الافريقيين — الذين قرانا لابراهام لنكولن وجون ستيوارت مل — نطالب لبلادنا بالديموقراطية

بمعناها الغربى ، أى كبناء كبـــير نجرى فيه مناقشة ما ، كان أول من قاومنا واستمر فى مقاومتنا الى آخر لحظة ، الأشـــخاص الذين يجسدون فكرة الحكومة أى مأمور المركز ومفتش الاقليم والحاكم العام ٠

ان الاضواء تسلط اليوم على شعوب القارة الافريقية نتيجة لنضالها فى سبيل الاستقلال ٠٠ والنضال فىسبيل التحرر من السيطرة الاجنبية عمل وطنى لا يترك مجالا لأى خلاف وهو يوحد كل العناصر فى الدولة ، لكى تتولى زمام القيادة فى البلاد كلها حركة وطنية وليس حزبا واحدا أو أحزابا متعددة ٠ وما ان تنجح هذه الحركة الوطنية فى توحيد الشـــعب وقيادته نحو الاستقلال ، حتى تشكل بالطبـــع أول حكومة فى الدولة الجديدة ٠٠ وليس من السهل أن نتوقع أن دولة موحدة يجب عليها أن تتوقف فى منتصف الطريق لتنقسم على نفسها بعنف الى جماعات متعارضة وذلك لمجرد أن تتلاءم مـــع ما ســـبق أن أطلقت عليه اسم « شكل الديموقراطية » الانجلو سكسونى وذلك كله فى لحظة الاستقلال ٠

ان وجود معارضة منظمة فى رأيى غير ضرورى ، على الرغم من أنه من الصعب حينئذ أن يســـمى المجتمع الخالى من المعـــارضة مجتمعا «ديموقراطيا» ولكن سواء قامت معارضة أو لم تقم ، هذا يتوقف تمـاما على رغبة الشعب نفسه ، ولن يؤثر كثيرا ما دامت تتوافر للشـــعب المناقشة الحرة والمساواة فى الحرية ٠

مصير افريقيا

بقلم : سيكوتورى

ان الحكومة التى أتشرف برياستها ، والتى تخلص كل الاخلاص لمبادىء العدالة والتضامن ، وتخلص ، أيضا « وفوق كل شىء » لارادة الشعب الغينى وسعيه المتواصل الى مساندة نضال الشعوب المظلومة، ان حكومتى هذه تود أن تعلن مرة أخرى . أن حرية افريقيا غير قابلة للتجزئة ، وان الاستقلال الغينى لهذا السبب لا يمكن فصله عن استقلال شعوب أفريقيا الاخرى .

وهكذا فان عملنا فى سبيل الاستقلال مرتبط باشتغالنا بتصفية آثار النظام القديم وبناء غينيا على أساس اقتصادى متين .

وبعض الناس بنوا حكمهم على القارة الافريقية على أساس ضعف الشعب الافريقى ازاء قوة وسائل السلطات الاستعمارية .. ولكن هؤلاء الناس لم يعرفوا الفكرة الكامنة فى عقول شعوبنا عن وسائل القوى الاستعمارية التى تتبعها نحونا ، وعن تظاهرها الكاذب .. لقد رفضوا أن يكتشفوا أنه تحت هذه البشرة السوداء أو الصفراء ، نوجد المزايا الانسانية نفسها والذكاء والارادة والفضيلة نفسها .

وهكذا فقد رفضوا أن يفقهوا الدور الذى ستؤديه القارة الافريقية فى يوم ليس ببعيد لحفظ توازن عالم متطور ، عندما تحتل كل الشعوب مكانها اللائق لسيادتها فى الامم المتحدة .

وعلى كل حال فان التاريخ الافريقى يمر اليوم بمرحلة من التطور السريع تدل عليه الاحداث الهامة التى تقع اليوم .. فمنذ عشرة أعوام فقط كانت افريقيا كلها تقريبا مستعمرة بالأجانب ، وحياتها كلها مسخرة لمصلحتهم . لقد كانت افريقيا بعيدة عن المسرح العالمى .. واليوم يعبر ممثلو الدول الافريقية الاعضاء فى مختلف المنظمات الدولية عن ارادة شعوبهم الحرة . وقريبا ستحصل أمم أخرى فى افريقيا على حريتها .

والحقيقة الثابتة الواضحة اليوم ، هى النهضة الشاملة لشعوبنا ، حتى هذه الشعوب التى تعتبر أكثر تخلفا من غيرها ، أى أكثر خضوعا للضغط والاضطهاد . وكل الخطط التى رسمت لمعارضة هذه الارادة الافريقية الجامحة لاسترداد كرامة القارة ، قد فشلت واحدة بعد أخرى . وفى آفاقنا تدوى صيحة واحدة هى « الاستقلال » .

وهكذا فان الاستقلال والوحدة هما اليوم القوتان القاهرتان اللتان تهزان افريقيا .

وفي هذه اللحظة التي يحاول فيها الشعبان الامريكي والسوفييتي بسط نفوذ الانسان على القمر ، ألا يجب أن تتساءل افريقيا لماذا يصر الاستعمار على بسط نفوذه على أبناء افريقيا وثروتها ؟ هل يصح أن يهزم التقدم الانساني الفضاء الخارجي ، ويصل الى القمر ، دون ان يصبح قادرا على ضمان الحرية والكرامة لشعوب المستعمرات ؟

في سنة ١٩٥٩ كانت كل القارات قد تحررت فيما عدا القارة الخامسة أى قارة افريقيا وهذا هو السبب الذى من أجله لن تتقاعس افريقيا عن بذل الجهود الضخمة التي يجب أن نقوم بها للتغلب على عدم التقدير الذى تقع ضحية له · وبهذا الخصوص لا تمثل غينيا فقط ارادة ملايين ثلاثة من الرجال والنساء ، كبارا وصغارا ، بل انها تمثل عن طريق نضال شعبها آمال ٢٠٠ مليون شخص يكافحون كل يوم ضد الجوع والمرض والجهل ·

وبذلك فان الانسانية حين كانت تتحرك نحو مجتمع متحد حقيقة، يعمل للافادة من كل الامكانيات والخبرات التي توافرت لدى الانسان ، فان افريقيا بدت كأرض محبوسة مقصاة عن بعض نواحي النشاط البشرى ، مسلوبة معظم حقوقها الاساسية والسبب الشرعي لوجودها .

ومنذ أقل من قرن ، أذاع « ابراهام لنكولن » اعلانه العاطفي ضد الرق ، الذى كان في الوقت نفسه وثيقة تدين الاستعمار ·· قال فيه « انكم تستطيعون أن تخدعوا بعض الناس بعض الوقت ، ولكنكم لا تستطيعون خداع كل الناس كل الوقت » ونحن نامل أن صوت هيئة الأمم المتحدة حينما يرتفع أكثر مما يرتفع الآن سوف يلتقط هذه الكلمات ليؤكد أن عالما منقسما على نفسه لا يمكن أن يعيش ، وأنه لايمكن السماح بعد ، لذلك الجزء من العالم بالحياة في ظل العبودية وللجزء الآخر بالحياة في ظل الحرية ·

ولأن قضية الانسان يجب أن تنتصر ، فان افريقيا بكل متاعبها ، سوف تتغلب أيضا على المصاعب التي بثها في طريقها ضيق الأفق والأنانية والكبرياء والغباء ·

***

ان افريقية وقد بدأت تظهر على المسرح العالمي ، تلحق بالعالم اليوم لا كقوة معارضة معادية ، ولكن بروح ملؤها التعاون الكامل ، وبرغبة واعية في أن تصبح عاملا فعالا لا يستطيع العالم أن يتجرد منه دون أن يفقد الكثير من فرصه ومصادره .

وهذا السبب الذى من أجله يتهم البعض أبطال افريقيا والوطنيين منها عن سوء نية بأنهم ثوريون ومثيرون للفزع ، ولكن الحق الشرعي الطبيعي لا يمكن اعتباره في أية لحظة خطرا وعدائيا ·· وبغض النظر عن حق كل شعب في ممارسة سيادته ، وبغض النظر كذلك عن التقدم السياسي الذى ينتج عن ذلك ، فثمة حق مقرر للشعوب صغيرها وكبيرها في أن تتحرر ·· أليس حق الحرية هذا واحدا من الدعائم الاساسية في ميثاق الامم المتحدة ؟

ان كان هذا ، فدول افريقيا المستقلة سوف يكون من حقها ممارسة سيادتها لتركز اهتمامها على تحقيق قيام افريقيا الحرة المتحدة ، وهذه الدول لن تتجاهل المشكلة الرئيسية : أى مشكلة الاستقلال الوطنى للشعوب المستعمرة التى تحاول ابعاد القوى الاستعمارية عن طريق تغيير الروابط القانونية التى فرضتها عليها هذه القوى .

وقد ظلت الأمم التى ادعت لنفسها الدور القيادى فى افريقيا تظن أمدا طويلا أنه يمكنها أن تتصرف باسم شعوبنا ، والفشل الذى أصابها فى هذا الشأن معروف وغالبا ما ادعت هذه القوى التى سيطرت على قارتنا ان وجودها فى أرضنا يسوغه من الناحية الادبية الحاجة الى ادخال حضارتها عندنا ، كما لو كانت افريقيا ليس لها ماضيها أو حضارتها الراقية ، والتى أدى اتصالها بالاستعمار الى تدهورها بل الى اختفائها . واليوم لا ينكر أحد استحالة فرض حضارة أجنبية على شعب من الشعوب بالقوة أولا ، وفى الوقت نفسه الذى يكون فيه هذا الاحتلال الذى يدعى صفة الانسانية مصحوبا باستغلال منظم .

وفشل المذهب الاستعمارى يتمثل تماما فى الحقيقة التى تقول : ان القوى الاستعمارية التى تحمل فى يدها وسائل تنمية الثروة ، لا تستعمل هذه الوسائل لاعادة التوازن بين مستوى معيشة الشعوب الخاضعة للاستعمار ومستوى معيشة الشعوب المسيطرة .. ولكن هذه القوى على العكس تزيد من عدم التوازن هذا ، وذلك بالاستغلال المنظم للمنتجات والمواد الخام ، مبقية السكان الوطنيين فى أشد حالات الفقر والاحتياج ، وليس ثمة حاجة بعد الآن للاستمرار فى محاكمة الاستعمار بعد أن صدر حكم التاريخ والحوادث عليه بالاختفاء التام .

ان سلامة دول افريقيا المستقلة وحياتها مرتبطان بالوحدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لافريقيا ، ونحن نرى بوضوح أن دول افريقيا المستقلة لا يمكنها أن تصبح جزرا وسط قارة من البؤس .. فبعد أن ظلت افريقيا طويلا مستبعدة عن كل نواحى النشاط الانسانى الحر ، وبعد أن ظلت طويلا على هامش التاريخ ، فانها الآن وهى على وعى تام بما يتطلب مستقبلها ، ترفض أن تسمح بالتضحيات غير المحدودة للأجيال المقبلة من شعوبها .

ومن الواضح أن الوصاية على الامم الافريقية مآلها الى الفشل. وقد لوحظ دائما أنه لكى تنجح بعض الحكومات الغربية فى تحقيق أغراضها ، فانها تؤكد رغبتها فى التعاون مع الافريقيين أفرادا وهيئات ، بجعل هؤلاء يلتزمون السير فى خط يتفق مع رغبات تلك الحكومات .. وهذه هى سياسة « العرائس التى تحركها الأيدى الخفية » والتى يقل نجاحها يوما بعد آخر فى افريقيا ، لأن الشعوب يزداد تنظيمها يوما بعد يوم ، كما تزداد تصميما على الكفاح ضد كل أشكال السيطرة ، حتى ولو كانت هذه السيطرة تمارس بأيدى الافريقيين من صنائع المستعمرين .

والأمر الذى لم يكن معروفا حتى الأمس ، هو أن افريقيا اليوم تعبر بوضوح عن نفسها ، ولن تسمح بأن يتحدث باسمها وضد رغباتها

هؤلاء الذين كانوا يسيطرون على أبنائها ومقدراتها .. ولهذا فانه يبدو واضحا اليوم أكثر من ذى قبل ، أن افريقيا ـ برغم حاجتها الى المساعدة لاستكمال تحرير بلادها كليه من ربقة الاستعمار ولاعادة بناء نفسها ـ لن نقبل اطلاقا أى نوع من الوصاية . اننا لسنا فى حاجة على الاطلاق الى حضـــارة أحد أو مدنيته ، لأننا نملك حضاراتنا .. ونحن مقتنعون أنه لكى نزيد من تطور حضاراتنا هـــذه ، فان العمـــل الحر للافريقيين أنفسهم ضرورى لا غنى عنه . أما بالنسبة لهؤلاء الذين لم يصلوا بعد الى هذا المستوى من الفهم والاحترام لشعوبنا ، والذين يعتقدون أن شعوبنا لا تقف على قدم المساواة مـــع الشعوب الاخرى ، وان حضاراتنا لا تملك مقومات البقاء والاستمرار مثل زميلاتها ، بالنسبة لهؤلاء نعتقد أنه من الافضل لهم أن يتوقفوا عن مديد المعونة لافريقيا . وما نطلبه باســـــم التضامن الدولى وبدافع من ايماننا العميق بأن التقدم العالمى ينتـــج من تعاون كل الشعوب بعضها مع بعض هو مساندة أخوية لا تسمح لافريقيا بأن تتحرر تماما من الضغط واستغلال الأجنبيين ونحن لا نفكر اطلاقا فى أن نفصل افريقيا انفصالا ضيقا يعزلها عن غيرها من القارات .. بل اننا نؤمن ايمانا عميقا أن مصير افريقيا مرتبط بمصير القارات الاخرى ، كما أنه يتوقف على وجود حالة توازن فى العالم ، سواء فى اتجاه الســـلام والفهم الطيب المزدوج أو فى اتجاه الحرب .

ومنذ الحرب العالمية الاخيرة تناول خبراء « يفوقوننى تخصصـــا واستعدادا » حالة عدم التوازن المحزنة التى قسمت العالم جزأين : الاول هو الذى يضم مجموعة الدول المتقدمة التى وصلت مجتمعاتها الى مستوى مرتفع من المعيشة والتنظيم الاجتماعى والآخر هو الذى يضم الدول غير النامية ، أو قليلة النمو ، التى يقع سكانها فريسة دائمة للمرض وسوء التغذية والجهل . وقد بين الخبراء بالاحصائيات فيما يختص بهذه الدول المتخلفة ما هى عليه من تدهـــور خلقى وحياة منحطة نتـــيجة حتمية مباشرة لما هى فيه من بؤس . وبجانب هذه العناصر الحقيقية المطروحة الآن أمام الضمير العالمى الذى يجب أن يكون هو الوصى المسئول عن القيم الخلقية والعقلية للمجتمع الانسانى فان الدراسات الجادة التى أجريت لمحاولة ايجاد حل عملى للمشـــكلات المختلفة التى تعانيهـــا هذه الدول المتخلفة : التى تضم ثلثى سكان العالم ، قد فشلت فى تحقيق غرضها . وأكثر من ذلك فليس هناك فائدة من التفكير فى أن تخصص ٥٠٪ من موارد الدول المتقدمة لحل مشكلات الدول المتخلفة ، حتى ولو وافقت على ذلك شـــعوب هذه الدول المتقدمة ، لأنه وان كان ذلك سيؤدى الى تصحيح الميزان ، فاننا سنحقق حينئذ مساواة على مستوى منخفض ، تكون نتيجتها خسارة للمجتمع الانسانى كله .

والبؤس الانسانى الموجود فى افريقيا وغيرها من أجزاء العـــالم المتخلفة لا يرجع سببه الى نقص فى الثروات ، بل انه نتيـــجة للنقص الكامل فى وسائل استغلال الموارد الطبيعية الهائلة ، التى لا يمكن حتى الآن تقدير قيمتها .

ومهما حاولنا ، فاننا لن نستطيع أن نبـــين مدى أهمية مكافحة

البؤس ، وأنه يعادل في أهميته النضال للمحافظة على السلام العالمي ٠٠ ونعني بذلك أيضا أن النضال ضد الاستعمار في افريقيا هو عامل حاسم في نضال العالم من أجل السلام وفي الحقيقة لا شيء يسوغ استخدام القوة لغزو مايطلق عليها «الشعوب غير المتمدينة» والتحكم في مصايرها ٠ ولقد عانت افريقيا كثيرا من الاستعمار ، وأهدرت على أرضها المدنية ، والقيم الأدبية باللجوء الى العنصرية البغيضة ٠ وتجربة الامم المستقلة في افريقيا تثبت بوضوح أنه لا يوجد ما يدعى « بالشعوب الأدنى أو المنحطة » ٠ كما أنها تثبت أن الشعوب العاجزة فقط هي الشعوب الواقعة تحت سيطرة الاستعمار ، وان عجزها يبدو فقط خلال فترة استعمارها ٠ والاستعمار ليس عدو افريقيا فحسب ، بل انه عدو للتفاهم العالمي الذى يجب أن يقوم على أساس من المساواة بين الشعوب ، والاحترام المتبادل بين هيئاتها السياسية والحكومية والأدبية ٠

وأعتقد أنني أعبر هنا عن رأى الشعوب المتخلفة حين أقول ان افريقيا قد نهضت لتواجه العالم ، لا كقوة معادية ، بل كقوة جديدة بدونها ستصبح العائلة الانسانية ناقصة وأقل مقدرة ٠

والاستعمار يزيف مشاعر الشعوب ٠٠ انه يخلق شعورا من التعالى في بعضها ، وشعورا من الهوان والعجز عن تغيير الاحوال في بعضها الآخر ٠٠ ونحن نعرف أن أسباب الاستعمار أبعد من أن تكون عاطفية أو أدبية ٠٠

ان الاستعمار نتيجة للرغبة في الثراء الاقتصادى المادى . هو المسئول عن المظاهر المخجلة للضغط الأجنبي، ولتأكيد الشخصية الافريقية، هناك الاختيار الحر والعمل غير المقيد للهيئات القومية كضمان لتطوير الخصائص الطيبة للرجل الأسود ٠٠ وهذه الخصائص نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وللاطار البشرى والجغرافى الذى يعيش فيه الانسان الافريقى ، والذى يوحى له بفلسفة معينة وعقلية خاصة ٠٠ وباختصار فانها هى التى تمنحه مذهبا خاصا به في الحياة ٠٠ أليس لدينا نحن الاسباب التى خلقت هى نفسها اصالة الثقافات عند المجتمعات الانسانية الاخرى ؟

ومن الواضح أنه اذا اعتمدنا على بعض المظاهر المعينة فى المجتمع ، والتى لا تتفق مع طبيعته ولا مع ضروراته الاقتصادية والثقافية ، ولا مع توازنه الداخلى السليم ، ولا مع وسائله وأهدافه ، فاننا لا نقصى الانسان عن هذا المجتمع فحسب بل اننا سنضطهده ونستعبده ، ونوقف تقدمه ، ونعرقل وفاءه بالتزاماته وأداءه لوظائفه بسلام وانسجام ٠٠ وهذا هو ما تفعله سياسة « الادماج » التى نعارضها بحزم ووضوح ٠

ونحن نعتقد أن الجهد الهائل الذى تدعى شعوبنا لبذله من أجل تحقيق استقلالها الكامل ، لابد أن يشترك فى بذله كل رجل وكل امرأة وكل طفلة ، وذلك فى حرية تامة ، ورغبة كاملة ٠ وليس هناك خيار ، فاما أن نعارض استخدام القوة ونفضل المشاركة الحرة من جانب

الشعب لتحقيق الاستقلال ، واما أن نفضل الفـــوة ونعارض مشاركة الشعب في تحقيق الاستقلال ٠

ومن المهم أن نتفاضى عن الحقيقة التي توضح أن نظام التـطور في البلاد المتقدمة ، يوسع كل يوم ، الشقة التي تفصل البلاد المتخلفة عن استقلالها٠ ولتحقيق استقلال افريقيا فقد اخترنا الحرية والديموقراطية، والعمل الجماعي الفعال ، واســـتخدام كل مصادرنا وكل امكانياتنا ، والاستعانة بكل النظم ، وقبول مساعدة كل الشــعوب ، واستخدام كل أنواع الخبرات ، وكل الدراسات الفنية ..وفي اختصار كل الثمار التي جمعها العالم والتي نود نحن أن نضيف اليها من عملنا كذلك .

ويبدو لي أنه من الضروري أن يقال صراحة وبشجاعة ، « ليـــكون مفهوما من كل الناس ، ان افريقيا يجب أن تتلمس الطريق الذي يوصلها الى تحقيق حريتها كاملة بنفسها ، ولسوف تفعل ذلك ، وليس هنـــاك شعب أو امة أو مجموعة أمم وجدت نفســـها في الظروف التاريخيـــة والجغرافية والانسانية نفسها التي وجدت افريقيا نفسها فيها، والتي يمكن لذلك أن تهدي افريقيا الى الطريق الذي تسلكه .

ان الحقيقة المرة في أفريقيا أن ٨٠٪ من سكانها زارعون أميون ، وأن متوسط الدخل السنوي للفرد بها أقل من مائة دولار ٠ وفي مثـــل الفقر الذي يجب أن يندى منه جبين الانسانية خجلا ، يشعر الافريقي بالأمل ويمتلىء تصميما على الفوز ، والنمو والتقدم مسلحا بايمانه العميق بمستقبل الجنس البشري، وتطلعه الى الاخاء والانسجام مسلحا بطبيعته الخيرة التي ما زالت نقية صافية ، وفي الوقت نفسه ، بطاقته الجبارة . واحساسه العميق بالمسئولية ٠٠ وهناك أيضا مجمـــوعة الفضائل التي لا حصر لها والتي يتحلى بها ٢٠٠ مليـــون افريقي ، والامكانيات الهائلة التي يتيحها ذلك ، والطاقة الفكرية التي يحتويها ٠ »

وباسم التضامن العالمي لكل الشعوب ، اقتبس هنا جملة شــهيرة غاب معناها عن الزعماء السياسيين لبعض البلاد، الذين خاطروا بالفرص الاقتصادية والثقافية لشعوبهم وذلك بقيادتهم عبر طريق الاستعمار غــير الانساني .. وهذه العبارة هي « ان الشعب الذي يستعبد شعبا آخر، لا يمكن أن يكون هو نفسه حرا » ٠ ونحن مقتنعون أن أنبل مهمة يمكن الامم المتحدة أن تنجزها في المستقبل القريب ، هي تحرير الشـــعوب المستعمرة ٠٠ وتبدو هذه المهمة يسيرة اليوم ، لأن عدد الاعضاء بالامـــم المتحدة يتزايد كل يوم ، تحت ضغط حركات المقاومة ، وهـــذه الدول الجديدة بعد أن لاحظت تزايد عددها نجدها تعبر بحرية أكثر عن الآمال الحقيقية لشعوبها ٠

ومن أجل تأخير حركة التحرر في الشعوب التي يسيطرون عليها ، يقوم الاســـتعماريون بخلق الجماعات التي تزيد الفرقة والاضطراب ٠٠ والاستعماريون على اســـتعداد « لتوريد » الاستقلال بكل الكميات المطلوبة ، ولـكن خطتهم المكيافيلية تهدف الى ايقاع الفرقة في صفوف الافريقيين ليظلوا هم سادة القارة ٠ ولذلك أيضـــا نجد أن التقدم الذي

تحرزه شـــعوب القارة يغيظهم ، لأنه يجعل من الصعب عليهم أن يثيروا فتنة ، أو يشـــكلوا حربا أو منافسة وما يهم الافريقيين ليس هو أن ســيكوتورى أو نـكروما هما أرفع مقاما من تومبان أو بورقيبة ولكن مايهمهم ما اذا كان نظـام الحـكم فى غانا اكثر ديموقراطية من مثيله فى نيجيريا أم لا .

وفى أثناء الاستفتاء الذى أجرته فرنسا فضلت غينيا الحرية مــع الفقر على العبودية مع الغنى والثراء .. ونحن نعلن هنا أننا نفضل امر به الاخيرة فى افريقيا المتحدة على أن نحتل مركز الصـــدارة فى افريقيـــا المنقسمة على نفسها .

ويحاول أعداؤنا دائما أن يجعلوا الآخرين يصدقون أن افريقيـــا منقسمة على نفسها ، ففريق منضم الى الغرب والآخر الى الشرق .. « أى انها تتبع مذاهب أو قوى أجنبية » ومثل هـــذا العجز عن الفهم نفسره الحقيقة التى اتضحت من أن دعايتهم ضد الشعوب التى استعبدوها فترة من الزمان ، قد انتهت باقتناع المستعمرين بانحطاط الشعوب الخاضعة للاستعمار . ولكن شعوب هذه الدول المستعمرة قد مرت فى تاريخهـــا بالموقف الذى تمر به نفسه افريقيا اليوم ، ولذلك فانها لا تعير هــــذه الدعاية المغرضة أى اهتمام . وهذه الدول قد نسيت أن مستقبل آفريقيا بعيد كل البعد عما حلموا بأنه سيكون ، وان افريقيا فى الغد ســـتكون طبقا لمشيئة أبنائها وحدهم .

وأفريقيا بالطبع ليست غافلة عن وجود كتلتين تؤثران فى السياسة العالمية ، وموضع الاهتمام اليوم ، هو معرفة المذهب الذى تعتنقه افريقيا والصراع بين الشرق والغرب يجعل المرء عاجزا عن تبين اهمية ذلك .. على الاقل بالنسبة لهؤلاء الذين لايدرون ماذا كانت هذه القارة لها وجهة نظرها او مذهبها المستقل ومن ثم ما اذا كان لها نظامها المختلف عن النظم الاخرى أو لا .. ونحن نعتقد أنه يجب لمصلحة كل من الكتلتين نسيان هذه المعركة ولو طوال الوقت المطلوب لتحقيق أهداف التطور الافريقى الذى يصب فى الحقل الرئيسى النشاط الانسانى .

وهاتان الكتلتان اللتان تتنازعان العالم : كتلة الغرب التى تتزعمها الولايات المتحدة والكتلة الشرقية التى تتزعمها روسيا ، واللتان يعتقـــد البعض أن افريقيا لابد منحازة الى احداهما .. هاتان الكتلتان تنســـيان هما والذين يعتقدون أن أفريقيا ستنحاز اليهما ، أن العالم لم يبدأ منذ خلق بالنظام الاستعمارى ، أو بهذا الانقسام الى كتلتين متعاديتين .. وهم ينسون أنه مذ مائة عام فقط ، لم يكن أى شـ ٠ ى يعلم أن الولايات المتحدة الامريكية أو روســيا سوف تصبحان أضخم أمتين فى العالم .. وهم ينسون أن تيار الحياة لن ينقطع ، وان مستقبل أفريقيا سيكون أولا ، وقبل كل شىء ، طبقا لارادة الافريقيين انفسهم ، بالرغم من كل العقبات التى تعترض طريق تاريخهم .

ومع بقائنا مخلصين للروح المعادية للاستعمار التى كانت طابع مؤتمرات « باندونج والقاهرة واكرا » ، نعلن بوضوح أن الجهد الافريقى الآســيوى المشترك الذى نقوم به للاسراع بالتحرير لكل الشعوب المستعبدة وانهاء التفرقة العنصرية فى كل اجزاء العالم ، لاتمنعنا من الاهتمام بالســـلام

العالمى ، وفى هذا الشأن ليست أفريقيا هى التى يجب أن تسأل عما اذا كانت منضمه الى هذا المعسكر أو ذاك بل اننا نحن الذين يجب أن نتوجه الى كلا المعسكرين بهذا السؤال الحيوى ، هـــل يؤكد كل منكما تحرير افريقيا أو يعارضه ، ؟ وبعبارة أخرى يجب أن نطرح السؤال التالى على النظامين « هل أنتم على استعداد لمساعدة شعوب افريقيا حتى تتمكن من تحطيم الاغلال التى تطوقها وتمنعها من أداء دورها كشعوب حرة؟» «والاجابة عن هذا الســؤال ستحدد موقف افريقيا تجاه النظامين الموجودين . فالذين سيصبحون حلفاءنا ، هم هؤلاء الذين يعتبرون مثلنا قضـــية الاستعمار قضية هامة من الناحية الدولية . ومرتبطة ارتبـــاطا مباشرا بقضـــية الســـلام العـــالمى . وسنختبر مدى اخلاص الـــكتلتين واخائهما واحترامهما لكل الشـــعوب بمدى مساهمتها فى الكفاح ضد اســـتعباد شعب لشعب آخر .

وكما أكد معظم زعماء افريقيا ورجال الدولة فيها ، فان افريقيـــا سوف نتعاون بعد تحررها مع كل النظم لتحقيق تطورها الاقتصـــادى وتقدمها الكامل فى مجال القيم الثقافية .

اننى أعتقد باخلاص أن هذه الحقبة من التاريخ ســـوف تشهد عهدا جديدا فى التطور الانسانى ، الذى سوف يستمر دون أن يغـــير الشكل المعاصر للعالم أو القيم التى تؤمن بها الشعوب والأمم .

واعتقد أيضا أن المصير النهائى للامم سيتوقف بصفة أساسية على طبيعة مقوماتها على مدى المسئوليات التى تتحملها فى عملية بناء المجتمع العالمى ، ومن ثم بناء العالم الجديد .

وهذا هو مايدعونى الى توجيه نداء الى كل هؤلاء الرجال المسئولين والى كل الامم التى تتحمل النصيب الأوفى من المسئولية فى الشـــئون العالمية ، والى كل الشعوب المستعدة للمساهمة فى بناء العالم الجديد .. العالم الذى سينتصر فيه الذكاء والقيم الانسانية .

أتوجه بهذا النداء بالأخص الى فرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا والبرتغال واسبانيا ، والى كل الشعوب الشقيقة والامم الصديقة حتى تقوم عن طريق تحطيم المذاهب القـــديمة ونبذ الشعارات البالية والتخلى عن الأثرة وامتيازات الماضى بالارتفاع بضمائرها الى مستوى المصـــالح المشتركة العامة لكل البشر .. وأن تعمل لمستقبل الانسانية ، وذلك بمساعدة افريقيا على تحرير نفسها من الاستعمار، ومن البؤس الاجتماعى والهوان .

ان افريقيا لاتطلب سوى النية الطيبة والتفاهم والاخلاص والتعاون من كل الشـــعوب ، لحماية الحضارة الانسانية وتطويرها ، بعد أن تم تشييدها حتى الآن قرنا بعد قرن فى بطء ومعـــاناة بوســـاطة الذكاء والفضائل والعلم الانسانى .

أما بالنسبة لنا ، فنحن واثقون تماما من أنفسنا، مؤمنون بالمستقبل معتقدون تماما أننا سنقف ضد سوء النية والحقد والارادة الشريرة .. ونحن من الجيل الافريقى الذى يمد يد الاخاء والصداقة الى كل الشعوب

لنعمل معا على تحقيق السعادة الحقيقية للجنس البشرى ، والاستخدام الكامل لكل فضائله ، بالاستعانة بالمصادر الاقتصادية والامكانيات الاجتماعية والثقافية للجميع .

ان كفاح هذا القرن هو كفاح الأمن ضد الحرب وضد الحاجة وهو كفاح الحرية ضد الاستعباد ، والمنطق ضد القوة ، والمساواة ضد الامتيازات .. انه كفاح المستقبل ضد الماضى .

والاختلافات التى تفرق بين المذاهب والشعوب يمكن أن تحل بروح جديدة ، وبطرق مبتكرة لم يسبق اتباعها فى التاريخ .. ويجب أن نتلمس طريقنا الى هذه الطرق أولا ثم نندفع بعد ذلك فى سبيلها .

ان الصفة المميزة لحياة الشعوب فى هذه الآونة تلخصها هذه العبارات «الرغبة فى الحياة ، اقتحام الحياة فى الحاضر من أجل المستقبل والكف عن الحياة فى الماضى الذى يقف ضد المستقبل » .

وجمهورية غينيا الوليدة ، وهى تتجه بثورتها نحو السلام والوحدة لا ترغب فى شىء آخر الا فى العيش فى اخاء وتضامن مع كل الشعوب التى تحب العدالة ، والتى ترغب فى وضع أسس سلام حقيقى ودائم فى العالم .

وغينيا تدمغ الاستعمار لا الدول أو الشعوب .. انها تريد المساواة ووحدة الشعوب ، دون اعتبار للون أو دين ، وهى تعتقد أن التعاون الأخوى والتعايش السلمى والسلام بين الشعوب يتضمن فى ذاته توضيحا للتقدم الانسانى فى العمل والعدالة والديمقراطية ، وتوضح الرغبة فى أن تكدس كل شعوب العالم نفوسها لتحقيق التقدم المتجانس لمصير البشرية جمعاء .

ان القارة الافريقية اليوم تمثل علامة استفهام .. ونرجو أن تتمكن رسالتنا ورسالة جميع الشعوب المخلصة فى العالم من المساهمة فى ايجاد اجابة لهذا الاستفهام الذى توجهه اليكم افريقيا فيما يختص بمصيرها .

العمل الايجابى فى افريقية

بقلم : كوامى نكروما

شهدت بداية عام ١٩٦٠ قمة القسوة وأعمال العنف المنظمة ضد الشعوب المحبة للسلام فى قارتنا •• وكان من أبرز الحوادث التى تشكل هذه القمة تفجير القنبلة الذرية بالصحراء الجزائرية بوساطة الفرنسيين، والاعتداءات الوحشية باتحاد جنوبى أفريقيا على الأخوة والأخوات الذين خرجوا فى اضرابات سلمية احتجاجا على القوانين التعسفية المهينة التى صدرتها حكومة الاتحاد .. وهذه الحوادث هى علامة على بدء النهاية الحتمية للسيطرة الأجنبية فى افريقيا .

وعلى الرغم من الاحتجاجات المتعددة التى أرسلت من جميع انحاء القارة الافريقية ، ومن الجمعية العامة للامم المتحدة الى الجنرال ديجـــول تعبيرا عن السخط على تفجير الحكومة الفرنسية للقنبلة الذرية فوق قارتنا فقد أصرت هذه الحكومة على تفجير القنبلة •• ونتيجة لهذا الاتجـــاه الوحشى غير الانسانى فقد اتخذت حكومة غانا اجراء سريعا هو تجميـد أموال وأرصـــدة المؤسسات الفرنسية فى غانا .. كما اتخذت بعض الحكومات الأخرى أجراءات حاسمة ضد الحكومة الفرنسية .

اخوانى الافريقيين ، أنكم تعلمون جميعا أن السيطرة الاجنبية فى افريقيا قد قسمت تماما شخصية شعوبنا الافريقية ، فطوال قرون كان الاستعمار يرزح خلالها على عاتق قارتنا الحبيبة ، أدخل الاستعمار فى عقول الافريقيين فكرة أن أصدقاءهم وأقرباءهم فى أجزاء أخرى من افريقيا هم مختلفون عنهم ، ولا يربطهم بالافريقيين فى باقى القارة شىء الا النادر البسيط •• وكان ذلك العمل فى صالح الاستعمار الذى لم يلجأ فقط الى سياسة التفرقة العنصرية ، بل الى التقسيم الصناعى لأراضى القارة مســتغلين ميولنا وغرائزنا القبلية . لقد بذروا بذور الخلاف ليحولوا بيننا وبين الوحدة .

ولذلك فاننا نلاحظ بفخر وسعادة كيف أن افريقيا التى أفاقت من سباتها ، تشهد اليوم عملية اعادة تكوين الشخصية الافريقيـــة •• وتصوغ روابط الوحدة القومية التى تكفل تحقيق هدفنا النهائى : وهو تحقيق اتحاد الولايات والجمهوريات الافريقية ، الذى يعتبر فى رأيى الحل الوحيد للمشكلات التى تواجهنا فى افريقيا اليوم •

أخوانى الافريقيين •• أصدقائى •• هناك سيفان مشرعـــان فوق قارتنا ، ويجب علينا أن نبعدهما : فهناك التجارب الذرية التى تقوم بها

الحكومة الفرنسية فى الصحراء الجزائرية ، وهنـاك سـياسة التفرقة العنصرية التى تتبعها حكومة اتحاد جنوبى افريقيا .

وانه لمن الخطأ الجسيم ه أن نعتقد ان حصـول بعض المناطق فى افريقيا على استقلالها التام ،سيعنى أوتوماتيكيا نهاية الصراع والكفاح، انه فقط بداية النهاية بالنسبة لهذا الصراع. اننا يجب أن نبحث ونعرف الاشكال المختلفة التى يتخذها الاستعمار الجديد الذى يتهددنا .. وبين هذه الاشكال الجديدة يجب أن نذكر الاستعمار « الذرى » الذى جثـم على افريقيا فى يوم مشئوم من أيام فبراير الماضى سنة (١٩٦٠) عندما فجرت الحكومة الفرنسية قنبلة ذرية فوق أرضنا ، وقد حملت الرياح المخلفات السامة الى أنحاء مختلفة من افريقيا ، بما فيها غانا ، برغم أن الخبراء الفرنسيين صرحواان الرياحلا تستطيع حمل هذا الغبار لمسافة تزيد على ٧٠٠ ميل من مكان الانفجـار .. وهذه التجـارب الذرية ضـارة الى أقصى حد ، ويمكن أن يـكون لهـا أوخم الآثار على كل المخاوقات .

وعلى الرغم من الاحتجاجات والمظاهرات التى قامت فى جميع أنحاء العالم بعد التجربة الأولى ، فان حكومة فرنسا قامت بتفجير قنبلتهـا الثانية .. وهذا العمل المجرد من الانسـانية لا يتحدى ضمير البشرية فحسب .. ولكنه يضـعف أيضا من الأسس التى قامت عليها الأمم المتحدة .

وكما ذكرت من قبل ، قامت حكومة غانا بتجميد الاموال الفرنسية حتى تتبين مدى الاضرار التى ستلحق بأموال وأرواح سكانها .. وبعد نفجير القنبلة الثانية استدعت سفيرها فى فرنسا . ولكن موقفا دقيقا كهذا يتطلب عملا جماعيا .

وهذا الاجراء الايجابى قد حقق نجاحا ملحوظا فى حركة الـكفاح الافريقى من أجل الحرية . وانى لمتأكد أنه يمكن أن ينقذنا نحن أيضا من اضرار هذه القنبلة .

ولو أن الاجراء المباشر الذى اتخذه المحتجون فى جميع انحاء العالم قد تكرر على نطاق واسع ، لكانت النتيجة من التأثير والنجـاح بحيث تشبه زحف الملح التاريخى الذى قام به غاندى ، ونحن هنا نحيىالمهاتما غاندى ونتذكر أن مذهبه فى المقاومة السلبية وعدم اسـتعمال العنف وعدمالتعاون ،قدطبق لاول مرة فى جنوبى افريقيا ؛ ضد مظاهر التفرقة العنصرية التى ما زالت تسمم جو هذا البلد التعس .

وهذا الاجراء الايجابى الذى اتخذناه بطريقته فى عدم اسـتعمال العنف قد استخدم فى جنوبى افريقيا لمقـاومة قوانين بطاقات المرور التعسفية . وقد استمرت هذه المقاومة بالرغم من مقتل الرجال والنساء والاطفال العزل ، على يد حكومة جنوبى افريقيا ،ونحن واثقون من أن ارادة الاغلبية سوف تسود فى النهـاية لانه مامن حكومة تسـتطيع الاستمرار فى فرض نظامها فى وجه المقاومة الواعية للجماهيرالمظلومة من أبناء شعبها .

والاجراء الايجابى المباشر الذى سيتخذ فى المستقبل ضد التجارب

الذرية الفرنسية ، يمكن أن يتخذ شكل محاولة سلمية للزحف الى منطقه التجارب .. ولا يهم الا ينجح أى شخص فى الوصول الى الموقع نفسه ، فان الاثر الذى يحدثه زحف مئات من جميع انحاء افريقيا ، ومن خارجها مخترقين الحدود المصطنعة التى تقسم أفريقيا ، معرضين أنفسهم لخطر السجن والاعتقال ، سيكون مظهرا من مظاهر الاحتجاج لا يستطيع الشعب الفرنسى والعالم كله تجاهله . ولنتذكر دائما ان انفجار السلام لن يحترم التقسيم المصطنع الذى فرضه الاستعمار على قارتنا المحبوبة .

وقد وافتنا الأنباء أخيرا أن الجنرال ديجول قد صرح بأنه ان كان بعض الدول الأخرى لديها من الأسلحة الذرية ما يكفى لتدمير العالم كله، فان فرنسا يجب أن يكون لديها من هذه الاسلحة مايكفى للدفاع عن نفسها .. وأنا أود أن أقول هنا وأظنكم بلا شك تؤيدوننى فى ذلك ان افريقيا لاتهتم بهذا الدفاع، الذى لايعنى غير الرغبة فى المشاركه فى شرف تدمير البشرية .

اننا فى افريقيا نريد ان نعيش وأن نتقدم واننا لم نحرر انفسنا من قرون العبودية والاستعمار لكى ندمرنا الاسلحة الذرية .. اننا لانهدد أحدا ، كما أننا نرفض الاعتراف بهذه الأسلحة الجماعية الفتاكة التى تهدد وجود الحياة نفسها فوق هذا الكوكب .. ونحن نضع ثقتنا فى الضمير الانسانى اليقظ الذى يعارض هذه البربريه البدائية ، ونؤمن بشدة فى العمل السلمى الخالى من العنف .

وحين نذكر الأشكال الجديدة للاستعمار والسيطرة ، علينا ألا ننسى أشكاله القاسية التى تجثم بكلكلها فوق أجزاء مختلفة من قارتنا ، مثل الجزائر وأنجولا وكينيا ورواندا أوراندى ونياسالاند وجنوبى أفريقيا.. والعطف السلبى الذى تبديه الجماهير الافريقية ، يجب أن يتحول الى مشاركة ايجابيه فى النضال لتحقيق الحرية التامة لافريقيا .

ان أفريقيا قارة مقدسة لاتسمح بظهور المدعين الزائفين بين ربوعها وفى القريب العاجل سوف تتطهر قارتنا من كل أشكال الاستعمار ، لأن لهب الوطنية الذى اندلع فى كل أنحاء أفريقيا سوف يحيل البقايا الأخيرة للاستعمار الى رماد . ان العالم المتدين يقف مرتعدا ازاء الاضطهاد الاجرامى للافريقيين فى جنوبى افريقيا ، وان هذه الوحشية التى تقوم بها حكومة اتحاد جنوبى افريقيا لهى أكثر خطورة من تفجير فرنسا للقنابل الذرية فى الصحراء .

وانه لامر يدعو الى السخرية أن يدعى حكام جنوبى أفريقيا أنهم مسيحيون . ان المسيح اذا ظهر اليوم فى جنوبى افريقية ، فسوف يقوم هؤلاء الحكام بصلبه اذا تجرأ على معارضة قوانين التفرقة العنصرية الوحشية ..ان قوانين التفرقة العنصرية والأسلحة الذرية يجب أن تهز ضمير العالم المسيحى .. ولكن ماذا تستطيع كنائس العالم عمله ازاء هذه الأعمال المخالفة للمسيحية ..

اخوانى الافريقيين ، انها وجهة نظر خاطئة ان الافريقيين غير قادرين على تحمل مسئولية شئونهم الخاصة ، وأن الوصاية الأوروبية

يجب أن تستمر لمصلحة افريقيا نفسها ٠٠ وفي ضوء مثل هذه الشكوك المصطنعة والآراء المغرضة عن افريقيا وشعبها ، فان الحـــاجة الى غرض قضية الحرية وأفريقيا تبدو ضرورية ٠

ان مشكلة الأمن والسلام فى قارتنا ليست قضية أكاديمية ٠ ان الرجال والنســاء والاطفال يموتون كل يوم بفعل الاجراءات الحربية أو الارهاب البوليسي .. واللاجئون الجزائريون هم خير شـاهد على هذه المأساة ٠ وفى أقصى جنوبى القارة لم يفخر المدافعون عن سياسة التفرقة العنصرية صراحة بكميات العتاد الحربى التى يجمعونها للقضـــاء على الأفريقيين الذين يلجئون الى المقاومة السلبية ضد هذا النظام الجــائر فقط ، ولكنهم قد سلطوا أخيرا نيران دبابات ساراسين الفتاكـــة على الافريقيين ، مما صدم الضمير العالمى ٠ وفى شرقى وسط أفريقيا يعانى القادة الابطال وآلاف المناضلين فى سبيل الحرية من ألوان الاضـــطهاد والعقاب لتجرؤهم على طلب حريتهم ٠

والعنف والتهديد به الذى نراه هذه الايام هما استمرار لطـابع الاستعمار خلال عشر السنوات الاخيرة ٠٠ فذكريات مأساة « سافيه » والابادة الوحشية لشعب كينيا من الارض والسماء مـــا تزال ماثلة فى أذهاننا ٠

اننا نريد أن ندعم الحرية ، ونؤكد الأمن والطمأنينة في أفريقيـا ولكى نحقق ذلك يجب انتحشد جميع قوى الشعوب للمقاومة السلبية احتجاجا على هذه الاعتداءات ولاجراء التغيرات الاجتماعيه والسياسية الضرورية لمنع الاحتكاكات المســـتعلة وهذا هو العمل المقدس المنوط بكل منا ٠

ولقد رددت دائما الحقيقة القائلة بأن أفريقيا ليست امتدادا لاوربا أو أية قارة أخرى ، وان محاولة «بلقنة (١) » .فريقيا أمر لايتفق مع وحدتها وتقدمها ٠

ويجب ألا تشغلنا مشكلات استقلالنا السياسى العاجلة عن الالتفات الى الميدان الاقتصادى . فهنا فى افريقيا اكثر من اى مكان اخر يجب أن نبحث عن مشروعات الاستعمار السياسى .. ومن جانب آخر يجب أن نعثر فى الميدان الاقتصـــادى على مفتاح التعاون الاقتصادى المثمر مع الامم الاخرى ، على مستوى وظيفى أول الامر ولكنه يقود الى وحـدة سـياسية واقتصاديه كاملة ، يمكن ان تشمل مناطق واسعة لتمتد فى النهاية بعرض وطول قارتنا المحبوبة .

ومن المحاولات التى تبرز الحركة الاستعمارية الجديدة التى أشرت اليها ضم أجزاء معينة من افريقيا الى التكتلات الاقتصادية التى اقامتهـا

---

(١) يقصـــد باصطلاح «البلقنة» التقسيم ، على نحو ما انقسم البلقان بعد استقلاله عن الدولة العثمانية ثم حدثت الحروب بين شعوبه تنازعا على الحدود .

أوربا الصناعية مثل ضم الكونجو ودول المجموعة الفرنسية الى السوق الأوروبية المشتركة . والفائدة الرئيسية لن تعود على شعوب هذه الاجزاء من افريقيا التى لاتستطيع شراء المنتجات الغالية لأوربا الصناعية ولكن الفائدة ستعود على الصناعة الاوروبية ، التى ستضمن لنفسها الحصول على المواد الأولية بأسعار رخيصة ، وبدون ضرائب جمركية . وفضلا عن ذلك ، فان هذا الاجراء يمنع قيام الصناعة فى افريقيا التى تحتاج صناعتها الى الحماية فى السنوات الأولى لقيامها — من المنافسة غير المتكافئة من جانب الدول الصناعية .

وافريقيا يجب أن تتطور صناعيا لمصلحتها الخاصة ، ولمصلحة الاقتصاد العالمى السليم .. ولا يمكن حدوث هذا ، الا اذا تحطمت هذه الحدود المصطنعة التى تقسمها ، لتقام مكانها وحدات اقتصادية سليمة تنتهى بوحدة افريقيه شاملة .. وهذا معناه انشاء سوق افريقيه مشتركة ، ومنطقة نقد مشتركة والعمل على تقدم المواصلات من جميع الانواع لتسهيل الانتقال الحر للخدمات والبضائع . ورأس المال العالمى يمكن أن تجذبه مثل هذه المناطق الاقتصادية ، ولكن لايمكن أن تجذبه افريقيا المنقسمة الممزقة ، التى تضيع جهود أقسامها الصغيرة فى منافسة اقتصادية انتحارية لامعنى لها مع جيرانها .

وهذه الاجراءات لايمكن تنفيذها كلها فى الحال .. ولكن يمكن ان يبدأ الآن تطوير الطرق والمواصلات التلغرافية بين الدول الافريقية المتجاورة ، وانشاء سوق اقتصادية مشتركة بين الدول المستقلة تختص بالمنتجات الصناعية . وقد يترتب على اقامة هذه السوق أن تفقد الدول المشتركة بعض دخلها ، ولكنها ستضع دعائم كل تقدم صناعى مستقبل فى افريقيا .

والعامل الهام الذى يتوقف عليه سلام وأمن هذه القارة اصرار افريقيا الكامل على انها ليست امتدادا لاوربا أو غيرها من القارات ويتبع هذا العامل الاصرار على أن افريقيا لن تكون كبش الفداء فى الحرب الباردة أو ميدانا للصراع بين الشرق والغرب ... وبهذا المعنى لا نولى وجها ناحية الشرق أو الغرب ، ولكننا نتجه الى الامام .

وطوال السنوات العشر الماضية ترددت فى السياسات العالمية نغمة الحرب الباردة ونحن نفهم المخاوف الموجوده لدى الطرفين ، والتى ادت الى هذا الاستقطاب المؤسف .. ولكن الافريقيين لا يريدون أن يصبحوا اطرافا فيها .. ولقد راينا ماذا يحدث حين تزج الدول الصغيرة فى هذا الصراع ، كما راينا ما يمكن حدوثه حين تسود روح باندونج ، وحين تستخدم القوى التى تقف خارج الصراع وساطتها الحسنة عن طريق الأمم المتحدة ، كما حدث عند محاولات وقف الحرب الكورية ، وهذا هو الدور الذى تريد الدول الافريقية أن تلعبه ، وأنا ارفض قبول هذا المبدا الذى يقول « ما دمت لست معى فأنت ضدى » لان شعارنا هو « الحياة الايجابى » وبهذا نساهم فى اقرار السلام العالمى والتقدم الدولى . ولهذا فان المواثيق الحربية والدفاعية بين الدول

الافريقية والسلطات الاستعمارية السابقة . نضر تماما بمصالح القـارة على العموم وحيث انه لا توجد نوايا عدوانية لدي أية دولة افريقيـة ، فان هذه المواثيق والاتفـاقيات تجر هذه الدول الى مخططات الحرب الباردة الخاصة بالقوى الكبرى ..واكثر من ذلك فانهذه المواثيق تضع أكثر من عقبة فى طريق تنسيق سياستنا لتحقيق الوحدة الافريقية .

ولا يمكن ان يكون هناك سـلام أو امن فى افريقيا دون حرية أو وحدة سياسية . وطالما ظلت بوصة واحدة من الارض الافريقية تحت الحكم الاستعمارى فسيظل هناك احتكاك ونضال . وطالما ظلت أية جماعة فى هذه القارة تنكر مبدأ « رجل واحد .. تصويت واحد » ، وتستعمل قوتها للابقاء على امتيازاتها فسيظل هناك تهديد بعدم الاطمئنان والأمن ضد القوى الضاغطة الراغبة فى السيطرة وثورة دائمة من جانب الذين يقع عليهم الضغط ..وهذه هى الحقائق الأولية للحياة فى افريقية اليوم ولم يرغب أحد فى هذا الموقف ، ولا يستطيع أحد أن يقف ضد التيار ، أو يغير اتجاه «رياح التغيير» ونحن نكره العنف ، ولا نميل الى العمـل السلمى ، ولكن التجربة أثبتت أن التغيير اذا تأخر وقوعه ، فانه لابد من حدوث ، العنف ليس لأن الرجال يريدونه ، ولكن لأن مآسى الماضى تثب فجاة ، يصحبها غضب كاسح .

وفى هذا الضوء يجب أن نشاهد هذه الحوادث الدامية المؤسفة مثل حرب الماو ماو فى كينيا ، والنضال فى الجزائر ، والحوادث فى الكاميرون وغيرها والمدافعون عن الاستعمار يجب أن تكون لديهم عيون لترىوآذان لتسمع .. وما لم يستجيبوا لضغط الاحتجاجات السلمية ، فسـوف يحصدون محصولا من العنف لايريده أحد .

ونحن الذين تقدمنا الصفوف فى الدعوة الى تحقيق الوحـدة الافريقية ، فعلنا ذلكبنظرة خاصة ، فقد وصف لنا التاريخالمآسى التى حدثت فى كل قارة فوق هذا الكوكب ، مثل الحروب العالمية والثورات ولقد عزمنا على ألا يتكرر هذا التاريخ المؤسف . لقد أغرقت القـارة الافريقية بالدماء فى الماضى . واغير عليها طلبـا للعبيد وقسمت الى اجزاء واستغلت وسـلبت .. ونحن لا نريد لها مستقبلا به اثر لهذا الماضى واذا نجحنـا ويجب أن ننجح ، فان الجنس البشرى كله وليس افريقيا وحدها سـوف يجنى فوائد هائلة . وان الرجال ذوى البصائر النافذة والمعرفة الواسـعة يقرون جميعا بأن مستقبل العالم سـوف يتقرر فى افريقية .

ونحن نرحب بالرجال ذوى النوايا الطيبة الذين يريدون الانضمام الينا ، بغض النظر عن جنسهم أو ديانتهم أو جنسيتهم . وحين أتحدث عن أن افريقيا للافريقيين ، فيجب عدم تفسير ذلك فى ضوء المعنى الحرفى لهذه العبارة لاننى لا أومن بالعنصرية أو الاسـتعمار ، فعبارة « افريقيا للافريقيين » لا يعنى طرد الاجناس الاخرى منها ، ولكنها تعنى فقط ، أن الافريقيين الذين يكونون بطبيعة الحال الاغلبية فى جميع أنحـاء أفريقيا يجب أن يحكموا أنفسهم بانفسهم فى بلادهم .. والكفاح هو من أجـل مستقبل الانسانية وهو كفاح على درجة عظيمة من الأهمية .

ان خلاصنا وقوتنا وطريقنا الوحيد للخروج من هذه المآسى الكائنة فى افريقيا انما يكمن فى الوحدة السياسية .. ويبدو أن هؤلاء الذين يشكون فى أماكن قيام مثل هذا الاتحاد قد نسوا بسرعة دروس التاريخ فان مساحة روسيا الشاسعة والعقبات الكأداء التى وجدتها فى بدءقيامها لم تحل دون أن تبنى عظمتها عن طريق الوحدة ، وذلك عندما اتحدث ثمان عشرة جمهورية متباعدة ، وكذلك لم يمنع انبساط مساحة أمريكا والعقبات التى وضعها الاستعمار فى طريق الوحدة من قيام اتحاد ضم تسع وأربعين ولاية (١) واذا كانت هذه الدول قد استطاعت ذلك ، فلم لاتستطيع أفريقيا أيضا ؟ وأكرر قولى بأن شيئا لن يحول بيننا وبين اقامة اتحاد بين دول افريقيا ، سوى مخاوفنا وشكوكنا التى لاأساس لها .. ولكن تذكروا أن مخاوفنا ستجعلنا نخسر ما قد نحققه غالبا من الاقدام على المحاولة .

ان الرد الوحيد على المصاعب المتعددة التى تواجه قارتنا هو الاتحاد الحقيقى بين دولنا المختلفة .. وان اتحادا حقيقيا سياسيا هو الذى سيضاعف من جهود الشعوب الافريقية لتدعيم السلام والأمن فى العالم.

---

(١) أصبح عدد الولايات الآن خمسين بعد انضمام آلاسكا .

الفصـــل الثانى

مشكلات الحــرية

غانـــــا

عندما وافق برلمان غانا فى التاسع من اغسطس سنة ١٩٦٠ على ارســـال جيش غانا الى اقليم كاتانجا بجمهورية الـــكونجو الوليدة المضطربة أظهر البرلمان بذلك حرصـــه على تحقيق الوحدة بين الدول الافريقية الحديثة المنشـــأة جنوبى الصحراء . وعلى الرغم من ان غانا نفسها لم يـــكن قد مضى على استقلالها اكثر من ثلاث سنوات ونصف الســـنة ، الا انها كانت فى ذلك التـــاريخ اقدم من اكثر من اثنتى عشرة دولة افريقية حديثة . كما انها كانت مع القادة الذين يدعون الى انشاء ولايات متحدة افريقية .

وخلال الفترة القصيرة التى انقضت منذ الاستقلال ، قطعت غـــانا مراحل واسعة لبناء اقتصاد متقدم ومتين ومتنوع ٠٠ وقد نشرت الرخاء والامكانيات الثقافية ، وعملت على تنمية عدد آخر من الخدمات العـــامة بشكل لا يمكن أن تقارن به التنميـــة التى تمت خلال التـــاريخ الطويل للسيطرة البريطانية فى غانا ٠ ولكن شيئا من ذلك لم يتم دون اضرار سياسية ودون اتهامات بالاستبداد يوجهها الخصوم فى الداخل والخارج

وفى المقال التالى يناقش أ ٠ م ٠ هالم سفير غانا بالولايات المتحدة نتائج الاستقلال فى غانا ، ويذكر بعض المصاعب التى صادفت بناء أمة فى دولة افريقية تقع جنوبى الصحراء .

ظهور غانا كدولة مستقلة

بقلم : و . أ . هالم

عندما ولدت غانا فى السادس من مارس سنة ١٩٥٧ ، انتهى بذلك فصل طويل من السيطرة الاستعمارية وقد احتفل بهذا الحدث البارز فى كل أنحاء افريقيا ، وفى دول كثيرة خارج القارة باعتباره نصرا لمبدأ الحكم الذاتى فى افريقيا ، ودليلا على كفايتها . كما كان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ افريقيا المستعمرة .

ومنذ أن بنى البرتغاليون قلعتهم فى « المينا » سنة ١٤٨٢ ، ظلت غانا (التى كانت تدعى قبل ذلك ساحل الذهب) على اتصال مستمر بأوروبا الغربية .. وبينما ترك هذا الاتصال مظاهره الضارة التى سببت الكثير من البؤس والمعاناة للسكان ، فقد كان له أيضا بعض آثاره الحسنة مثل نظام التعليم الذى أدخلته الكنيسة .

ولقد ظهر الوعى السياسى فى غانا منذ أمد طويل .. فمنذ تسعين عاما تقريبا حاول الزعماء أن يحثوا الادارة البريطانية على تنفيذ بعض الاقتراحات التى تستهدف الاصلاح السياسى ، وكان الرد هو القاء القبض على بعض هؤلاء الزعماء .. وفى سنة ١٨٩٧ عندما أصدرت الحكومة الاستعمارية قانونا بنقل ملكية الاراضى المشغولة من الشعب الى التاج البريطانى ثار زعماء القبائل وبعض القادة على ذلك القانون ، واستطاعوا بفضل اصرارهم وحكمتهم ودأبهم أن يحملوا الحكومة على سحبه . وبذلك نجت غانا من مصير الافريقيين الذين جردوا من أراضيهم لمصلحة الأوروبيين الراغبين فى الاستيطان .

وبعد الحرب العالمية الأولى تضامن زعماء غانا السياسيون والزعماء فى بلاد أخرى مثل جامبيا وسيراليون ونيجريا ، لتكوين المؤتمر الوطنى لغرب افريقيا البريطانية .. ثم تقدم هؤلاء القادة البعيدو النظر بمقترحاتهم الى الحكومة البريطانية . وقد شملت هذه المقترحات اصلاح الحكومة والعمل على تقدم التعليم والتوسع فيه وخاصة فى مستوى الجامعات .. وحتى ذلك الوقت كانت حركة الاصلاح والتقدم السياسى فى أيدى رجال من ذوى الثقافة الرفيعة يعملون فى المحاماة والطب والأعمال التجارية وزعامة القبائل .. وعلى الرغم من أن نجاح حركتهم لم يكن كاملا ، الا أن آراءهم قد أثرت فى زعماء الأجيال التى جاءت بعدهم .

وفى سنة ١٩٣٠ انتشر الوعى السياسى بين طبقات المدرسين والكتبة والصيادلة وباقى الطبقة المثقفة التى يطلق على أفرادها «ذوى الياقات البيضاء » وكان ذلك بفضل الدكتور دنكاو المحامى والكاتب

والسياسي المشهور ودكتور ازيكوى رئيس جمهورية نيجيريا اليوم . والذى كان وقتئذ يعمل محررا لاحدى الصحف ومحاضرا فى غانا .

وقد قوبلت هذه الجهود بمعارضة السلطات الاستعمارية التى لم تكن تقبل حينئذ مبدأ الحكم الذاتى لاية مستعمرة افريقية وعلى كل حال فقد غيرت الحرب العالمية الثانية كل ذلك .. اذ أدى انهيار هتلر وفكرته عن العنصر الســامى ، الى سيادة مبادىء الحرية مجردة عن الجنس واللون والعقيدة .. كما أيد ميثاق الأمم المتحدة بعد ذلك مبدأ الحكم الذاتى وجعله هدفا من أهداف نظام الوصاية ،وكان لهذه المبادىء تأثير كبير على السلطات الاستعمارية حملتها على القيام ببعض الاصلاحات .

وبعد الحرب العالمية الثانية تألفت منمظات سياسية هدفها الاساسى تحقيق الحكم الذاتى والاستقلال فى أقصر وقت ممكن .. ولأول مرة ظهر متخصصون فى العمل السياسى يجوبون البلاد نيابة عن الاحزاب لشرح برامجها ، وكان حزب الشعب الذى أنشأه وقاده دكتور كوامى نكروما هو أكبر الاحزاب السياسية فى البلاد . وقد سار التطور فى غانا وسط جو هادىء فيما عدا حادث واحد من حوادث العنف سنة ١٩٤٨ .

وخلال تقدم غانا فى طريق الاستقلال ، كان اقتصادها يقدم لهـــا أكبر سند ممكن .. فعلى الرغم من أنها تنتج الاخشاب والمعادن النفيسة مثل الذهب والمنجنيز والماس والبوكسيت ، فان غانا بلد زراعى فى المرتبة الأولى ، تنتج حوالى ثلث الانتاج من الكاكاو ويشتغل بالزراعة حوالى مليون ونصف المليون من سكانها .

ويقوم بتسويق الكاكاو فى أنحاء العالم «مجلس تسويق الكاكاو الغانى » المثل فيه الزارعون تمثيلا كاملا ، وســياسة التسويق التى يتبعها المجلس تهدف الى حمـــاية الفلاحين من الانهيـــار المفاجىء فى الاسعار .

ولكن الاعتماد الكامل على محصول واحد يعرض البلاد للخطر .. ولذلك تعنى حكومة غانا بتنويع الانتاج الاقتصادى ، وذلك بتنفيذ مشروع الفولتا (١) الذى ستؤدى زيادة الطاقة الكهربية المولدة منه الى استغلال معدن البوكسيت وتقدم الصناعات الأخرى .

وقد اتخذت الخطوات الاولى لتحقيق نتيجة تقـــرير اللجنة الملكية التى ندبتها الحكومة البريطانية للتحقيق فى حوادث سنة ١٩٤٨ كما جاء الاصلاح الدستورى نتيجة لتقرير اللجنة التى كان يرأسها سير « جيمس هنلى كوس » سنة ١٩٥١ .. وفى سنة ١٩٥٤ صدر دستور جديد يتيح للبلاد مزيدا من الحكم الذاتى .. وفى السنة نفسها جرت انتخابات جديدة فاز فيها حزب الشعب . وفى ذلك الوقت ارتفع سعر الكاكاو ، وكان واضحا أن هذا الارتفاع سوف يزيد من كمية النقود الداخلة الى البلاد ، ولكن لم تكن هناك زيادة فى الواردات التى ينفق عليها منتجو الكاكاو

---

(١) هو نهر فى غانا . ويشبه مشروع سد الفولتا من حيث آثاره المرتقبة هناك . مشروع سد أسوان العالى عندنا .

نقودهم . وكان هناك فى الوقت نفسه خوف من التضخم الذى سيعانى منه باقى أفراد الشعب من غير منتجى الكاكاو ، مثل الكتبة والموظفين .

ومن هنا قررت الحكومة تثبيت سعر الكاكاو الذى يبيع به الفلاح عند نسبة تكفى للتشجيع على استمرارهم فى زراعته .. وأن تكون من الفرق بين سعر الشراء والبيع رصيدا ثابتا للأزمات .. وقد قوبل ذلك بمعارضة بسيطة كما تكون حزب معارضة جديد وجد ترحيبا من جانب زراع الكاكاو .

وبعد فترة قصيرة تألف حزب جديد سمى بحركة التحرير الوطنية ، جعل هدفه المطالبة بسعر أعلى لشراء الكاكاو من الزارعين كما طالب بالتحقيق فى حوادث الرشوة والنساء بالجهاز الحكومى ، واتهم الحكومة أيضا بأنها لم تظهر احتراما كافيا لسلطان الحكام التقليديين .. وبذلك أيده زعماء القبائل ، والكثير من اقليم قبائل الاشانتى الذى يعتبر اقليم الغابات الرئيسى بالبلاد ، والذى ينتج أكبر قدر من الكاكاو .. وقد قام أنصار هذا الحزب ببعض الاضطرابات فى اقليم الاشانتى ، ومن هنا وجد الكثير من المحايدين الذين لاينتمون للاحزاب السياسية ، ان الحكومة يجب أن تتخذ اجراءات لقمع هذه الاضطرابات . ولكن امور الأمن الداخلى كانت فى ذلك الوقت من اختصاص الحاكم البريطانى . وقد أجريت انتخابات جديدة فاز فيها حزب الشعب الفانتى ، ولكن نقصت الأغلبية التى فاز بها عما كانت عليه من قبل . كما كونت أحزاب المعارضة « وهى : حركة التحرير الوطنية ، وحزب شعوب الشمال ، والمؤتمر التوجولاندى ، وحزب الرابطة الاسلامية » ، جبهة واحدة ، ثم طالبت بتقسيم البلاد الى : ولاية للاشانتى وولاية شمالية . وعقدت الكثير من الاجتماعات بين الحكومة والمعارضة للتقريب بين وجهات النظر المختلفة ، وتدخل مستر لينوكس بويد وزير المستعمرات البريطانى ، وأخيراً قبلت الحكومة أن تضمن دستور الاستقلال شروطا انشائية من الصعب اصلاحها ، مثل انشاء مجالس اقليمية ، والنص على حماية حقوق الاقليات .. وانتهى الامر أخيرا بعقد تسوية بين الحكومة والمعارضة .

والحق أن الدستور الذى تم كان مليئا بالعيوب .. وقد جرد الحكومة من كثير من سلطاتها الحيوية .. ولذلك فقد وجد بعد ثلاث سنوات أنه لابد أن يحل مكانه دستور جديد .. وكان أهم ما اشتمل عليه هذا الدستور الجديد هو أن الملكة اليزابيث لم تعد ملكة على البلاد ، بل أصبحت غانا جمهورية رياسية .

ولقد تعرضت غانا لحملة عنيفة من النقد فى البلاد الخارجية نتيجة للاجراءات التى اتخذتها الحكومة لقمع الاضطرابات التى قامت بها المعارضة .. وعلى كل حال فيجب أن نتذكر أن الحكومة قد فعلت ما تستطيع لتأكيد مبادىء الديموقراطية البرلمانية خلال هذه الفترة الحرجة .

ان السياسة الخارجية لغانا تقوم على الصداقة والتعاون مـــع كل الأمم ، ولذلك اتبعت سياسة الحياد الايجابى .. كما انها تؤمن بأهداف ميثاق الأمم المتحدة .. كمـا تؤمن بالقرارات التي اتخذها مؤتمـــر باندونج ، ومؤتمرات الدول الافريقية المســتقلة بأكرا فى ابريل ســنة ١٩٥٨ واديس بابا فى يونيو ســنة ١٩٦٠ .. وكذلك تؤمن غانا بوجوب قيام اتحاد بين الدول الافريقية المستقلة .

لقد نجح استقلالنا بفضل تصميم شعب غانا وحكومته ، ونحـــن نسعى لتحقيق الاستقلال والحرية لباقى أجزاء افريقيا .

جمهورية الكونغو

قليل من الحوادث الدرامية التى وقعت فى افريقيا تشبه ذلك الاستقلال المفاجىء لجمهورية الكونغو . فالى عهد قريب كان الكونغو يمثل فى أذهان الناس كل الصفات المميزة لافريقيا المتوحشة البدائية .. كان أرض الغوريلا والأقزام .. أرض الطقوس القبلية الغريبة .. أرض الغابات العميقة الغامضة .. كان الكونغو هو افريقيا ستانلى وكونراد . ولكن فجأة ، استيقظ العملاق . ونفض عن نفسه شبح ليوبولد ، واستعاد شخصيته كدولة افريقية مستقلة .

ان الكونغو أكبر وأغنى دولة افريقية حرة .. يبلغ عدد سكانها مايقرب من أربعة عشر مليونا ، مقسمين على ما يقرب من مائتى قبيلة . وبعد أن كانت ملكا خاصا للملك ليوبولد ، أصبحت مستعمرة بلجيكية سنة ١٩٠٨ . وفى السنوات التالية ، أصبحت بفضل الاكتشافات المعدنية الواسعة ، أهم مناطق افريقيا - فى المناطق الواقعة جنوبى الصحراء . وقد اتبع البلجيكيون سياسة مزدوجة : فكانوا يحاولون تحسين المستوى الاقتصادى للعامل الافريقى ، ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يحاولون أن يحدوا من آماله السياسية والثقافية - ولكن لم يكن من الممكن الابقاء على ذلك الفصل فى السياستين فسرعان ما زادت المطالبة بالاستقلال منذ سنة ١٩٥٠ . وفى مؤتمر بروكسل الذى عقد فى يناير سنة ١٩٦٠ أسقط فى يد البلجيكيين ، فوعدوا بمنح الكونغو استقلاله بعد ستة أشهر ، وفعلا أعلن الاستقلال فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ .

ولكن الأحداث التى وقعت بعد ذلك كانت أول اضطرابات مخلة بالنظام تتسم بالخطورة ، تميز انتقال مستعمرة أوربية الى دولة حرة فى افريقيا .. لقد أظهرت هذه الاضطرابات كيف أن البلجيكيين قد تركوا الكونجو ، دون أن يعدوه على الاطلاق للاضطلاع بالأعباء الادارية التى تنتظره .. وكان البلجيكيون يتوقعون هذه الصعوبات قبل أن يقوموا بانسحابهم المرسوم ، كما يتضح ذلك فى الخطاب الذى ألقاه لومومبا (الشهيد) رئيس الوزراء ، أمام ملك بلجيكا ، فى عيد الاستقلال ، والذى تقف اتهاماته للحكم الاستعمارى أمرا حزينا مضادا لجهوده من أجل الوحدة وآماله فى السلام والرخاء .

اســتقلال الكونجـو

بقلم باتريس لومومبا

صاحب الجلالة ..

سيداتي .. سادتي ..

أيها الكونجوليون والكونجوليات ..

أيها المناضلون فى سبيل الاستقلال الذين انتصرتم اليوم ..

احييكم باسم حكومة الكونغو ..

وأطلب منكم جميعا ، أيها الأصــــدقاء الذين حاربتم بجانبنا دون انقطاع ، أن يظل هذا اليوم ، « الثلاثون من يونيــــو سنة ١٩٦٠ » ، محفورا في قلوبكم .. هذا التاريخ الذى ستنقلون معناه بفخر الى أولادكم، حتي يلقنوه بدورهم الى أولادهم وأحفـــادهم ، ويعلموهم تفاصـيله الرائعة لكفاحنا فى سبيل الحرية .

واذا كان استقلال الكونجو قد أعلن اليوم ، بالاتفاق مع بلجيكا ، التى أصبحت اليوم بلدا صديقا ، نقف معه على قدم المساواة .. ، فان أى كونجولي جدير بالانتســاب الى وطنــه « لا يستطيع ان ينسى أن هذا الاستقلال قد تحقق بالكفاح الطويل الدائب .. الكفاح الوثاب المثالى . الكفاح الذى لم نبخل عليه بقوتنا ، ولا بحرماننا من « الضروريات » ، ولا بما عانينا من متاعب ولا بدمائنا .

وهذه هى حصيلتنا من ثمـــانين عاما قضيناها تحت الحـــــكم الاستعمارى .. ان جراحنا مازالت تنزف ، وهى مازالت تؤلمنا ، ولـــن نستطيع أن نسدل عليها ستار النسيان ونمحوها من ذاكرتنا .

لقد خبرنا العمل الشاق المرهق نبذله مقابل أجور لم تكن تسمح لنا بأن نأكل حتى نسكت صوت الجوع في احشائنا ، أو بان نلبس أو نســكن فى احترام ، أو بأن ننشىء أولادنا باعتبارهم أحب المخـــلوقات لدينـــا .

لقد خبرنا السخرية والاهانات والضرب ، توجه الينا فى كل وقت ، صباحا وظهرا وليلا ، لا لشىء الا لأننا « زنوج » ..! من سينسى أنهم كانوا يخاطبون الزنجي باحتقار ، وبالفاظ مجردة من كل احترام ، لا بصفتهم اصــدقاء ، ولكن لان الفاظ الاحترام والتوقير كانت وقفا على البيض فقط ؟

لقد رأينا أرضنا تستنزف باسم نصـــــوص قانونية ، لم تكن فى الواقع غير سلطة القوى وجبروته ٠

لقد رأينا القانون لا سوى فى المعاملة بين البيض والسود ٠٠ فحينما نجده متساهلا انسانيا بالنسبة للبيض ، فهو فى الوقت نفسه قاس غير انسانى بالنسبة للسود ٠

لقد رأينا القسوة المتناهية التى يعانيها الذين يسجنون بســبب آرائهم السياسية أو معتقداتهم الدينية ٠٠ لقد رأيناهم ينفون فى قلب بلادهم ، ورأينا مصيرهم أسوأ من الموت نفسه ٠

لقد علمنا أنه فى المدن توجد منازل رائعة للبيض ، وجحور صغيرة للزنوج ، وأن الزنجى لا يسمح له بدخول دور السينما أو المطاعم ، ولا بدخول ما يسمى بمحلات الأوربيين ، وأن الزنجى حين يسافر فاما سيرا على قدميه ، أو قابعا فى جوف قارب ٠٠ أما الأبيض فبسيارته الفاخرة ٠

وأخيرا من سينسى المشانق ، والحرائق الشاملة ، التى أبيد بهـا العديدون من اخواننا ، أو الزنزانات المخيفة التى ألقى فيها بوحشـــية هؤلاء الذين نجوا من طلقات الجنود ٠٠ هؤلاء الجنود الذين جعل منهـم الاستعمار أدواته وزبانيته ؟

من كل هذا عانينا الكثير أيها الاخوة ٠

ونحن الذين بانتخابنا لممثلينا نهدف الى حماية بلدنا الحبيب ، ونحن الذين عانت أجســادنا وقاوبنا ظلم الاستعمار ، نحن ، نخبركم اليوم ، أن كل هذا قد انتهى اعتبارا من اليوم والى الأبد ٠

لقد أعلن قيام جمهورية الكونغو ٠٠ وأصبح بلدنا الحبيب اليوم فى أيدى أبنائه وسنبدأ معا أيها الاخوة الجهاد من جديد ٠٠ الجهاد المقدس الذى سيقود بلدنا نحو السلام والرفاهية والعظمة ٠

وسنشيد معا أيها الاخوة صرح العـــدآلة الاجتماعية ، ونكفل لكل فرد حقه العادل مقابل عمله ٠

سنطلع العالم كله على ما يستطيع الرجل الاسود انجازه عندمــــا يعمل فى حرية وسنجعل من الكونجو مركز النشاط فى افريقيا .

وسنحرص على أن يستفيد أبناء الأمة من أرضهم ٠

وسنراجع كل القـــوانين السابقة ، ونسن أخرى جديدة تتصف بالعدل والنبل وسنضع نهاية لكبت حرية الرأى ، وسنجعل فى استطاعة المواطنين أن يتمتعوا بالحريات الاساسية التى وردت فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ٠

وسوف ننجح فى منع كل أنواع التفرقة ، وسنعطى كل فرد مكانه العادل الذى تؤهله كرامته الانسانية وعمله واخلاصه لوطنه ٠

وستعمل على أن يسود السلام ٠٠ سلام القلوب والنيـــة الطيبة ، وليس سلام البنادق « والسونكى » ٠

ومن أجل ذلك أيها المواطنون الأعزاء٠٠٠ لتثقوا أننا سنعتمد تماما ، ليس فقط على قوانا الهائلة أو ثرواتنا الضخمة ، ولكن أيضا على مساعدة الدول الأجنبية التى سنقبل معوناتها مادامت تتسم بالشرف ، ولا تسعى الى فرض أى نظام سياسى مهما كان علينا ٠

وبهذا الخصوص ، فان بلجيكا ــ التى فهمت أخيرا منطق واتجاه التاريخ فلم تعد تعترض طريق استقلالنا ــ على استعداد لمدنا بمساعدتها وصداقتها ٠٠ وقد وقعنا معا ، وكدولتين مستقلتين على قدم المساواة ، معاهدة بهذا المعنى ٠٠ وأنا على ثقة بأن هذا التعاون سيحقق الفائدة والنفع لكلينا ٠ ونحن من جانبنا ، « وان كنا سنظل يقظين » ســـنعرف كيف نحترم الالتزامات التى نرتبط بها ٠

وبهذا ، فانه سواء فى الشئون الداخلية أو الخـــارجية ، سيصبح الكونجو الجديد الذى ستنشئه حكومتى دولة غنية حرة مزدهرة .ولكى نصل الى هذا الهدف دون تأخير ، أطلب منكم جميعا أيها النواب والمواطنون الكونجوليون ان تعينوننى بكل ما أوتيتم من قوة .

اننى أطلب منكم جميعا أن تنسوا الخلافات القبلية التى تستنزف قوانا ، وتجعل منا سخرية بين الأمم ٠

وأطلب من الأقلية البرلمانية أن تساعد حكومتى بالمعارضة البناءة ، وأن تظل دائما داخل الحدود القانونية والديموقراطية ٠

أطلب منكم الا تطالبوا من يوم لآخر بزيادات فى الأجـور قبـل أن يتوافر لى الوقت الكافى لأنفذ خطة شاملة ، آمل عن طريقها ضمان رفاهية هذه الأمة ٠

وأطلب منكم ألا تحجموا عن بذل أية تضحيات نضمن بها نجـــاح مشروعاتنا الهائلة .

وأخيرا ٠ ٠ أطلب منكم جميعا أن تحترموا ، دون قيد أو شرط ، حياة وممتلكات مواطنيكم ، وحياة وممتلكات الأجانب الموجودة فى هذه البلاد ٠٠ واذا بدر من هؤلاء الأجانب سلوك مشين ، فان عدالتنا ستكون حاسمة فى اقصائهم عن أراضى جمهوريتنا أما اذا كان سلوكهم مرضيا ، فيجب ان يتركوا فى ســـلام ، لانهم يعملون أيضا فى سبيل رفاهية وطننـــا وازدهاره . وهذا هو ما اردت ان اخبركم به ــ اخـــوانى فى الجيش واخوتى فى النضال ورفاقى باسم حكومتى فى هذا اليوم المجيد ٠٠ يوم استقلالنا التام وسيادتنا الكاملة .

وحكومتنا القوية الوطنية الشعبية سيكون على يديها خلاص هذه البلاد ، والاجلال والتقدير لابطال التحرير الوطنى ٠٠

وعاش الكونجو حرا مستقلا .

الفصل الثالث

افريقيا فى مرحلة الانتقال

تانجانيقا

وتانجانيقا مشهورة بأنها واحدة من المناطق القليلة فى افريقيا التى تعرف باسم أفريقيا الشرقية البريطانية ـ والاقليمان الآخران ، هما كينيا وأوغندا . وعلى الرغم من وجود بعض المناطق المرتفعة التى يمكن أن تقارن من حيث درجة الحرارة ومعدل سقوط الامطار والخصوبة بالمناطق المرتفعة فى كينيا ، فان الاقليم لم يجذب الا عددا قليلا من المستوطنين البيض . أكثرهم من غير البريطانيين . ويبلغ عدد البيض هنــاك ٢١ ألفا ، وعدد الآسيويين ثمانين ألفا وعــدد الافريقيين حوالى ٨٫٧٥٠٫٠٠٠ موزعين على ١٥٠ قبيلة مختلفة .

وتانجانيقا مشهورة بأنها واحدة من المناطق القلية فى افريقيا التى يمكن العثور فيها على حيوانات الصيد البرية .. وجبل كليمانجارو فى تانجانيقا معروف للامريكيين أكثر من البلاد نفسها (١) .. وأكبر مناجم الماس فى العالم خارج اتحاد جنوبى افريقية موجود فى تانجانيقا . ومن المتوقع العثور على معادن أخرى ذات قيمة فى تلك البلاد الواسعة المجهولة جنوبى خط الاستواء .

وفى المقال التالى يحدثنا مستر دريك بريسسون عن الامكانيات الاقتصادية وخطط التنمية الاقتصادية فى بلده : تانجانيقا .

---

(١) ربما بسبب رواية الكاتب الامريكى ارنست همنجواى والتى أخرجتها السينما أيضا باسم « ثلوج كليمنجارو »

صراع الغد في تانجانيقا

بقلم دريك بريسسون

الواقع أن تانجانيقا بلد متخلف ٠٠ فكثير من سكانه ٠ أميـــون ٠ ومتوسط دخل الفرد منهم منخفض أشد الانخفاض ٠ ولذلك فان عمـــلا ضخما وجهودا تنتظر شعبه وحكومته ٠

وقد تأخر التطور الصناعي فى تانجانيقا ، لأن الصناعة قد اختارت أن تبدأ بتطوير جارتها كينيا ٠ فتانجانيقا كانت موضوعة تحت الوصاية، ولذلك فانها كانت موضع تخوف أصحاب رءوس الأموال الذين اختاروا كينيا لاقامة مشروعاتهم الصناعية لأنها مستعمرة بريطانية يحيط بهـــا الضمان والأمن . ولقد عانت تانجانيقا سنوات طوالا ، لأنها وهى التى تزيد مساحتها على نصف مساحة شرقى افريقيا وعدد سكانها يقرب من نصف عدد سكان المنطقة ــ ظلت تستخدم كسوق للبضائع التى تنتجها باقى بلاد السوق المشتركة ٠

ولذلك فقد أعلن شعب تانجانيقا الحرب على الجهل والفقر والمرض ، وأعلن نوابه أنهم بعد أن أصبحوا مسئولين عن الحكومة ، فان شعارهم اليوم ليس الحرية فقط « بل الحرية والعمل الشاق » ولمحاربة الجهـــل وللقضاء على المرض لابد من النقود ، ولهذا لابد من العمل الشاق ، خاصة فى الحقل الزراعى ، لأن الزراعة هى العمود الفقرى لاقتصاديات البلاد.

والمحصولات النقدية التى تغل أكبر دخل للبلاد هى : القطن والبن والشـــاى والحركة التعـــاونية تنتشر الآن فى البلاد وتنمو .. والبن والقطن يتم تسويقهما الآن عن طريق منظمات تعاونية للزراع .. منظمات حازت اعجابهم لما ظهر لهم من فوائدها ولحســـن الحظ فهم شـــعب تانجانيقا بسهولة مبادىء هذه الحركة التعاونية ، لأن حياتهم الاجتماعية التقليدية ليست غريبة عن هذه المبادىء . والمنظمات التعاونية الحالية مخصصه لتسويق القطن والبن .. ولكن يحتمل أن تنبثق منظمات أخرى لتسويق المواد الغذائية فى القريب العاجل ٠

ومشكلة المواصلات مشكلة عاجلة ٠٠ وهناك مثل للطريقة التى يمكن بها حل هذه المشكلة ، هو الطريق الموصل الى سفوح جبل كليمانجارو ، المتفرع من طريق موشى أروشا القديم ٠٠ وقد أنجز هذا الطريق خلال الثلاث أو الأربع سنوات الأخيرة ولكن على طول السبعة أميال التى يشقها

الطريق ، أصبحت هناك على كلا الجانبين مزارع كثيفة ، في حين لم تكن توجد قبل شق الطريق الا بعض مزارع للماشية • كما يجب العناية بتحسين طرق الزراعة ووسائلها ، والاهتمام بانتقاء البذور •

ونحن اليوم في تانجانيقا نستورد البطاطس ، رغم أننا بلد زراعى غنى بالحقول الخصبة .. ونحن نستورد أيضا بآلاف الجنيهات لحم الخنزير ومشتقاته ، بالرغم من أنه يمكن بسهولة تربية الخنازير في مناطق المرتفعات •• ونستورد أيضا الخضراوات واللحوم والمربى . وهذا يرجع الى نقص التنظيم والتسويق ، الذى يجب أن تكون معالجته هي أولى واجبات الوزارة الوطنية • وتوجد آلاف وآلاف من الأميال المربعة من الأراضى الخصبة الحسنة الرى لا يعيش فيها غير عدد قليل من الناس في مستوى منخفض ، وذلك راجع بالأخص الى صعوبة المواصلات والى نقص الجهود المنظمة •• فمثلا هناك وادى كيلو مبيرو العظيم الخصيب ، ينتظر التطوير والعمل : وهناك مشروعات عظيمة كل ما ينقصها المال •• وقد قام خبراء منظمة الزراعة والتغذية بدراسات هامة مفصلة لمشروعات الرى ، وتوليد الكهرباء من مساقط المياه •• ففي الشمال يوجد مشروع بانجاني الذى يتضمن بناء مجموعة من السدود تبدأ برى الأراضى المرتفعة بالقرب من كليمنجارو ثم تنتهى بمحطة توليد الكهرباء بالقرب من تانجا •

وهناك مشروع نمت دراسته منذ سنوات عن الأراضى الخاوية في جنوب مرتفعات مبارالى •• وقد قدر أحد الخبراء مساحة الأراضى الممكن زراعتها في هذه المنطقة . بأكثر من مليون فدان • وقد نشر أخيرا تقرير عن المصادر الهائلة لوادى روفيجى . .ففي مكان واحد من هذا الوادى يمكن اقامة مشروع لتوليد الكهرباء ، ينافس مشروع كاريبا في الحجم والانتاج •

وفي أراضى الاقليم الغربى غير المستغلة حول نهر مالافاراس ، يمكن انشاء مراع هائلة تسد النقص الذى يعانيه شعبنا من اللحوم •

ويخبرنا خبراء الجيولوجيا أن تانجانيقا بها امكانيات هائلة في حقل الانتاج المعدنى .. وبرغم ذلك فالقليل من هذه الامكانيات فقط هو الذى عرف .. وسوف يستغرق البرنامج المرسوم لمسح البلاد كلها مسحا جيولوجيا مدة أربعين عاما .. فبجانب مناجم الماس التى تسمى مناجم وليامسون ، توجد مناجم غنية للذهب في اقليم البحيرة ، يرتفع انتاجها عاما بعد آخر .. وحقول الرصاص في الشمال الغربى تنتظر الاستغلال الواسع . والايام تأتى باكتشافات جديدة واحدة وراء الأخرى .

كما أن الغابات تمثل مصدرا للدخل لم يستغل بعد استغلالا كاملا .. ويجب تنفيذ الخطط بمجرد وضعها فيما يختص باستغلال كل مصادر الثروة القومية .

وفي بلد مثل تانجانيقا يجب أن تبذل عناية زائدة بالأرض التى نعتمد عليها هذا الاعتماد الكبير .. وفي الماضى لم تكن تستغل مساحات

شاسعة من الاراضى بسبب نظام الزراعة الذى كان متبعا ، وعدم اتباع طرق وقاية التربة والمحافظة عليها.. ووقاية التربة ومصادر المياه مسائل هامة وعاجلة بالنسبة لنا هذه الأيام .. ويجب على القادة أن يقوموا بتوعية الشعب باهمية غطاء التربة ، وطرق الزراعة الحديثة وذلك فى الوقت الحاضر وفى المستقبل .

والتطور الصناعى كما أسرت من قبل لم يبدأ بعد تقريبا .. والآن بعد أن أصبح المستقبل آمنا ومستقرا .. وبعد أن أصبح فى امكاننا ضمان نقدم المشروعات التى يقبل المستثمرون على استغلال أموالهم فيها، فانه يمكننا أن نتوقع زيادة سريعة فى هذا النوع من الاستثمار .

والفرص كثيرة ، وقد تكون العقبة فى بعض الأماكن هى القوى المحركة .. ولكن هذه العقبة سوف تختفى بمجرد تنفيذ مشروعات توليد الكهرباء من مساقط المياه . والمواصلات بدورها عقبة من تلك العقبات .. ولكنها موضع اهتمامنا فى تانجانيقا ، ولذلك يجب أن نكون متفائلين والبلاد شاسعة ،والأسواق صغيرة ومتناثرة على نطاق واسع ،وبانتشار التعليم سوف تزداد مطالب الناس واحتياجاتهم ، وسوف يصبح ممكنا اشباعها باستغلال موارد البلاد واقامة المشروعات .

وكثير من المحصولات المحلية تحتاج الى تصنيعها داخليا لسد حاجة جماهيرنا .. وهى الآن تصدر كموارد خام ، لترجع الينا بعد ذلك تامة الصنع .. وهذا شىء لا نريد رؤيته فى المستقبل ، فمثلا عندنا كميات كبيرة من الجلود الخام ، ومع ذلك فنحن نستورد الجلود المدبوغة .. ونحن ننتج ونصدر حوالى ٢٠٠ ألف بالة من القطن كل عام ، ومع ذلك فان الغزل اللازم لمصانع النسيج القليلة عندنا لا بد من استيراده وهكذا .

هذه هى بعض المشكلات التى تعترض نضالنا ضد الفقر ، ونضالنا من أجل زيادة الدخل القومى . الذى لا بد منه لنعلن الحرب ضد بقية الاعداء ، ضد الجهل والمرض .

وفى هذه الايام يذهب ٤٠٪ من أطفالنا الى المدارس الابتدائية وهناك يبدءون بدراسة المعارف الأولية .. ولكنهم قبل أن يتمكنوا من الدراسة الجادة ، يعادون الى منازلهم لعدم وجود أماكن بمدارس المرحلة الأعلى .. وطالب واحد فقط من سبعة طلاب هو الذى يستمر فى دراسته لمدة أربع سنوات أخرى بعد الدراسة الابتدائية (ومدتها أربع سنوات) . وبعد هذه السنوات الثمانية يجد عدد أقل من التلاميذ فرصتهم فى التعليم الثانوى ،حيث يقضون عامين آخرين قبل أن يتمكنوا من الالتحاق باحدى الجامعات .. ومجموع مدة الدراسة أربعة عشر عاما ، وعدد المحظوظين الذين أتيحت لهم فرصة التعليم كاملة فى كل شعبنا ، البالغ تعداده تسعة ملايين ، لايزيد على خمسين شخصا واذا أراد هؤلاء الالتحاق بالجامعات كان عليهم أن يذهبوا الى خارج تانجانيقا ، لأنه لا توجد فى بلادنا جامعة . وهم فى الغالب يذهبون الى جامعة ماكارير فى أوغندا ، وأحيانا الى انجلترا ، أو الولايات المتحدة ، أو الهند ولا شك أن من أول

الواجبات الملقاة على عاتقنا الاهتمام بانشاء جامعة محلية وكذلك الاهتمام بتطوير التعليم الثانوى حتى يؤهل لدخول المرحلة الجامعية ، زيادة عدد الاماكن الموجودة فى قمة الهرم ٠

وفى ميدان الطب يجب ألا يقل النضال فيه عن نضالنا فى ميدان التعليم .. وقد تكون الخدمات الطبية اليوم متوافرة ولكنها ما زالت قاصرة عن الوفاء بالضروريات اللازمة لشعبنا ٠٠ فمثلا فى احدى المناطق المزدحمة من بلادنا ، وهى سفوح جبل كليمانجارو تبعد مزرعتى الخاصة عن أقرب مستشفى مسافة ثلاثين ميلا ٠ والرمد والعمى وأمراض أخرى كثيرة تسبب المتاعب لبنى وطنى ٠٠ وهدف الحكومة الوطنية اليوم هو أن يكون هناك سرير لكل ألف شخص من المواطنين ٠٠ وقد يبدو هـذا هدفا متواضعا ، ولكننا برغم ذلك لم نبلغ منتصف الطريق اليه بعد ٠

هذه هى بعض المصاعب التى تجابه حكومتنا ٠ والنضال ضد هذه المصاعب هو موضع اهتمام شعبنا وقادته ٠ وقد كرسنا أنفسنا للتغلب عليها ٠ ونحن نأمل أن نساهم مع العالم فى اسعاد البشرية ، لأننـــا نعتقد أن ذلك مسئولية الأمم جميعا ، فتبذل كل أمه طاقتها لمســاعدة جيرانها ماديا ومعنويا ٠

والآن ٠٠ ما هو نوع المشاركة الذى تستطيع تانجانيقا أن تقــوم به ؟ ان تانجانيقا بلد غنى بامكانياته ، ولكنه فقير فى واقعه ، ومتخلف قليل السكان ٠٠ ولذلك فانه يستطيع أن يشارك فى ميدان العــلاقات الانسانية ٠٠ اننا نستطيع أن نقدم روحا جديدة ، وأملا جديدا الى عالم ، غنى بالماديات ولكنه فقير فى المعنويات ٠ ومن الناحية الاقتصادية ، نحن مقبلون على حرب ضد الجهل والفقر والمرض ، ومن الناحية السياسية سوف نكرس أنفسنا لبناء أمة تؤمن بالمثاليات ، وبالمساواة بين البشر ، وحقوق بنى الانسان وواجباته ٠٠ وأخيرا نؤمن بالمساواة بين المواطنين جميعا فى الحقوق والواجبات بقدر سواء ٠

كينيا

وصل أول فوج من المستوطنين البيض الى كينيا منذ ستين عاما مضت ، عقب اتمام سكة حديد أوغندا ، من مومباسا على المحيط الهندى الى كيسومو على الشاطىء الشمالى لبحيرة فيكتوريا وهم الآن يتراوحون بين ٦٥ ألفا و ٧٠ سبعين ألفا من السكان ، البالغ عددهم ستة ملايين ونصف تقريبا .. ومن هذا العدد يوجد مائتاألف من الاسيويين والعرب .. والبقية منالافريقيين .وتبلغ المساحات المخصصة للأوربيين حوالى ١٢ ألف ميل مربع من أخصب الاراضى فى المستعمرة ، وذلك مقابل المعازل المخصصة للافريقيين والبالغ مساحتها ٥٠ ألف ميلمربع وذلك باستثناء مناطق الصحراء غير المأهولة الكائنة بالاقليم الشمالى .. وعلى الرغم من أن المرتفعات البيضاء تقع على خط الاستواء الا أن ارتفاعها يلطف درجة الحرارة مما يجعل جوها لطيفا مقبولا ، كما يسبب سقوط الأمطار الغزيرة عليها .. ولا توجد هذه المزايا الا فى عدد ضئيل من المعازل الافريقية .

وقد استطاع المستوطنون الأوربيون عن طريق استخدام الأيدى العاملة الافريقية أن ينتجوا فى مزارع كبيرة البن والشاى (القنب الهندى) ومحصولات أخرى تكون الجزء الأكبر ، من ثروة المستعمرة .. ولكى يعملوا على تقدم مشروعات الزراعة والرعى الخاصة بهم ، قيد الأوربيون حركة الافريقيين ، ليس فقط بالاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضى بل بتطبيق عملية من عمليات الحجر عليهم فى المعازل القبلية . ونتيجة لزيادة عدد السكان والضغط المتزايد على الاراضى وخاصة خلال العشرين سنة الأخيرة ، فقد قامت حركة الماوماو سنة ١٩٥٢ .. ولم يعلن بعد انتهاء حالة الطوارىء التى أعلنت نتيجة لهذه الحركة التى قام بها رجال قبائل الكيكويو والميرو والامبو الا فى يناير سنة ١٩٦٠ .. ولقد راح ضحية هذه الحركة أكثر منثلاثين ألف افريقى وأقل قليلا من مائة أوربى وآسيوى .

وعلى الرغم من أن الزعماء الافريقيين اليوم فى كينيا لا يحبذون الالتجاء الى أساليب الماوماو ، التى أثارت الرعب ، لتحقيق مكاسب سياسة ، فان هناك ميلا مشتركا لدى كثير من الأوربيين والافريقيين على السواء ، للربط بين نشاط الماوماو وبين الاتجاه نحو الديموقراطية السياسية ، الذى بدأ منذ سنة ١٩٥٢ وبلغ مداه فى المؤتمرات التى عقدت أخيرا ، والتى كان من نتيجتها أن تأكدت للافريقيين فى كينيا حرية الانتخاب والترشيح ، وزادت مشاركتهم فى الحياة السياسية ،

ومنحوا بعض التسهيلات فيما يختص بتملك الأراضى فى المرتفعات البيضاء . ويتطلع القادة الافريقيون باخلاص الى المستقبل ، حيث يريدون أن يتحقق لهم مبدأ الانتخاب العام ، بمقتضى مبدأ « رجل واحد .. تصويت واحد » ، ثم يتحقق لهم الاستقلال فى نطاق الكومنولث .

والمشكلات التى لا بد أن يواجهها الكينيون من جميع الاجناس فى خلال عشر السنوات الحالية ، يعرضها ويناقشها ميشيل بلوندل عضو المجلس التشريعى ووزير الزراعة السابق ومؤسس جماعة كينيا وهى حزب سياسى هدفه التوفيق بين مختلف الأجناس فى كينيا .

مستقبل كينيا

بقلم : ميشيل بلوندل

عندما ذهبت الى كينيا أول مرة سنة ١٩٢٥ ، كانت القارة الافريقية عاملا مجهول الأثر فى الشئون الدولية ٠ كانت ترقد مثل جوليفر النائم، خامدة سالبة تثير المخاوف بأمراضها ، ومصاعب المواصلات والنقل فيها، أكثر من تأثيرها على العـــالم ٠ لقد كانت المسافة من تلبورى الى نيروبى تستغرق حينئذ ثلاثين يوما واليوم يقطعها المسافر فى حوالى سبع عشرة ساعة ولا شىء يبلور مدى الظروف اليوم عن ذى قبل ، أكثر من تبيان عدد الاسابيع والايام التى كانت لازمة فيما مضى ، لنقلنا من دوائر المال والاعمال المزدحمة بلندن ، الى النظام الرعوى فى سهول افريقيا وغاباتها الاستوائية ٠ ولم يكن أحد يفكر كثيرا حينئذ فى مســـتقبل البـــلاد الافريقية ٠

وكان من المعروف أن هذه البلاد ستتقدم بمضى الأيام ، بل وستحكم نفسها بنفسـها ٠٠ ولكن كان الجميع يظنون أن هذه العملية بعيدة ، لن تتم قبل مضى وقت طويل ٠٠ ولذلك لم يهتموا كثـــيرا بالتفكير فى من سيتولى عملية الحكم ، أو حتى فى كيفية اقتسام الاجناس المختلفة لعملية الحكم ٠

وفى الوقت نفسه ، كان الاهتمام محصورا فى مكافحة الامراض ، وبناء نوع من الاقتصاد المستقل ، وفى شق الطرق ومد الخطوط الحديدية واقامة الموانى وحفظ الأمن والنظام ٠ وما زالت هذه الاشياء اليوم حيوية وضرورية ، ولكنها أصبحت معقدة لان افريقيا لم تصبح منعزلة عن العالم أو مجهولة ، ولكنها أصبحت عاملا أساسيا فى الشئون الدولية ، وذات فائدة حيوية لشعوب العالم الحر ، لأن أولى الـــدول الافريقية الخالصة قد أصبحت تحكم نفسها بنفسها وسيتبعها غيرها ٠

وفى نهاية هذا القرن ستتم العملية ، وسيتوقف جزء كبـــير من رفاهية العالم وربما من أمنه أيضا ، على مدى نجاح عملية التـــحول هذه ٠٠ ليس هذا فقط ، بل اننا مشتركون على نطاق عالمى مع أمـــم أخرى من العالم الحر فى نضال هائل من أجـــل الحرية الشخصية ٠ ومركز القارة الافريقية فى هذا النضال العالمى يجب أن يؤثر الى حد كبير على نتيجتها النهائية ٠٠ ولذلك فانه من المهم لنا فى غمار اعدادنا لدول افريقيا لتحكم نفسها بنفسها وتأخذ مكانها فى المجتمـــع الدولى ، أن نتحقق أننا لن نهمل مهامنا هذه ، التى كانت أول وأهم ما يشغل بالنا ،

وذلك فى زحمة الاندفاع الذى يخلقه الصياح من أجل الحرية والاستقلال ، وأنا أشير هنا الى المحافظة على القانون والنظام ، وبناء اقتصاد راسخ دائم .

وبدون ذلك لن تستطيع هذه الدول أن تساهم فى تحقيق الرخاء للعالم الحر — وهذا الرخاء هو واحد من أسلحتنا ضد الشيوعية — وتحقيق مبادىء الحرية الشخصية .

واليوم فى جميع أنحاء افريقيا أصبح لكلمة ديموقراطية «قدسية» أشبه بقدسية الآلهة .. وأظن أن سبب هذه القدسية هو أنها كانت تمثل المفتاح الذى فتح باب الاستقلال فى غانا ، كما أنها — من الناحية العاطفية — هى الوسيلة التى يستطيع الافريقيون عن طريقها أن يثبتوا للعالم انهم ليسوا متأخرين او متخلفين بل ان لديهم انسانية ومقدرة مثل غيرهم من الشعوب . وبالنسبة للشعب البريطانى فان الضغوط القائمة على مبادىء الديموقراطية من الصعب مقاومتها ، لأن الديموقراطية قائمة على ايمان قوى راسخ بالحرية الفردية وبحقوق الاقليات وباحترام الملكية، وذلك كله بجانب اقتصاد ناضج .

ولذلك فاننا حين ننظر الى افريقيا نجد أننا نخلق أولا وبقدر الامكان اقتصادا يحمل فى طياته عوامل بقائه وتطوره من تلقاء نفسه ، وتستطيع كل أقسام المجتمع أن تقوم فيه بدور فعال . ويجب أن نعلم أن نهضة التعليم ذات أهمية كبيرة للديموقراطية ، حيث ينبع القادة تلقائيا ، ويستبدل بهم غيرهم نتيجة لعمليات النقد من الرأى العام .. وليست الديموقراطية طريقا للوصول الى السلطة مستغلين الفلاحين البسطاء غير المتعلمين ، وبمساعدة حفنة من الرجال يتمتعون بمزايا ثقافية أكثر من غيرهم . وسيتوقف على نجاحنا مستقبل القارة .. فاما أن تقوم مجموعة من الدول الناضجة المسئولة التى تساهم فى تدعيم الحرية الشخصية والرخاء فى العالم واما أن يقوم بدلا منها عدد من الدول البائسة ذات حكومات أوتوقراطية مؤقتة .

ولا يوجد مكان تصعب فيه عملية انشاء الديموقراطية هذه مثل كينيا ، حيث يوجد عدد من الأجناس ذات تراث ثقافى واجتماعى مختلف .. وبرغم ذلك فلا يوجد مكان آخر يجب أن تنجح فيه هذه العملية مثل كينيا .. ليس فقط لأن كل شرق افريقيا من مومباسا الى أقصى الشمال تعانى هذه المشكلات ، بل لأن هذه الشواطىء الشرقية هى أقرب المناطق الى مراكز التأثير الشيوعى . والصعوبة هى أن افريقية قارة مسرعة تتحرك على عجل ، فى حين نحتاج نحن الى وقت لنخلق الظروف الملائمة لنشوء نظام برلمانى مسئول . والصعوبة أيضا فى أن وجود أقليات من أجناس مختلفة قامت بصنع الاقتصاد الذى يتوقف عليه تقدم البلاد ، قد أوجد مستوى يشعر الافريقيون أحيانا ، وفى غمرة عجلتهم للوصول الى هدفهم ، أنهم لا يستطيعون اللحاق به .

وهذا أيضا يفرض قيدا على شعب بريطانيا العظمى يعوق برنامجه الذى رسمه لتحقيق استقلال كينيا الذى قد يسبب له المتاعب ، حينما

يبدو أنه يسير في اتجاه يخالف مبـــداه الخاص عن الديموقراطية ٠٠ وبرغم ذلك فان فرص النجاح كبيرة ، لأن وجـــود أقليات ، وخاصـــة الاوربية منها ، يجعل من الممكن ايجاد اقتصاد مستقر وفوق ذلك تجعل من الممكن المحافظة على تقاليد نظام برلماني ناضج ٠

وكما حاولت الايضاح من قبل ، فان الخطر الأكبر في كل هـــذه البلاد الافريقية هو أن النظام الديموقراطي يميل اما الى دكتاتورية القلة المتعلمة وســـيطرتهم على الكثرة غـــير المتعلمة ، راما الى انهيار النظام الادارى ٠٠ ونحن لا نوجه اهتماما كافيا الى تكوين هيئات للخدمة المدنية من بين قومنا المحليين ذوى الصفات الطيبة فاحدى نقط الضعف الخطيرة فى كل الدول المستقلة حديثا بافريقيا ، هى اعتمادها على موظفين مدنيين مستوردين ٠٠ وهذا يسبب مصاعب كثيرة حين يراد ضم النساء والرجال المحليين الى أعمال الخدمة المدنية ، وذلك لأسباب سياسية على أســـاس « أعمال للأولاد » بغض النظر عن المنتظر حدوثه نتيجة لذلك ٠ ولهـــذا فانني أريد أن أرى برنامجا لتدريب الملتحقين بالخدمة المدنية من جميع الاجناس خلال السنوات العشر القادمة ٠ ويجب أن نختار بعض المرشحين المناسبين من بين طلبتنا الذين يدرسون فى بريطانيا ونبذل مجهودا كبيرا لاغرائهم بالعمل فى الخدمة المدنية ٠ ويوجد حاليا عـــدد من الموظفين الاوربيين بالخدمة المدنية ، ولكننا نريد أن نجتذب موظفين من جميـــع الاجناس ٠ ان النجاح الحقيقى لأية حركة تهدف الى الاستقلال يجب أن يعتمد على مدى نجاحنا فى بناء خدمة عامة ، ذلك النـــجاح الذى يعكس التكوين العام للشعب فى بلادنا ، كما أنه يحافظ على المستويات العظيمة حقا التى أوجدتها لنا الخدمة المدنية الاستعمارية ٠

وعندما تصبح احدى مستعمرات الكومنولث حسنة الحظ فتصل الى مستوى من التقدم يؤهلها لحـــكم نفسها بنفسها ، فان كفاية الادارة الحكومية تصبح الاختبار الحقيقى للتقدم في المســـتقبل ٠ ان الحرية لا تقوم على الشعارات ٠٠ والحرية الشخصية أثمن من أن تضيع فى غمار الاندفاع وسط تجارب سياسية لا تســـوغها الضرورات الاقتصادية أو الكفاية الادارية اللازمة لخدمة مدنية متقدمة ٠

واننى أعتقد أننا فى كينيا نتحرك نحو الحـــكم الذاتى فى نطاق الكومنولث ومن الصعب على أن أتصور مثل هذا التطور قائما على غـــير النظام الدستورى المستقر ٠٠ وهذا يقتضى منا أن نتخذ الخطوات اللازمة ليصبح مواطنونا متعلمين ومســـئولين دون أن يهتموا باختـــلافاتهم العنصرية أو يسمحوا لها بأن تثير فى نفوسهم المرارة ٠

وفى مجتمعنا لا يوجد فقط ملايين الأفريقيين الذين يكونون اغلبية شعبنا ولكن يوجد أيضا الاسيويون مسلمين وهنـــدوسا ، وأصدقاؤنا العرب ، والأوربيون الذين اتخذوا من كينيا وطنا لهم ، وأصبحوا يمثلون اليوم الجيل الثانى أو الثالث من الكينيين الذين ينحدرون من أصـــل أوربى ولا يمكن أن ننسى أو نتجاهل أن اقتصاد كينيا المتين قد اعتمـــد على نشاط هذه الأقليات ومصادرهم ومهاراتهم الفنية . ونحن بلدزراعى

لا نملك مصادر معدنية كافية ٠٠ وكان طريقنا نحو الرخاء محفوفا بالكثير من العقبات ولقد بدأ الزراع الافريقيون الآن ينتقلون من الزراعة القائمة على الاكتفاء الذاتى ، الى زراعة المحصولات النقدية ٠

وفى المدن حيث يتزايد عدد المواطنين الذين يعيشون بها ، تتضاعف فرص الوصول الى مستوى معيشى ملائم ، لأن لدينا الكفاءة والمصـــادر اللازمة لبرنامج من التصنيع المزدهر .

وكل هذه التغييرات فى فترة الانتقال التى نجتازها اليوم ، تفرض مزيدا من الأعباء على قوانا البشرية فى وعلىنظرة الافريقيين الذين يرون من حولهم مصاعب وتغييرات لا يستطيعون فهمها كمجموعة ٠

وفى السنوات القليلة الماضية نشأ موقف صعب فى كينيا ، حيث بدا أنه لا توجد صورة واضحة للمستقبل ، أو لهذا النــــوع من الوطن الذى يجب أن نكونه ٠٠ وكان ذلك على الاخص حـــــين بدأت عواطف الافريقيين تجد مخرجا لها عن طريق بعض قادتهم المتطرفين ، فى ندائهم السلبى « افريقيا للافريقيين » ٠٠ وهذا النداء يبدو غير معقـــول ، اذا علمنا أن اقتصاد كينيا كله يعتمد على جهود الناس الذين ترجع أصولهم الى بلاد خارج كينيا ثم استوطنوا هنا ، سواء كانت هـــذه الجهود فى ميدان الزراعة أو التجارة ٠

وقد اجتمعت جماعة منا من كل الأجناس فى المجلس التشريعى بغرض تحديد الاتجاه الذى يجب أننسير فيه ..وكان أول ما صدمنا بقوة أكثر من غيره ـ هو صعوبة استمرار ترابطنا معا .. وكلجنس يؤمن ببقائه يؤكد هذا البقاء ويحرص عليه .. ولكنه لا يمتد بخياله الى مطالب وآمال الآخرين . وبرغم ذلك فان هناك حقيقة باقية وهى أننا هنا معا ولا يمكننا أن ينخلص بعضنا من بعض .. وبما أن الأمر كذلك ، فانه يجب أن نضع الخطط طبقــا لذلك ، وأن نخلق بقــدر ما نستطيع بلدا متحدا فىولاء سكانه وأفكارهم دون أنيفرقهمالتعصب العنصرى .. وبالنسبة لنا جميعا أعضاء مختلف الأجناس سواء كنا افريقيين أو هنودا أو مسلمين أو عربا أو أوربيين ، فاننــــا لم نعد ننظر الى أنفسنا باعتبارنا أجانب ، بل باعتبارنا مواطنين يرتبط مستقبلنا معا ، سواء أكان المستقبل سيئا أم طيبا .

ونحن مقتنعون أن هــذا المســتقبل يتوقف على حكومة ذاتية مسئولة فى اطار برلمانى ، وقائمة على اغلبية المواطنين الذين سيكونون افريقيين حقــــا ، يتجهون بولائهم الى كينيا ككل ، أكثر من اتجاههم بالولاء الى أجناسهم .

واظن أنه من المناسب ان نقول ان الفرق بيننا وبين الجماعات العنصرية المتطرفة ، هو أننا نريد شكلا برلمانيا للحكومة تمثل فيــه مصالح وأفكار أعضاء مختلف الأجناس ، على أن يصبح اعتبار الجنس فى هذه الحكومة فى المرتبة الثانية .. والجماعات العنصرية المتطرفة تريد التشكل نفسه للحكومة ، ولكن بشرط أن تتغلب عليها اما مصالح السود أو مصالح البيض .

وحزب جماعة كينيا الجديدة يسلك طريقا وسطا ، وهو يعلم مدى تعقد الأسئلة التي يجد العنصريون أن من الصعب جدا الاجابة عليها .. ونحن نعتقد أنه خلال تقدمنا نحو الحكم الذاتي يجب ألا نحطم كتلة مواطنينا الافريقيين بفرض شروط للمواطنة يعتقدون أنهـا معوقة لتقدمهم ، كما انه يجب الا يكون تقدمنا سريعا لدرجة تؤدي الى تدمير نظامنا الاقتصادي والاداري الذي يتوقف عليه ازدهارنا ونجاح مستقبلنا .

وافريقيا اليوم قارة متعجلة .. ولكن اذا قدرنا مدى المطالب والسعادة الانسانية فاننا لن يمكننا الاسراع ، فهناك الكثير الذي يجب بناؤه من العناصر البشرية التي ما زالت جاهلة وغير ناضجة . وبرغم ذلك فأنا اعتقد ان انشاء دولة تحكم نفسها حكما ذاتيا في نطاق الكومنولث قد يساعدنا على تخفيض مدى السرعة ، ويزيل أيضا الخوف من أن تتقدم علينا البلاد المجاورة التي تشجع النزعات العنصرية .. اننا لن نستطيع ايقاف نضوج وطننا المتزايد ، ولا نستطيع أن نقف ساكنين دون حراك وفوق ذلك فاننا لا نستطيع أن يتجنب بعضنا بعضا . ومعرفة هذه الحقائق تبين لنا الخطوات التي يجب أن نخطوها لنحقق هدفنا .

أولا أن السيطرة الاستعمارية البريطانية المستمرة تحتاج الى اختبار أهدافها فكثير من الناس ينظرون اليها كحيلة تحميهم من الحقائق التي لا يحبونها .. فبالنسبة للافريقيين في هذه اللحظة يتوقف املهم في التقدم على الاستقرار الاقتصادي والمالي الذي يسببه نشاط الأوربيين الهنود المسلمين . وبالنسبة للأجناس الأخرى تلوح أمامهم، الحقيقة التي تبين أن دولتنا المستقلة سوف تكون مكونة في الغالب من الافريقيين . وبعيدا عن الحماية الخالصة فاننا ما زلنا في حاجة الى النظام الاستعماري لأسباب ثلاثة : الأول بناء اقتصاد يمكننا من انتاج معظم الخدمات والجهاز الاداري لدولة حديثة ، والثاني هو انشاء خدمة مدنية محلية سوف تؤدي بنا الى الاستقرار داخل هذا الجهاز الاداري ، والسبب الأخير هو تطوير نظام الحكومة مما سيمكننا من اتخاذ الخطوات الضرورية في طريق الاستقلال . وأنا لا أريد التحدث كثيرا عن انشاء اقتصاد يصمد لاختبار الأيام .. فهذا الأمر يبدو لي واضحا تماما .. اما بالنسبة لبعض الافريقيين فانه يبدو حيلة أخرى يقوم بها الأوربيون لمنعهم الامساك بمقاليد الأمور . ويجب علينا على الأقل أن نفعل كل ما نستطيع لنرى أن الاقتصاد منتشر على أوسع نطاق ممكن غير الميدان العنصري وليس مركزا في أيدي عناصر بذاتها. كما أنني مقتنع انه من الافضل أن يؤدي الزعيم الافريقي دورا في الحكومة المحلية والحكومة المركزية ليتحقق من الدور الحيوي الذي تؤديه النواحي المالية في اى قرار .. كما اعتقد أنه من الواجب أن نعمل على اتصال القادة الافريقيين برجال المال والأعمال في كينيا وفي الخارج على السواء ليعلموا الأسس التي يقوم عليها الاستثمار ، ومدى أهمية الاستقرار بالنسبة له .. ومعظم الأشياء التي علمتنا اياها التجربة القاسية في الحقل المالي يرفضها الافريقيون باعتبارها عوائق توضع في طريقهم لمنعهم تولى مقاليد الأمور في بلدهم .

ولذلك فنحن نؤمن بضرورة تطوير نظام برلمانى ملائم لحاجات كينيا ومطالبها .. وتوجد الآن مدرستان فكريتان بالنسبة لهذه الأمور، المدرسة الأولى تضم هؤلاء الذين يدافعون عن الديموقراطية الحقة ، والمدرسة الأخرى تضم هؤلاء الذين يرفضون الديموقراطية باعتبارها أمرا غير مرغوب فيه بأى حـــال بالنسبة لافريقيا وفى كينيا يجب الا ننسى أبدا ـ بالرغم من أن هذا قـد يعجب أصحاب النظريات الحرة ـ أن اقلية صغيرة من الأوربيين والهنود والمسلمين والعرب يدعمون البلاد بنشاطهم الاقتصادى ، الذى يتوقف عليه امل ونهضة خمسة ملايين ونصف من الافريقيين .. ليس هذا فقط ، بل ان هذه الجهود التى بذلتها الأقليات قد مهدت كينيا لتصبح دولة عصرية ومركزا لنشـــاط منطقة فى مساحة أوربا الغربية بعـــد أن كانت بلدا استوائيا غامضـــا ومتخلفا وفقيرا فىموارده الطبيعية. والحكومة القائمة علىالديموقراطية الحقة ، تعنى اليوم ولسنوات كثيرة مقبلة ، ابعاد عناصر المجتمعتماما عن التأثير السياسى .. ونعنى بها هذه العناصر التى تولد الثروة التى يعتمد عليها تقدمنا . وفى مثل عدم نضوجنا الحـــالى قد يكون تطوزنا هذا خطرا ، وبعض القادة فى افريقيا لايعتبرون الديموقراطية صيحة تطالب بالاسراع بالتطور المنظم لفـكرة الحكومات القـائمة على تبادل الآراء بين الناس ، وانما يعتبرون انها الامساك فى الحالبمقاليد السلطة فى أيديهم .

ولقد أقلقنى الترديد الدائم لعبـارات مثـــل « سـيادة ارادة الغالبية » وذلك فى نغـــــمة عنصرية بوساطة بعض قادتنا . وهذا يدل على الانكار التام لمعنى النظام البرلمانى ، وهو الاحترام لآراء وحقـــوق الأقلية الحالية التى قد تصبح هى الأغلبية غدا . وفى الوقت الحاضر، توجد هـــوة سحيقة بين قلة القـــادة الافريقيين المتعلمين وباقى الكتلة الشعبية ، سواء فى التدريب أو الثقافة أو التجـــربة مما يؤدى الى فقدان واحدة من الملامح الأساسية للنظام الديمقراطى واعنى بها النقد الواعى المسئول الذى تشيد على أساسه الآراء ذات القيمـــة والذى يعرف منه الزعماء الديمقراطيون اتجاهات الرأى العام .. وبمعنى آخر فان حقلنا التعليمى يعتبر الى حد كبير لم يمس بعد .. حتى ان العدد القليل الذين استفادوا منه ، ينظر اليهم كأنهم أعمدة للحكمة.. وحتى يتسع ذلك الحقل ، فلا اظن انه من الحكمـــة ، أو حتى من الممكن أن نشرع فى توسيع دائرة الانتخاب ليصبح انتخابا عاما .

وقد أشرت من قبل الى هؤلاء الذين يشعرون أن الديموقراطية ليست مناسبة لحل مشاكل القارة .. وكما قلت فان الديموقراطية تعتبر مجرد وسيلة للوصول الى السلطة . وبما أن تقـــدم كينيا هو موضع الاعتبار ، فأنا أعتقد ان جزءا كبيرا من التفكير فى عدم مناسبة النظام البرلمانى لافريقيا يعتبر تفكيرا اكاديميا ، لانه لا يوجد خيار فى ذلك ، طالما أن الشعب البريطانى هو المسئول بعد أن قبل المسئولية التامة عن مستقبلنا .

واذا كان ذلك مقبولا .. فيجب حينئذ أن نسأل انفســـنا عن الاسس التى يستند اليها نظامنا البرلمانى . يخيل الى أنه فى مستوى

التقدم الحالى لكينيا فان نظام الانتخاب العام سيكون خطرا ، لانه سيكون نظاما عنصريا خالصا ، كما أن الغالبية العظمى من الناخبين ستكون أمية غير متعلمة .. لذلك يجب أن نبدأ بتحديد الانتخاب ، بأن يكون مشروطا بشروط خاصة بالثقافة والملكية كما كان الحال فى معظم البلاد الغربية حين بدأ فيها النظام البرلمانى . وحقيقة الموقف هو أن نؤكد سيادة الحرية الفردية واسلوب الحياة الديمقراطى ، وأن نفرض النظام على أنفسنا وعلى الآخرين ، والا فسوف نفشل فى عملنا .

ونحن لا نؤمن باضطهاد الافريقيين .. وفى الحقيقة نحن نقبل — فى ظل الدولة التى تحكم نفسها بنفسها فى نطاق الكومنولث ، والتى نريد انشاءها — نقبل أن تكون أغلبية المواطنين المثقفين القادرين من الافريقيين .. وانا أؤكد ذلك ، لأنه مهما كان حق الانتخاب مقيدا ، فانه سيسمح بزيادة تقدم الشعب الافريقى ونضوجه . وكل محاولة لزيادة الشروط الانتخابية ، والتى قد تؤدى الى جعل الافريقيين اقلية ، محكوم عليها بالفشل . وكل ما يجب علينا عمله ، هو أن توجد الشروط التى تتيح للمتعلمين والناضجين من العرب والهنود والأوروبيين ، أن يساعدوا على الزيادة المستمرة فى عدد الافريقيين المشتركين فى النظام الانتخابى بحيث يمكن ايجاد نظام ثابت للانتخابات لا يتسم بالعنصرية .

وعلى هذا الاساس يمكن تنفيذ السياسة التى ترسمها بريطانيا لنا ، وفى الحقيقة أن القضية فى وطننا ليست ما اذا كنا سننال الديمقراطية ، ولكن القضية هى ما اذا كانت بريطانيا سوف تشرف على الانتقال المنظم الى مرحلة الحكم الذاتى ، الذى يجب أن يشترك فيه كل شعب كينيا بروح وطنية وليس بروح عنصرية ، أما اذا كنا سنسرع ، عبر فترة انتقال تتسم بالفوضى ، وتبقى السلطة خلالها فى أيد غير متعلمة ، أو ربما فى أيدى أغلبية مستسلمة قد تخلت عن حريتها الشخصية .

ويجب أن نشرع فورا فى مهمة انشاء دولة فى كينيا . ويجب ان نقبل الحقيقة الواقعة وهى انالغالبية العظمى من المواطنين سيكونون افريقيين .. وكل ما نرغب فيه هو أن نراهم قادرين ومتعلمين ولا تملأهم المرارة . ومن المهم ألا يتفرق الأوربيون والافريقيون فى كينيا ، والا ينقسموا الى معسكرات عنصرية .. فكل من الاثنين ضرورى للاخر . ومن الحكمة أن نرى ، ونحن نبنى وطننا ، أن تقدم الافريقيين ونهضتهم لا تعوقه او تؤخره اية دوافع خفية أو بعيدة .

وفى الحقيقة نحن فى حاجة لان نرى هذا التقدم يسير بأسرع ما يمكن .. وخلال هذه العملية يجب ان ننظر فى كل نواحى الحياةبفرض أبعاد مصادر التوتر بيننا حتى يمكن أن يتم التحول من مرحلة الولاء العنصرى الى مرحلة الولاء الوطنى بيسر وسهولة قدر الامكان . واذا كنا نريد أن نبقى حقا فى رابطة دائمة ، فان كل مظاهر التوتر وكل عمل يتسم بالغباء يؤكد الخلافات بيننا هو عمل يهدد الوفاء لمثلنا العليا بالخطر .

وهذا هو واحد من الاسباب التى طالبنا من أجلها بفك نظام الاراضي المحجوزة فى كينيا تدريجيا . ذلك أنه من المهم أن تتاح للافريقيين والآسيويين فرصة المشاركة بمهارتهم ونشاطهم فى مزارع تنشأ لهم بمناطق الاوربيين . وأكثر من ذلك أهمية أن يسمح الافريقيون المقيمون بمناطق قليلة السكان لاخوانهم الافريقيين المنتمين الى قبائل أخرى بالاقامة فى مناطقهم ، واستغلال المناطق الخالية حولهم ، بالرغم من الخلاف القبلي المستحكم حول الارض . ومن المهم كذلك بالنسبة لاقتصادنا ان يقبل الافريقيون بمناطقهم المهارة الغربية ورأس المال الغربي ليساهم معهم فى مشروعات مشتركة تهدف الى اقامة مزارع للمحصولات النقدية كالشاى مثلا .. وبهذه الطريقة فقط يمكننا أن نقلل من القلق العنصرى والخوف ، وتطور وطننا ، وأكثر من ذلك نوفر الغذاء لعدد من السكان ارتفع من مليونين وثلاثة أرباع مليون نسمة الى ستة ملايين ، فى مدة أربعين سنة فقط . وأربعين فى المائة من دخلنا القومى كله يأتى من الزراعة وثلاثة أرباع هذه النسبة تأتى بها المزارع الاوربية . وبالرغم من الاحقاد العنصرية التى يسببها هذا التقدم ، فان علينا أن نحميه ، ونشجعه ، وفى الوقت نفسه نستغل الامكانيات الهائلة بالمناطق الافريقية ، حتى يمكن زيادة الثروة والفرصة للجميع . وسياسة التقسيم والتوطين فى مساحات صغيرة بالنسبة للافريقيين سوف يؤدى الى تدمير الاقتصاد الذى يحرك وطننا .. وفى الحقيقة لقد استطعنا فى الخمس سنوات الماضية فقط أن نحدث ثورة فى زراعة المناطق الافريقية بجعل قطع الاراضى متجاورة ، ووصلها فى مساحات كبيرة ، بدلا من نظام التجزئة القديم .

ان جهودا كبيرة ستبذل لحمل بريطانيا على التخلي عن مسئولياتها قبل الوقت المناسب . وبعض هذه الجهود ستبذلها الشيوعية التى تستغل مشاعر الوطنية لدى الزعماء الافريقيين . وبعضها الآخر سيبذله بعض الزعماء الذين تحركهم أطماعهم واحقادهم الشخصية . وسيستعمل الجميع مفتاح الوطنية لفتح باب السلطة قبل أن نكون قد بنينا اقتصادنا المحلى الذى سيحافظ على الوطن . وليس من السهل بالنسبة لبلد مثل بريطانيا عريقة فى تقاليد النظام البرلمانى ، القائم على رغبة الشعب أن تعارض هذه الضغوط .

واحب أن أشير هنا الى واحد من العوامل التى سوف تساعدنا على ايجاد حل لمشكلاتنا .. فبعض الناس يكتبون عن الوطنية كما لو كانت عنصرية خالصة .. والحق أنه يوجد بها عامل عنصرى واضح .. ولكن كثيرا من الوطنية ينبع من أسباب اقتصادية .. فالوطنى يرغب فى رفع المستوى الاقتصادى لقومه ، وفى تقريب فروق الثروة بينهم وبين الاجناس المهاجرة بأسرع ما يمكن .. انه يريد أن يقتطع من الثروات التى يراها حوله والتى حرمها مواطنوه لنقص كفايتهم وتدريبهم . ومن هنا كان هذا التأييد الذى يتمتع به الزعماء الافريقيون المتطرفون فى نيروبى ، والذى يفوق ما يتمتعون به من الارياف .. لانه فى المدن — كنيروبى مثلا — تظهر فروق الثراء واضحة جلية أكثر منها فى الارياف .. ومثل هذه الفروق يمكن ازالتها بأن

تعمل كينيا على اجتذاب رءوس أموال جديدة لتنشيط الاقتصاد . وتوجيهات الزعماء الوطنيين فى هذا السبيل يمكن أن تؤدى الى انهاء هذه المشكلات الاساسية .

وأحب أن أذكر الاعمال الهامة العاجلة التى يجب اتخاذها لرفع مستوى البلاد الاقتصادى .. وهى أولا : توسع كبير فى التعليم الثانوى والفنى الذى لا يمكن بدونه زيادة كفاية المواطنين ومقدرتهم .. وثانيا : امداد الزارعين بالقروض والنصائح الفنية والتوجيهات ، وتجميع زراعاتهم الصغيرة فى مزارع كبيرة واسعة .. وأخيرا : رسم برنامج انشائى للمساكن مثل هذا الذى قام بوضعه زميلى مستر أمالبا وزير الاسكان .

ومثل هذا البرنامج الذى رسمته كفيل بانتزاع المرارة التى يحس بها المواطنون فى ظل العنصرية المتطرفة البغيضة .. كما أنه سيترتب عليه ايجاد مجموعة من المواطنين الاكفاء من مختلف الاجناس آمنين من الناحية الاقتصادية ، ومتعلمين تعليما طيبا ، فيمكن أن يعتمد عليهم فى تشكيل حكومة وطنية تحكم نفسها بنفسها وكما هو الحال فى معظم البلاد ، فان المعتدلين فى آرائهم هم الذين تكون لهم السيادة فى كل الجماعات العنصرية .. ويجب علينا أن نجمعهم ، بتخفيف حدة التوتر بيننا ، ونتيح مزيدا من الفرص فى الحقل الوطنى للجميع .. وما يجب علينا ان نفعله هو أن نختلس المعتدل من تحت أنف المتطرف باتباع سياسة طيبة واعتناق مبادىء خلاقة بناءة .

اتحاد وسط افريقية

ظهر هذا الاتحاد الى الوجود فى اول اغسطس سنة ١٩٥٣ .. وهو يضم روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند .. وقد قام هذا الاتحاد نتيجة للسياسات الاستعمارية والتنظيمات التى لم يكن للافريقيين اى راى فيها .. ومنذ ذلك الوقت بدات معارضة عنيدة متزايدة من جانب الافريقيين ضد الاتحاد .. فالزعماء الافريقيون فى روديسيا الشمالية ونياسالاند يخشون أن تمتد القوانين والحواجز العنصرية السائدة فى روديسيا الجنوبية الى باقى انحاء الاتحاد .. والوطنيون الافريقيون فى روديسيا الجنوبية يشجعون بلا شك محاولات الانفصال هذه ، فى الوقت نفسه الذى يقاومون فيه التشريعات العنصرية وتطبيقها فى بلادهم .. اما مؤيدو بقاء الاتحاد فيدافعون عنه بأنه حل فرضته اقتصاديات الاتحاد ، وأن الافريقى — على خلاف ما يبدو — يستفيد من الاتحاد اكثر من اى حل آخر .

ان مشكلات الروديسيتين ونياسالاند لم تكن فى الحسبان ، حتى من جانب سيسل جون رودس ، الذى كانت مطامحه هى المسئولة عن ادخال هذه المنطقة فى نطاق الامبراطورية البريطانية . وروديسيا الجنوبية ، وهى اكثر الاقاليم الثلاثة أوربية ، ويقيم بها اكبر عدد من المستوطنين الاوربيين « حوالى ٢٠٠ الف » فتعتبر القلب النابض للاتحاد من الناحية السياسية . ولكن روديسيا الشمالية هى العمود الفقرى له من الناحية الاقتصادية وتبدو نياسالاند واقفة على أطراف الاتحاد من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فلا يزيد عدد المستوطنين بها على ٨٥٠٠ نسمة ، كما أن ألوان مشاركتها للروديسيتين كانت طفيفة حتى وقت قريب .. ولكن امدادها للروديسيتين بالايدى العاملة الافريقية يجعل منها عضوا فعالا بالاتحاد . ومشكلة حكومة الاتحاد الاولى الآن هى المحافظة على كيان الاتحاد وضمان استمرار السيطرة الاوربية على الحياة السياسية والاقتصادية . أما بالنسبة لسبعة الملايين والنصف من الافريقيين فى الاتحاد ، فان همهم الاول هو التخلص من السيطرة البيضاء .

والمقالات التالية تتحدث عن هذا الاحتكاك والتصادم العنصرى.

فمستر جوشو انكومو الزعيم المنفى للمؤتمر الوطنى الافريقى فى روديسيا الجنوبية الذى يعتبر أهم المنظمات السياسية الافريقية بالاتحاد ، يعرض لنا موقف الاغلبية الافريقية . ومستر جارفيلد تود ، من رجال الارساليات السابقين ورئيس الوزراء السابق فى روديسيا الجنوبية وأحد مؤسسى وزعماء حزب افريقية الوسطى . يدعو الى التعاون بين مختلف الاجناس . وأخيرا يدافع عن مطالبة نياسالاند بالانفصال من الاتحاد مستر م . و . كانياما كيوم عضو المجلس التشريعى بنياسالاند وواحد من الزعماء المنفيين للمؤتمر الوطنى الافريقى بنياسالاند .

روديسيا الجنوبية، بلد التفرقة العنصرية

بقلم جوشوانكومو

انه من الغريب حقا أن يتحدث الانسان عن « التفرقة العنصرية » فى سنة ١٩٦٠ لقد كان الظن أن تغير جنوب افريقية من سياستها بعد هذه السنوات الطويلة من مهاجمة العالم لها، لاتباعها سياسة التفرقة العنصرية .. ولكن بدلا من ذلك، استكملت برنامج التفرقةالعنصرية فوافق برلمانها على قانون الحكم الذاتي للبانتو، وطرد منه النواب البيض الذين كانوا يمثلون الافريقيين فى مجلس الاتحاد « النواب » ومجلس الشيوخ .

ولا بد أن جنوب افريقية تشعر بالارتياح حين تجد أنها ليست الوحيدة التى تؤمن بالتفرقة العنصرية .. فروديسيا الجنوبية التى ظلت منذ وقت طويل تقلد تشريعات التفرقة المطبقة فى جنوب أفريقية كلمة كلمة حتي سنة ١٩٤٨، قد تعلمت من جنوب أفريقية كيف تطبق التفرقة، على حين تتظاهر باتباع سياسة مشاركة بين العناصر المقيمة بها .. فمثلا فى روديسيا الجنوبية فقط، قامت الحكومة بفصل مدينة « هايفيلد » الافريقية، عن مدينة « ووترفول » الاوروبية، باقامة حزام من الاشجار، وجعل منطقة حرام بينهما عرضها ٥٠٠ ياردة .وقبل أن يوافق برلمان اتحاد جنوب افريقية على قانون مناطق الجماعات الذى يفصل بين مناطق الاقامة والعمل تبعا للجنس بوقت طويل، وافق برلمان روديسيا الجنوبية على قانون بتحديد الاراضى . لذلك يبدو من الظلم أن يجتذب جنوب افريقيا اهتمام العالم كله، على حين تسير حكومة جنوب روديسيا حرة مطلقة السراح تحت ستار المشاركة . ولاشك انه مما يضايق الدكتور هندريك فير فورد رئيس وزراء اتحاد جنوب افريقيا، أن يسمع العالم وهو يثنى على سير ادجار هوايت هيد رئيس وزراء روديسيا الجنوبية، لانه يسمح للافريقيين بالاشتراك فى مراهنات سباق الخيل، ولانه يعطى تصاريح لاعضاء البرلمان الافريقيين لشراء الخمور، أو للحصول على درجات جامعية .. وذلك لان الدكتور فيرفورد يعلم أنه فى جنوب افريقية لا توجد تفرقة عنصرية فى المراهنات، وأن تصاريح شراء الخمور الاوربية تعطى لكثير من الافريقيين .

والحق انه من الغريب ادانة جنوب افريقية للاشياء التى تجرى ايضا فى روديسيا الجنوبية، دون ان تدان هذه .. والوطنيون فى

جنوب أفريقية قد يتساءلون عن السبب الذى من اجله كان المؤتمر الوطنى الافريقى ، وهو الحزب الذى يضم الافريقيين باتحاد جنوب افريقية ، محرما فى روديسيا الجنوبية ، على حين كان حرا ومباحا فى جنوب أفريقية ذاتها « قبل الغائه عقب حوادث شار بيفل » . وهم يعلمون أنه لم تكن للمؤتمر الوطنى فروع فى روديسيا الجنوبية ، كما أنه لم يحاول التأثير على المؤتمر الوطنى الافريقى بروديسياالجنوبية. وقد يريد الوطنيون فى جنوب افريقية معرفة ما اذا كان يسمح فى روديسيا الجنوبية ، أو حتى فى اتحاد افريقية الوسطى كله ــ الذى تعتبر روديسيا الجنوبية اهم اجزائه ــ باصدار صحف افريقية تتمتع بشىء من الحرية ، مثل « جنوب افريقية » و « العصر الجديد » و « للطليعة » وهمزة الوصل التى تنشر نقدا خفيفا لحكومة اتحاد جنوب أفريقية ، وتشير الى المساوىء التى تقع فى مزارع الاتحاد .. وهم يريدون ايضا معرفة ما اذا كانت الصحف فى اتحاد وسط افريقية تستطيع ــ كما هو الحال عندهم ــ ان تنقد الحكومة وتنشر مساوئها دون أن تتعرض للايقاف .

وفى روديسيا الجنوبية يوجد مليونا ونصف مليون افربقى وربع مليون أوربى . والسلطة تتركز فى ايدى الاقلية .. كما انهم قداستولوا على معظم الاراضى .. وقانون تحديد الاراضى يقسم روديسيا الجنوبية الى مناطق أوربية واخرى افريقية .. وقد خصص حوالى تسعة وثلاثين مليون فدان للمليونين ونصف مليون افريقى ، على حين خصص لربع المليون الاوربى ، ثمانية وأربعون مليون فدان ، وهكذا فان اكثر من ٥١٪ من مساحة الارض ، مخصصة للاوربيين الذين لم تتجاوز نسبتهم ١٠٪ من عدد السكان على حين خصص ٤١٪ من المساحة لباقى السكان وهم الافريقيون .

والمناطق الاوربية تضم تقريبا كل الاراضى الخصبة بالبلاد .. على حين نجد أن التربة فى مناطق الافريقيين اقل خصوبة او صعبة الرى والصرف .. واكثر من ذلك فان مزارع الاوربيين واقعة بجانب الطرق الرئيسية والسكك الحديدية وبالقرب من الأسواق ، على حين تبعد مناطق الافريقيين عن ذلك كله ، والنقل الى الاسواق صعب وكثير التكاليف .

وكل المدن الكبيرة والصغيرة ، والمراكز المزدحمة توجد فى المناطق الاوربية ولا يمكن لاى أفريقى أن يمتلك ارضا فى المنطقة الاوربية ، كما لا يمكنه أن يشغل وظيفة أو يعمل بحرفة فى المدينة .. ورجال الاعمال الافريقيون يمكنهم أن يعملوا فى الاحياء الافريقية المخصصة فقط للوطنيين بالمناطق الاوربية . ولان واحدا فقط من الافريقيين قد أصبح محاميا فى سالسبورى ، ولانه من المعتاد أن تكون غرف أعضاء الهيئة القضائية فى مبنى واحد ، فقد عدل قانون تحديد الاراضى ليمكن السماح لهذا الافريقى أن يفتتح مكتبه بجانب زملائه . كما عدل القانون ايضا ليمكن السماح للطلبة الافريقيين بالكلية الجامعية لروديسيا ونياسالاند ، بأن يقيموا فى مبنى الاقامة بالجامعة فى سالسبورى . والخدم الافريقيون لا يقطنون غير جراجات حقيرة البناء ، تقع خلف

منازل سادتهم .. وغير مسموح لهم بالاقامة مع زوجاتهم واولادهم . والافريقيون الآخرون الذين يعملون بالمدن يسكنون فى معازل افريقية ، تقع على بعد سبعة او عشرة أميال من وسط كل مدينة .

وبسبب قانون تحديد الاراضى الذى يعتبر هو « ماجنا كارتا » الاوربيين فى روديسيا الجنوبية ، أو العهد المقدس لهم ، لم يستطع مستر جاسبر سافانهو ، عضو الحزب الاتحادى الذى يراسه سيردوى ويلنسكى رئيس الوزراء ، لم يستطع ـ وهو المعين سكرتيرا برلمانيا لوزارة الشئون المحلية ليشرف على شئون العناصر بها ـ أن يقيم فى ضاحية البيض ، حيث ، حجزت منازل الوزراء .. وكل زملائه من البيض يعيشون معا فى هذه الضاحية .. ولكن نظرا لانه راى المستر سافانهو ـ « أفريقى » ، فان عليه ان يعيش فى المنطقة المخصصة للافريقيين .. وبالرغم من ذلك ، فان سافانهو ليس محبوبا من قومه ، مثله فى ذلك مثل الاعضاء الافريقيين بالبرلمان الاتحادى الذين انتخبهم الاوربيون لتمثيل الأفريقيين .. وهو يعيش بينهم فى خوف وتعاسة ، لانهم يؤمنون أنه يخون قضيتهم .. واذا كان سافانهو ـ وهو الواجهة التى تعرض عليها سياسة المشاركة ـ قد أصبح ضحية للتفرقة العنصرية ، فكيف يستطيع الافريقيون العاديون ذوو المكانة المنحطة أن يثقوا فى « المشاركة » ؟

ولقد قامت حكومة روديسيا الجنوبية فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٥٩ بالغاء حزب المؤتمر الوطنى الافريقى لروديسيا الجنوبية ، لانه طالب بالغاء قانون تحديد الاراضى ، لكى تفتح جميع الاراضى لكل الناس دون اعتبار للون .. وقد قبضت الحكومة على حوالى ٥٠٠ من زعماء المؤتمر .. وما زال بعضهم محبوسين حبسا مطلقا ، والبعض الآخر أرسل الى مناطق منعزلة ومهجورة وموبوءة بذباب التسى تسى حيث يتعرضون هناك للاصابة بمرض النوم . وكل ما يريده المليونان والنصف من الافريقيين الذين يمثلهم المؤتمر الوطنى الافريقى ، هو الاحتفاظ بالاراضى لاستعمال كل الاجناس الذين لا يستطيعون شراءها . اننا مدفوعون بهذه المشاعر النبيلة ، وبالحقيقة التى دفعت سير رونالد برين رئيس مجلس ادارة شركة روديسيا سيلكش ـ وهى واحدة من أكبر شركات الاتحاد ـ الى أن يقول فى تقريره السنوى ١٩٥٩ ، « أن بعض القوانين ـ مثل قانون تحديد الاراضى ـ تحتاج الى ايقاف العمل بها فورا ، ولقد ترتب على مطالبة المؤتمر الافريقى بهذا ، حل المؤتمر ، أما السير رونالد فقد اخبر فى عبارات غامضة أن يد الشركات الكبرى الشريرة يجب أن تبتعد عن سياسة الاتحاد » . ولابعاد أيدى الشركات الكبرى واخماد صوت الاغلبية الحقيقية «عن طريق الالغاء » ، قامت الحكومة بحصر كل شئون البلاد فى أيديها .. ولكن الشعب الذى ترتبط حياته ومستقبله بالبلد الذى يعيش فيه ، هو الذى يريد أن يرى العدالة مطبقة بالغاء قانون تحديد الاراضى .

ان حكومة روديسيا الجنوبية تكره حزب المؤتمر الافريقى الوطنى وتخشاه ، لانه المنظمة الوحيدة التى تعرف معرفة دقيقة قانونا آخر،

ناتجا عن قانون تحديد الاراضي هو قانون ادارة أراضي الوطنيين .. وهذا القانون الذى صدر سنة ١٩٥١ ، تشريع مجرم شرير .. وبرغم ذلك ، فقد اعلنت الحكومة فخرها به ، وأصدرت عنه الكتيبات والتقارير الصحفية ، والافلام التى أنتجتها وحدة السينما للاتحاد .. وقد استخدمت هذه الكتيبات والتقارير فى المملكة المتحدة والولايات المتحدة لجمع الاموال لتنفيذه .. وبرغم ذلك فان تنفيذ هذا القانون سوف يستخدم لتجريد الافريقيين من الزراعة المنتجة والحياة المستقرة

والارض الافريقية موضوعة حسب التقاليد القبلية تحت وصاية القبيلة التى يمثلها الزعيم ، والذى لا يملكهـا ملكية شخصية .. وكل شخص له الحق فى زراعتها ، وهو فى حكم مالكها ما دام يحرثها ويزرعها .. وله الحق أيضا فى أن يستبدل بقطعته قطعة أخرى أكثر خصوبة ، ولكنه لا يستطيع شراء الارض كما هو الحال فى النظام الراسمالى الغربى .

وتهدف الحكومة من قانون ادارة أراضي الوطنيين ، الى تغيير النظام الافريقى بنظام آخر يختلف عنه ، وعن النظام الغربى كذلك .. اذ انه يقترب كثيرا من النظم الشيوعية فى الملكية ، وفى التوزيع المتساوى للثروة .. فالحكومة التى تحدد عدد الفدادين التى يستطيع المواطنون حيازتها فى منطقة معينة ، وعدد رءوس الماشية التى يمكنهم تربيتها .. وبذلك أبعد القانون ملكية الارض من ايدى القبيلة ، كما جرد الزعماء من سلطتهم . والمحظوظون الآن الذين يحوزون قطعا خاصة من الاراضي لن يحوزوها الابناء على تراخيص من الحكومة تعطى لهم بناء على موافقتها الخالصة وبذلك فان الحكومة ، باعتبارها هى التى تمنح هذه التراخيص ، هى التى تملك الارض .

والقانون يحدد عدد الفدادين التى يستطيع الفرد حيازتها .. وهذا العدد يتراوح بين ستة فدادين وثمانية فدادين .. وعلى الرغم من فقر التربة وضعف مقدرتها الانتاجية فى المناطق الرملية الجرانيتية المخصصة للافريقيين ، فانهم ملزمون بمقتضى القانون أن يقوموا بزراعتها زراعة كثيفة ، كتلك المستخدمة فى أوربا ، حيث التربة غنية ، وحيث الفلاحون مدربون ومثقفون .. وبذلك أيضا أجبروا على ترك نظام الزراعة الواسعة ، الذى اثبتت التجربة أنه أكثر النظم ملاءمة فى هذه المناطق ذات الخصب المحدود . وقد استصدرت الحكومة هذا القانون لان الافريقيين وجدوا أنه من الصعب عليهم زراعة مساحة قدرها ٣٩ مليون فدان ذات تربة رديئة .. وقد اعترف هوايت هيد فى البرلمان ، أن ٣٠٧ الف عائلة افريقية فقط ، سوف تمنح حق الزراعة طبقا لهذا القانون . وبذلك يصبح عدد المحرومين من الافريقيين مليونا ونصف المليون على اقل تقدير وتأمل الحكومة ان يعمل هؤلاء المحرومون فى المزارع والمصانع الاوربية . ومن المعروف أنه بعد تطبيق القانون ، فان اكثر من ٥٠٠ الف من الافريقيين الذكور سوف يطوفون البلاد بحثا عن عمل .. وليست هناك صناعات تكفى لاستيعاب مثل هذا العدد .

هل هناك عجز فى أرض روديسيا الجنوبية ؟ فى سنة ١٩٥٧

كتب مستر نايزمان فى أحد التقارير يقول ، انه من بين ثلاثين مليونا ونصف مليون فدان يحوزها الاوروبيون ، لا تزرع غير مليون ومائة الف فدان .. فالمشكلة عند البيض هى ايجاد مستوطنين لتعمير الاراضى . وفى السادس من ديسمبر سنة ١٩٥٨ كتب مستر نيلاند رئيس مجلس ادارة شركة الاسمنت بلندن ،فى جريدة روديسيا هيرالد يقول ، « ان روديسيا اليوم تحتاج الى مزيد من السكان أكثر من أى شيء آخر .. » واذا لم تول البلاد مشكلة السكان عناية كافية ، فلن تحصد ثمار المشروعات التى أقامتها وبذلك فانه يوجد فائض كبير من الارض فى روديسيا الجنوبية بالنسبة للمستوطنين البيض فقط .. أما بالنسبة لاصحاب البلاد الاصليين ، لملاك الارض الحقيقيين ، للافريقيين ، فلا يوجد هذا الفائض . واليكم ما تضمنه كتيب نشرته الحكومة تحت عنوان « ماذا يعنى قانون ادارة أراضى للمزارع الافريقى ولروديسيا الجنوبية ؟ » .. قال الكتيب « منذ سنة ١٩٢٦ حتى الآن ، كان تاريخ الزراعة الوطنية فى روديسيا الجنوبية عبارة عن معركة دائمة بين الزيادة المستمرة فى عدد السكان المقيمين على موارد محدودة من الأرض ، وبين الجهود التى تبذلها ادارة شئون الوطنيين لتدعيم تلك الوسائل التى سوف تقضى على تآكل التربة ، وتناقص الجهود الانسانية ، وهما الامران اللذان كانا يلازمان دائما النظام القديم فى ظل الظروف الجديدة » . وفى ظل القانون الجديد ، تعطى للمزارع الافريقى مساحة تتراوح بين ستة وثمانية فدادين ، على حين متوسط نصيب المزارع الاوربى تبلغ ٧٥٠ فدانا من مجموع المساحة المخصصة للبيض . وتتراوح مساحة المزارع الأوربية الآن ما بين ثلاثة واربعة آلاف فدان لكل مزرعة .

ونتيجة لهذا الظلم الذى يحس به كل افريقى ، فقد انتشر شعور بالسخط وعدم الرضاء بين الافريقيين من أهل الريف .. وقد هرع هؤلاء الريفيون (الذين يعتبرهم المديرون الاستعماريون محافظين) الى المؤتمر الوطنى الافريقى لروديسيا الجنوبية ، راجين منه تصحيح الاوضاع باخطار الحكومة بالحقيقة .. ولكن جهودنا الاولية قد فشلت فقد استندنا الى قانون الارض . وقد أعلنت المحكمة العليا لروديسيا الجنوبية ، أن التراخيص المعطاه طبقا لقانون ادارة أراضى الوطنيين ملغاه ، وغير صحيحة قانونا ، ولا يمكن أن تترتب عليها أية آثار قانونية . وقد كلف هذا الحكم الذى أصدرته المحكمة العليا ، حزب المؤتمر الافريقى الوطنى كثيرا ، فقبض على أكثر من مائة من اعضائه مستندين الى قانون النظام العام .. ولكن المؤتمر استمر فى جهوده مؤمنا بأن الشعب على حق ، وبأن القانون المذكور ظالم ، وبان الحكومة لا ترغب فى وقف العمل به ، أى بهذا القانون ، الذى ترجع عيوبه الرئيسية الى كونه منبثقا من قانون تحديد الاراضى .

وقد اعلنت الحكومة حالة الطوارىء فى السادس من فبراير سنة ١٩٥٩ ، بعد أن وجدت الحكومة أن قانون ادارة أراضى الوطنيين لايمكن تنفيذه ازاء التفاف الافريقيين حول حزب المؤتمر الوطنى ، وازاء

الجهود التى يبذلها هذا الحزب لمقاومة تنفيذ القانون كما قامت الحكومة بالغاء الحزب المذكور ، وقبضت على زعمائه وحبستهم حبسا مطلقا .

وبرغم ذلك ، فان حزب المؤتمر لم يقم بأية اضطرابات أو اضرابات او اى مظهر من مظاهر العصيان المدنى .. وقد اتهمتنا الحكومة بأننا نريد الدخول فى كل مرافق الحياة : فى اتحادات العمال ، وفى مجالس المعازل ، وفى المجلس الاستشارى للافريقيين .. الخ .. وكان عضوية الحزب الفيدرالى المتحد ، (الذى يرأسه ويلنسكى) تمنع الأوربى من عضوية اتحادات العمال ومجلس المدينة .

والتفرقة العنصرية هى الحاكم المسيطر فى روديسيا الجنوبية . والمنتظر مثلا الى الموقف الغريب فى القوانين الصناعية التى توصف بأنها غير عنصرية ، فطبقا لقانون المصالحات الصناعية الصادر سنة ١٩٥٩ ، على أن يبدأ تنفيذه اعتبارا من يناير سنة ١٩٦٠ ، يمكن تكوين اتحادات عمالية تضم مختلف الاجناس على قدم المساواة ولكن زعامة الاتحادات فى يد العمال الاوربيين ، وأصوات المندوبين الاوربيين فى المؤتمر تساوى ثلاثة أضعاف أصوات المندوبين الافريقيين ، الذين يمثلون اغلبية أعضاء الاتحادات .. وذلك لانهم يخشون أن تصبح الاتحادات الافريقية أسلحة سياسية ماضية ، اذا تولى الافريقيون زعامتها ، واذا تركت خالصة لهم . وقبل الموافقة على هذا القانون لم تكن الحكومة تعترف باتحادات العمل الافريقية ، كما كانت اضرابات العمال الافريقيين غير قانونية .. وبرغم ذلك فقد قامت اتحادات افريقية خالصة .

ولارغام الافريقيين على قبول مركزهم المهين فى ظل الاجراءات الجديدة فقد رات الحكومة أن تقبض على زعماء العمال الافريقيين ، وزعماء حزب المؤتمر الوطنى حتى يمكن ارغام صغار الزعماء الافريقيين على الموافقة على قانون المصالحات الصناعية الذى كان يعارضه زعماؤهم . اننا نتساءل ، كيف يمكن للافريقى أن يقبل أجرا شهريا قدره ١٨ر٢٠ شلنا ، على حين يبلغ اجر زميله الاوربى العضو فى الاتحاد نفسه ، والذى يعمل فى المهنة نفسها ٢٨٠ر٠٠ شلنا فى الشهر ؟ هل العنصرية المتعددة هى المخدر الذى يفقده الاحساس بالعدالة والمساواة ؟ وهل يمكن لهذه العنصرية المتعددة أن تعوضنا عن كل المساوىء التى يذخر بها مجتمعنا ؟ وحتى الكلمة السحرية .. كلمة « المشاركة » ، هل يمكن لها أن تشفى كل أمراض مجتمعنا وتداوى التفرقة العنصرية الشريرة ؟

ان رجال الاعمال الافريقيين ينوءون بما تفرضه عليهم لوائح وقوانين التفرقة العنصرية ، كما يتضح من المقتطفات التالية المستخرجة من القوانين الداخلية لبلدية سالسبورى .

« لا يسمح لاى شخص ببيع أى محصول فى احدى المناطق المخصصة لاقامة الاهالى ، الا اذا كان قد حصل على تصريح .. ويمنح هذا التصريح طبقا لرغبة المشرف العام .. ولا يسرى التصريح الا فى يوم صدوره فقط . »

« ولا يسمح لاى شخص بممارسة اية تجارة او عمل او وظيفة او بيع او انتاج اية بضائع فى احدى المناطق المخصصة لاقامة الاهالى، الا بعد الحصول على ترخيص بذلك من المدير . »

« يجب على كل صاحب عمل ان يدير بنفسه تجارته او عمله او وظيفته ، وان يشرف على اعمال مساعديه ان وجدوا .. وذلك مالم يرخص المشرف العام لصاحب العمل بالغياب ، على الا تزيد مدة غيابه عن ٦٠ يوما .. وخلال هذه المدة يدير العمل مكانه شخص آخر ، بناء على تصريح كتابى من المدير . »

« لا يسمح لاى صاحب عمل أو شريك أن تكون له مصالح مالية مباشرة أو غير مباشرة فى اى عمل يدار فى منطقة مخصصة للأهالى ، الا اذا حصل على ترخيص بذلك من المجلس » .

« يجب على اى شخص يقدم مالا لاخر ليمكنه من البدء او الاستمرار فى اى مهنة او عمل او وظيفة ، ان يخطر المجلس بذلك مقدما .. كما يجب ان يفعل ذلك ايضا كل شخص ليست له اصلا اية مهنة ، ثم تصبح له بعد ذلك اية مصلحة فى اى مشروع يدار فى اية منطقة تجارية . »

« للمجلس الحق فى الغاء حق اى صاحب عمل فى الاستمرار فى عمله باية منطقة تجارية باحدى المناطق المخصصة للاهالى »

(المشرف العام هو رجل ابيض مسئول عن مدينة افريقية بالريف ، والمدير هو رئيس قسم الادارة الافريقية باحدى المدن ، والمجلس هو مجلس بلدى المدينة التى قد لا يقيم بها افريقى .) هذه هى اللوائح والقوانين المعوقة التى يعمل فى ظلها الافريقيون فى مدن روديسيا الجنوبية ، وهى لا تسرى على رجال الاعمال الاوربيين .

وقد كتب الكثيرون عن تراخيص المرور بجنوب افريقية ،ولكنهم لم يعرفوا الكثير بعد عن نظام التراخيص الآثم فى روديسيا الجنوبية فكل الذكور البالغين — وهؤلاء يشملون كل الصبية الذين بلغوا السادسة عشرة من عمرهم — يجب أن يحملوا فى كل مكان وثيقة تسمى « شهادة التسجيل » واذا حدث أن كان الشخص من بين القلة المحظوظة التى تحمل تذكرة تحقيق الشخصية ، والتى تغنى عن حمل العديد من التصاريح ، فيجب أن يحمل هذه التذكرة فى كل وقت . واذا لم يبرز الشخص « شهادة التسجيل » أو تذكرة تحقيق الشخصية حين يطلبها منه رجال البوليس ، فانه يتعرض لعقوبة الحبس أو الغرامة وفى كل مدينة يجب على الافريقى أن يحمل ترخيصا بالبحث عن عمل اذا لم يكن يعمل أما اذا كان يعمل ، فيجب أن يحمل معه دائما عقد العمل ، وتصريح المرور بالمدينة . واذا كان من سكان احدى المدن الافريقية ، فيجب أن يحمل معه شهادة اقامة تمنحه حق الاقامة فى منزل معين ، أو غرفة معينة ، أو جزء من غرفة معينة . ولا يمكن أن يوجد فى اية منطقة أوربية بعد الساعة التاسعة مساء ، الا اذا كان يحمل تصريحا ليليا خاصا ، لان

ذلك يعرضه للقبض عليه .. والتصريح الليلى يمكن الحصول عليه من الاوربى الذى يعمل عنده .

والاوربى الذى يريد زيارة منطقة افريقية لابد له من الحصول على تصريح بدخولها . والافريقيون المقيمون بمناطق افريقية مختلفة يمكنهم تبادل الزيارة فيما بين السادسة صباحا والسادسة مساء فقط . وطبقا للوائح الداخلية لبلدية سالسبورى يجب على الرؤساء الافريقيين أن يحصلوا أيضا على التراخيص اللازمة لدخول المناطق الافريقية ، الا اذا كانوا مرتدين ملابسهم الرسمية .

وفى كل عام يرسل آلاف من الافريقيين الى السجون ، بتهمة خرق لوائح أو قوانين مرور . وفى كل عيد من أعياد رأس السنة يطوق البوليس الاحياء الافريقية ويفتش عن العاطلين لاعتقالهم وارسالهم ليقضوا عيد رأس السنة ضيوفا على صاحبة الجلالة . وتصاريح المرور هى مصدر زراية دائمة لكل الافريقيين .. لانها تقيد حريتهم فى التحرك والانتقال ، وحريتهم فى الاجتماع ، وحريتهم فى البحث عن العمل حيثما يشاءون .. وهذه التصاريح هى الوسيلة التى تفرض بها الحكومة قوانين تعسفية أخرى ، كما تفرض بها سياستها فى التفرقة العنصرية .

ولقد أصبح من الصعوبة المتزايدة بالنسبة لاى افريقى أن يوجه النقد الى حكومة روديسيا الجنوبية .. فقانون شئون الاهالى الصادر سنة ١٩٥٩ ، ينص على أن :

« كل شخص من الاهالى يدلى بتصريح أو يقوم بأى عمل مهما كان ، يؤدى الى اضعاف سلطة أى موظف فى حكومة المستعمرة ، أو حكومة الاتحاد او سلطة أى رئيس او زعيم برأسه ، او يعرض هذا الموظف او احدى المصالح الحكومية او احد الرؤساء او الزعماء للاحتقار يعتبر متهما بتهمة توجيه الاهانة ، ويتعرض للحكم عليه بغرامة لا تزيد على خمسين جنيها أو السجن مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر . »

وبعد هذا القانون أصبح من المستحيل على أى افريقى أن ينقد أو يقترح أو يطلب تعديل آراء موظفى الحكومة . بل لقد صار الافريقى يخاطر بنفسه حين يدلى بأية ايضاحات امام أية لجنة من لجان التحقيق لانه قد يتعرض للسجن الا اذا أدلى هذا الافريقى ببيانات لا تعرض الحكومة للتشهير أو الاحتقار .

والقانون نفسه يحظر على الافريقيين المقيمين بالمعازل عقد أية اجتماعات اذا زاد عددهم عن اثنى عشر شخصا ، دون تصريح من المأمور .. وتدخل فى هذه الاجتماعات الحفلات الافريقية التقليدية لاحتساء البيرة ، وحفلات الزواج والمآتم .

وهؤلاء الذين يعرفون الهوة السحيقة التى تفصل بين الأهالى الافريقيين والمأمور ، يستطيعون تقدير مدى الغبن الواقع على الافريقى من هذا القانون . وهدف الحكومة من هذا القانون هو منع الاجتماعات

السياسية التى يعقدها حزب المؤتمر الوطنى الافريقى ، الذىانتشرت فروعه وسط الافريقيين كالنار فى الهشيم .

ان ربع المليون الاوربى المستوطنين فى روديسيا الجنوبية اليوم ، يجلسون بقلق فوق بركان يوشك على الثورة .. ولكنهم غافلون عن نتائج سياستهم ، ومطمئنون الى أن الغرب سيقف ، بجوارهم . وهم يتساءلون : هل يمكن للغرب أن ينسى قرابتهم وصداقتهم له ؟ ومن جانب آخر يتساءل الافريقيون عما اذا كان الغرب سيختار جانب العدالة والحرية فيناصر قضيتهم أم سيقرر أن الدم اثخن من الماء ، فيؤيد أقرباءه المستوطنين ؟ هل سيفضل الغرب خسارة صداقة أكثر من مائتى مليون افريقى ، ليحمى المصالح الخاصة لخمسة ملايين بيض فى أفريقية ؟

ولقد قررت بريطانيا فعلا أن الدم أثخن من الماء ، حين وافقت على قانون تعديل الدستور سنة ١٩٥٧ ، وعلى القانون الانتخابى الفدرالى سنة ١٩٥٨ ، حين تجاهلت مجلس الشئون الافريقية الذى أعلن أن هذه القوانين تضر بمصالح الافريقيين . كما ظهر انحيازها الى جانب المستوطنين ، حين عينت لجنة مونكتون من أعضاء معظمهم معروفون بتأييدهم لآراء سير روى ويلنسكى وحكومته ، وذلك بغرض معرفة مدى التقدم المنتظر فى اتحاد روديسيا ونياسالاند . وفى نظر جميع الافريقيين فى كل مكان ، أن سبعة الملايين ونصف المليون الافريقى من سكان الاتحاد ، الذين يعارضون جميعا استمرار هذا الاتحاد ؛ لأنه سينشر فى روديسيا الشمالية ونياسالاند ، سياسةالتفرقةالعنصرية المطبقة تحت اسم « المشاركة » فى روديسيا الجنوبية ، هؤلاء سبعة الملايين ونصف المليون الافريقى ، تضحى بهم حكومة المحافظين،لارضاء أقل من ثلاثمائة الف مستوطن أبيض يمسكون اليوم بزمام السلطة .

وكيف استطاع البيض أن يسيطروا على السلطة ؟ استطاعوا ذلك بالتفرقة العنصرية التى أشهروا سلاحها ضد الافريقيين فى التعليم والتوظف والقوانين الانتخابية ، وبانكار حرية الرأى والحركة على الافريقيين . ان عقول الافريقيين متعطشة الى المعرفة ، خاصة منخارج الاتحاد .. على حين تنفق الحكومة مبالغ طائلة لترسل الطلبة الاوربيين الى جامعات جنوب أفريقية والمملكة المتحدة ، فانها لا تبعث بأى طالب أفريقى الى انجلترا ليكمل تعليمه .. لماذا ؟ لانه يخشى أن يعلم مايجب ألا يعلمه الافريقيون .

ومن المفروض أن تكون الخدمة المدنية فى الاتحاد من العناصر المتعددة أى — تتساوى الاجناس جميعا — بيضاء وسوداء — فىالمعاملة من حيث الدرجة والمرتب ولكنها سببت أخيرا ظلما بين الممرضات الافريقيات المسجلات ، اللاتى وجدن أنفسهن فى الفرع الثانى من سلك الوظائف بالخدمة ، على حين أن زميلاتهن البيضاوات وضعن فى الفرع الاول متمتعات بمزايا الاجر الاحسن والفرص المتاحة .. وحتى فى الفرع الثانى يقل مرتب الافريقيات عن مرتب زميلاتهن الهنديات والملونات اللاتى يحملن المؤهلات نفسها .. ما السبب ؟

السبب هو لون البشرة ، والاعتقاد بالسيادة البيضاء . ومن خبثهم انهم وضعوا الاطباء الافريقيين فى الفرع الاول ، لانهم يعلمون أن عدد من يكمل تعليمه الطبى من الافريقيين لا يتجاوز ثلاثة أشخاص كل عام .

هذه أمثلة من « المشاركة» التى يموهون بهاأمام العالم ، ليجذبوا الاستثمارات والقروض ، حتى يستطيعوا بناء سد كاريبا . وسد كاريبا فى حد ذاته عمل رائع ولكنه وسيلة جديدة لتقوية قبضة المستوطنين ، ومساعدتهم ماديا على اضطهاد الافريقيين فى الوقتالذى يدفعون فيه أجورا خيالية الى العمال البيض من غير ذوى الكفاءة ليحافظوا على « مستوى معيشة الرجل الابيض » .. وهو اصطلاح ابتكره البيض لابتلاع حقوق أهل البلاد ، دون أن يتعرضوا للحساب. ان الاجور العالية هى قلعة الرياسة والسيادة البيضاء .

وقد صمم حزب المؤتمر الوطنى الافريقى لروديسيا الجنوبية على تغيير هذه الحالة وبناء مجتمع قائم على احترام حقوق الانسان الاساسية وكرامته .. اننا نريد اقامة ديموقراطية على اساس «رجل واحد .. تصويت واحد » .. ونحن نعلم أن الديموقراطية الحقه لا يمكن أن تستمر فى وجود أقلية مفضلة ممتازة . وبسبب دفاعالمؤتمر عن المساواة بين البشر ، اعتبرته الحكومة خارجا على القانون ، كما لو كان منظمة ارهابية .

وقوانين روديسيا الجنوبية الانتخابية وكذلك القوانين الاتحادية الانتخابية وقوانين روديسيا الشمالية المتعلقة بالانتخاب ، كلها قوانين صورية ، قائمة على أساس امتلاك المال والعقار . ونظام انتخابى يقوم على المال ، وعلى شروط أخرى ، لايمكن أن يثمر نظاما ديموقراطيا للحكم والديموقراطية فى أفريقية يجب أن تقوم على أساس قبول حكم الاغلبية كما هى فى كل مكان .. وعلى مبدأ « رجل واحد .. تصويت واحد . » وفى ظل قوانين الانتخاب الحالية فى روديسيا الجنوبية لا يستطيع الشخص أن يدلى بصوته ، الا اذا كان يملك دخلا سنويا قدره ألفا شلن ، أو أملاكا ثابتة قيمتها ٤٢٠٠ شلن ، وأن يكون قادرا على فهم الانجليزية ، أو أن يحمل مؤهلات دراسية تتدرج فى الارتفاع بتدرج ثروته ودخله فى الانخفاض ، حتى أن الرجل الذى يبلغ دخله السنوى ألف شلن يجب أن يحمل علىالاقل الشهادة الثانوية . ولكن الافريقيين يعارضون هذا بالطبع ، لان الاجور التى حددتها لهم الحكومة ورجال الصناعة البيض شديدة الانخفاض ، بحيث تجعلمن المستحيل عليهم أن يحوزوا الشروط المطلوبة . وهؤلاء الذين لهم دخول كافية لن يتمكنوا أيضا من الادلاء بأصواتهم ، لعدم وفائهم بالشروط التعليمية . ومن السهل لكل البيض فى روديسيا الجنوبية أن يشتركوا فى الانتخابات اعتمادا على أجورهم فقط . وفضلا على ذلك فانالتعليم بالنسبة للاطفال البيض مجانى والزامى حتى نهاية السنة الثانية الثانوية ... ولان التعليم مجانى ، فقد أصبح من السهل أن يكمل الطفل الاوربى تعليمه العالى . أما التعليم للأفريقى فليس مجانيا ، وليس الزاميا .. ومعظم الاطفال الافريقيين يتركون المدرسة بعد

السنة الخامسة ، اما لانه لا يوجد شيء بعد ذلك ، أو لان ـ آباءهم لايستطيعون دفع المصروفات المدرسية .. واحد في المائة فقط من الطلبة الافريقيين ، هم الذين يكملون تعليمهم الابتدائى ، وقلةمحظوظة فقط هي التي تذهب الى المدرسة الثانوية . ولاشك أن كثيرين يطمحون الى دخول المدارس الثانوية والعالية ، ولكنهم لا يستطيعون ، لان هذه المدارس قليلة جدا وتكلف كثيرا . ومثل هذا النظام الانتخابى الذى يقوم على أساس الشروط الثقافية والمالية ، ليس سوى وسيلة جديدة لتطبيق سياسة التفرقة العنصرية ضد الافريقيين .

وفي القوانين الانتخابية المطبقة بروديسيا الجنوبية واتحاد روديسيا ونياسالاند لم ينص كتابة على التفرقة العنصرية .. فليس فيها مثلا شروط خاصة بالافريقيين وحدهم ، أو بالاوربيين وحدهم .. ولكن هؤلاء الذين يعرفون النظم الاقتصادية والتعليمية للبلاد ، يرون ان الشروط التى تنص عليها هذه القوانين ، تهدف الى ابعاد الافريقيين من كشوف الناخبين .. بل ان القانون الانتخابى فى روديسيا الجنوبية يذهب بعيدا فى هذا الصدد أكثر من القانون الفدرالى ، اذ يعمل على اخافة الافريقيين من أن يطلبوا قيدهم فى كشوف الناخبين ، وذلك بأن ينص على أن الموظفين المختصين بالقيد ، هم رجال البوليس ومفتشو المراكز الاوربية ، وهم الاشخاص الذين يطالبون الافريقيين بابراز تصاريح المرور ، وهم الذين يصدرون هذه التصاريح وهم أخيرا الذين ينفذون التفرقة العنصرية ضدهم .. ومن الطبيعى أن يخشى الافريقى الذهاب الى ادارة شئون الاهالى أو الى مراكز البوليس لملء الاستمارات المطلوبة ، ذلك أنه يرهب البوليس ويخاف ألا يكون معه واحد أو اثنان من التصاريح العديدة التى يجب عليه حملها معه فى كل مكان . ومن المعروف أن الناس فى مختلف البلاد لا يهتمون عادة بقيد أسمائهم فى كشوف الناخبين ، فما بالك لو أضيف الخوف الى عدم الاهتمام ؟

وعلى الرغم من هذه المعوقات ، فقد بذل حزب المؤتمر الوطنى الافريقى كل جهده لحث الافريقيين على تسجيل أسمائهم .. كما تقدمنا الى حكومة روديسيا الجنوبية بمشروع يسهل تسجيل أسماء الافريقيين ، ولكنها لم تعن بالرد على خطابنا .

وقد أنشأ المؤتمر هيئة ثقافية تهدف الى ارسال الطلبة الى الخارج ، لاكتساب أكبر قدر ممكن من المهارات والتدريب ، ثم العودة للقيام بدورهم فى دفع عجلة التطور فى بلادهم . وقبل ان تلغى الحكومة المؤتمر كان بضع مئات من الطلبة الافريقيين قد تقدموا بطلباتهم للاستفادة من بعض المنح الدراسية التى تبرعت بها غانا .. ولكن الغاء المؤتمر قضى على آمالهم .

ولكن همة الانسان اذا مابدأت تتحرك فى اتجاه معين ، فلا يمكن أن تتحول وكل أملى هو أن نعيد من جديد هذه الهيئة الثقافية . وقد تقدمنا بطلب الى الولايات المتحدة لتساعدنا فى توفير فرص التعليم لعدد من الشباب والشابات الافريقيات من وسط افريقية ..وكذلك تقدمنا بطلبات مماثلة الى المملكة المتحدة . وكانت الاجابات مشجعة .

وسنرى بعد أن تقبل طلبات الافريقيين بالجامعات والمستشفيات الاجنبية ، ما اذا كانت حكومة روديسيا الجنوبية سوف تمنعهم السفر لتلقى هذا العلم ، برغم ضرورته للبلاد ، بسبب أنهم افريقيون .

واذا كان رفاقي الآن معتقلين ، فانني لن أهدأ أو أستريح ، سوف أخبر العالم كله بحقيقة الاحوال فى افريقية الوسطى . وطالما ظل هؤلاء الرجال فى الاعتقال ، فلن تهدأ أرواح الاوربيين أو ذيولهم من الافريقيين . والى أن تطبق الديموقراطية الحقة فى روديسيا الجنوبية ، لن يهدأ قلب أى انسان وعلى مظالم الاداة ونظام الحكم الحالى ، وعلى آلام المئات من المعتقلين والمنفيين والمسجونين ، ومتاعب أقاربهم واطفالهم ، سوف تقوم دعائم وطنيتنا . وسوف تتجمع قوى أفريقية بمرور الاعوام لتنهض بمسئولية تلك الاجزاء التى ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار الاستيطاني الابيض . وكفاحنا فى أفريقية الجنوبية يستلهم حركة الوحدة الافريقية من أجل الحرية ، وشرف القومية الأفريقية . ونحن سعداء بتضامننا مع هذه الحركة ، وبالتشجيع الذى نحظى به من تلك الدول غير الافريقية ، التى لا تحبذ هذه المظالم التى يرتكبها أقرباؤهم وأصدقاؤهم فى أفريقية . وقد علمنا التاريخ أن تطلع الانسان الى الحرية لم تستطع سيوف الدكتاتوريين أن تتهدمه كما علمنا التاريخ أن الباحثين عن الحرية قد يتقهقرون بعض الخطوات على طول الطريق ، ولكنهم يكملونه فى النهاية ليعلنوا انتصارهم .

مشكلات الاتحاد

بقلم د . س . جارفيلدتود (١)

فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ . قام اتحاد روديسيا ونياسالاند بمقتضى امر ملكى جاء فيه « حيث ان قيام اتحاد يضم المستعمرة والاقاليم التى سبق الكلام عنها ، يخضع لسيادة صاحبة الجلالة ويتمتع بحكومة مسئولة طبقا لدستوره ، سوف يحقق الامن والتقدم والرخاء لكل السكان ، وسوف يساعد على تدعيم نظام المشاركة والتعاون بين سكان هذه المناطق جميعا ، كما أنه سوف يمكن الاتحاد — عندما يرغب سكانه فى ذلك — من السير الى الامام فى ثقة حتى يحصل على العضوية الكاملة لرابطة الكومنولث ، لذلك فقد امرنا أن تنتظم هذه المستعمرة وتلك الاقاليم فى اتحاد » .

ومستعمرة روديسيا الجنوبية والمحميتان نياسالاند وروديسيا الشمالية تعادل جميعا فى مساحتها مجموع مساحة كل من المملكة المتحدة والمانيا وفرنسا معا . كما يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين وربع مليون نسمة ، منهم حوالى ٢٧٥ ألف أوربى يعيش ثلاثة أرباعهم فى روديسيا الجنوبية ، وعلى الرغم من أنه يوجد رجل ابيض واحد مقابل ٢٦ أسود ، فلا يمكن تقدير مدى أهمية السكان البيض . فالبيض هم المسئولون عن العاصمة وعن المهارات وعن القدرة الادارية التى تكمن خلف هذا التقدم الاقتصادى الواسع الذى يجرى فى افريقية الوسطى .

وهم يسيطرون على كل الحياة السياسية بالاتحاد .. وتوجد بينهم أغلبية مازالت تعتقد باخلاص ان حل جميع مشكلاتنا ، بما فيها مشكلات العلاقات الانسانية ، يكمن فى اقامة اقتصاد متين ، على حين تقول مقدمة الدستور ان الاتحاد سوف يدعم على الاخص المشاركة والتعاون بين السكان ، نجد ان لورد مالفون ، اول رئيس وزراء للاتحاد ، كان اكثر واقعية عندما صرح سنة ١٩٥٤ : بأن الغرض

---

(١) مرة أخرى نورد هنا أقوال واحد من المستوطنين البيض فى افريقية .. وهو هنا واحد من رجال الدين والسياسة فى روديسيا الجنوبية . وأقواله تدل على الحال السيئة التى يرزح تحتها الافريقيون فى اتحاد وسط افريقية . وربما يعود اعترافه بجزء من الحقيقة الى أنه ينتمى الى الحزب المعارض لويلنكسى رئيس الوزراء الحالى للاتحاد (المترجم)

الاول من الاتحاد اقتصادي بحت ، وليس تطبيق مبادىء المشاركة والتعاون التى قالت بها مقدمة الدستور . وقد انهى تصريحه بقوله « فلنتحل بالصبر من أجل هذا الاتحاد ، والذى قام لتحقيق التقدم الاقتصادى ، وليس من أجل مقدمة دستور فرضت علينا فرضا » .

والحقيقة هي انه على حين يرغب معظم البيض فى أن يكونوا عادلين ومنصفين .. فانهم يعتقدون أن الافريقيين ليسوا كذلك ... فهؤلاء (أى الافريقيون) فى نظرهم متأخرون ، على الاقل فى الوقت الحاضر وفى الظروف الحاضرة ، مما يجعل مصلحة الجميع ، بيضا وسودا ، فى أن يظل الاوربيون ممسكين بمقاليد السياسة . وقد اثبتت حوادث سنة ١٩٥٩ أنه للابقاء على سيطرة البيض على الشئون السياسية ، لابد من تقوية البوليس والجيش ، وتقييد حريات الفرد ، والتشبه بالدول التى لديها مسجونون سياسيون . وبالرغم من عدم وجود تمييز عنصري أمام القانون ، فان الافريقيين هم الذين قتلوا فى نياسالاند وهم الذين قيدت حقوقهم وسجنوا دون محاكمة . ومازال معظم الاوربيين لا يحبذون هذه الاخطاء التى تهدد الاتحاد كوحدة سياسية، أو تهددنا كمواطنين .

وفى رأى المستوطنين البيض باتحاد افريقية الوسطى أن السياسة التى كان يتبعها البلجيكيون فى الكونجو حتى نهاية ١٩٥٨ هى التى يجب تطبيقها بالاتحاد ، بما فيها منح الفرص الاقتصادية للجميع ، مع عدم السماح بالاشتراك فى الامور السياسيه .. وحين نقول عدم السماح بالاشتراك فى الامور السياسية فانما نعنى عدم السماح للافريقيين بذلك ... ولكنه ليس منعـا مطلقا ، لان قلة من الافريقيين قد استطاعت الحصول على حقوق تصويت معادلة تماما لحقوق الاوربيين . ومنذ عهد قريب عبر أحد قضاة المحكمة العليا بروديسيا الجنوبية عن مشاعر كثير من الأوربيين حين قال ، « ان الافريقيين يحتاجون الى الخبز وليس الى التصويت » وعلى الرغم من أن البلجيكيين قد اضطروا الى تغيير سياستهم كلية عقب حوادث العنف التى وقعت فى أحد أيام نهاية الاسبوع فى يناير سنة ١٩٥٩ ، فان ذلك لم يؤثر تأثيرا كافيا على وجهة نظر الأوربيين بالاتحاد . وعندما وجه البلجيكيون بأعمال العنف من جانب الافريقيين ، كانوا يعلمون مايجب عليهم أن يقدموه لهم أكثر من الخبز ، فقدموا لهم « حق التصويت » .واستمرت المناقشات منذ ذلك الوقت حول السياسة . والسؤال الذى يدور الان على السنة البيض فى أفريقية الوسطى هو هل سنواجه الحقيقة التى لابد أن تحدث يوما ما كما حدثت للبلجيكيين فى الكونجو ، من الان والوقت مازال متسعا ، ام سيستمر فى الايمان بالاشياء التى يحلو لنا أن نؤمن بها ؟

وانه لأمر شديد الاهمية أن يكون هناك تقدم اقتصادى واسع المدى .. ولا يستطيع أحد تقدير مدى التقدم العظيم الذى حدث حتى الآن .. فمنذ سبعين عاما مضت لم تكن النقود معروفة فى افريقية الوسطى .. ولكن الانتاج القومى اليوم يقدر بأكثر من الف مليون دولار ويبلغ عدد الأفريقيين الذين يعملون مع الاوربيين اكثر من مليـون

افريقى • وسيتوافر للجميع مستوى معيشى مرتفع بفضل مشروعـــات المستقبل لاستغلال المعادن وتوليد الطاقة الكهربية . ومايجب أن نعرفه تماما ، هو ان التقدم الاقتصادى يجب أن يسير جنبا الى جنب وبدون أى تأخير مع التقدم السياسى . ونحن الذين نعتقد ذلك ، نتعـرض دائما للنقد ، بحجة أننا لانقدر أهمية التطور الاقتصادى واننا نركز كل اهتمامنا على التقدم السياسى . ويقول الناقدون أن أحد الشيئين يجب أن يسبق الآخر (أى الاقتصاد والسياسة) .. ولكننا نقول بأنه يجب أن يكون هناك تقدم متوازن فى الجهتين . ومالم نكن مستعدين للمشاركة فى السلطة السياسية ، ولاتمام هذه التغييرات بأمانة ، بحيث نبدأ فى توحيد شعبنا داخل نطاق وطنية واسعة ، وحب عـــام لبلادنا، فان مستقبلنا الاقتصادى سيكون معرضا لتهديد دائم . وحينما لايرى الكثيرون ممن يعيشون هنا هذه الحقائق ، فان بعض المراقبين الاجانب يرونها بوضوح .. ففى نشرة أصدرتها مصلحة التجـــارة بالولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ وعنوانها « الاستثمار فى اتحاد روديسيا ونياسالاند تبين أهمية التعاون بين العناصر بالنسبة للحالة الاقتصادية فنقـول « أن الاتحاد مازال على كل حال أرضا بكرا .. ومازالت ثرواته لم تمس الا مسا خفيفا • والحق أن مصـــادره كافية لضمان اقتصـــاد متنوع ، على أسس دائمة لعدد من السكان يبلغ أضـعاف العـدد الموجود حاليا . ومصادر الثروة المعدنية من الوفرة بحيث تســمح بالتوسع الصناعى والتعدينى الكبير . والجزء الأكبر من الســكان الافريقيين أميون ، وغير مدربين وتنقصهم الخبرة .. وعـدد قليـل منهم هو الذى يعيش فى المدن ، أو يكون قد خبر الاقتصاد النقدى ! وعائد العمل مرتفع بين الافريقيين ، وتكاليف العمل حين تقـاس بمعايير الانتاج مرتفعة نسبيا ، بالرغم من أن الاجور منخفضة . والبلاد فى حاجة الى رأس المال .. وهى فى حاجة أيضا الى المال لانفاقه على المشروعات الاجتماعية ، ولكن الاكتفاء بانفاق رأس المال سيثير حالة من السخط ، مالم تبذل الجهود من جانب جميع الاوروبيين لوضـــع مبدأ المشاركة العنصرية موضع التطبيق » . ويعبر وليم أ . هانس عن هذه الافكار فى مجلة « التطور الاقتصادى والافريقى » فيقول « لقد أثبت آخر تحليل للاستثمارات الامريكية بالاتحاد ، أن نوع العلاقات القائمة بين الاجناس المختلفة لا يوفر لها الاطمئنان الكافى ، خاصة فى روديسيا الجنوبية ، حيث لا تنتج العلاقات « الابوية » هذا النوع من الظروف التى يمكن أن يزدهر فيها الاقتصاد المحلى »

وهكذا نجد أن لدينا فرصا واسعة .. نجد أرضا تتنوع مصادر الثروة بها وتغزر ، حتى ليستطيع هذا الاتحاد أن يقود أفريقية كلها فى ميدان التقدم الاقتصادى .. ومع ذلك فانه بعد سنوات ست من قيام الاتحاد ، نجد أن الشعب أقل اتحادا ، وأقل اطمئنانا على مستقبله من الوقت الذى بدأ فيه الاتحاد عام ١٩٥٣ .

ومن المستحيل ان يكتب المرء بثقة عن مستقبل الاتحاد .. فنحن نعرف خطط الزعماء السياسيين المعاصرين .. ولكننا لا نعرف رد الفعل الذى تحدثه هذه الافكار على حكومة صاحبة الجـــلالة فى

بريطانيا ، وهى الحكومة التى تملك السلطات . وتتحمل المسئوليات الخاصة بالاتحاد . كما لا نعرف وقع القرارات التى سيتخذها المؤتمر المنتظر عقده لتعديل الدستور على الاغلبية العظمى من الشعب فاذا لم تجد التعديلات المنتظرة ترحيبا من الافريقيين والاوربيين الاحرار ، فاننا لا نعرف مدى تأثير ذلك على الاتحاد . ان الحكومة الاتحادية اليوم تمثل اتجاه أغلبية البيض ، التى تعنى أغلبية الناخبين .. ورئيس وزراء الاتحاد معروف باستعداده للانقياد طبقا لرغبات الناخبين .. وفى ظل الظروف التى يكون لكل أفراد الشعب فيها فرص متساوية، يعتبر هذا الاتجاه من رئيس الوزراء اتجاها سليما .. ولكن فى مثل ظروفنا ، حيث لا تتولى الحكومات سلطاتها طبقا للموافقة الايجابية الصادرة من معظم الشعب ، فان عدم وجود قيادة حاسمة شجاعة تتحلى بالخلق الفاضل فى هذه المرحلة من تاريخنا ، قد يسبب ضررا جسيما لمستقبل الرجل الابيض فى أفريقية الوسطى .

ان الحكومة الاتحادية يؤيدها أقل من ثمانين ألفا من الناخبين البيض من بين مجموع عدد السكان البالغ سبعة ملايين وربع مليون نسمة . وفى مثل هذه الظروف يصبح من الصعب اتخاذ قرارات لن تنال شعبية الا بين الناخبين البيض . وفى سنة ١٩٥٧ أتيحت الفرصة للحكومة لتوسيع القاعدة الانتخابيه بتمكين الافريقيين من الرجال والنساء الذين نالوا حظا من الثقافة والمسئولية من التمتع بحق الانتخاب الكامل .. وبدلا من ذلك ، أصدرت الحكومة ، بعد موافقة حكومة صاحبة الجلالة بالمملكة المتحدة ، قانون الانتخاب الفدرالى ، الذى وضعت نصوصه خصيصا لابقاء السلطة السياسية بأيدى الناخبين البيض فى المستقبل . وقد نص القانون على نوعين من القوائم الانتخابية الاولى تضم ذوى المؤهلات العلمية والمالية الكبيرة ، وهم الذين بيدهم السلطة الحقيقية .. والثانية لذوى المؤهلات المنخفضة ولكنها لا تبيح التصويت للافراد العاديين ، بل تهدف فقط الى انتخاب بعض الممثلين الافريقيين بالبرلمان .. وقد قدرت الحكومة أن حوالى ثمانين ألف افريقى تتوافر لديهم الشروط التى تؤهلهم ليدرجوا فى القائمة الثانية . وقد اعترض الافريقيون على هذا النظام الذى ينص على وجود ناخبين من الدرجة الثانية ، ولذلك فانهم قاطعوه عند اجراء الانتخابات الاتحادية ، فلم يقيد أسماءهم من الافريقيين غير ثمانمائة افريقى فقط . لقد قررت الحكومة نفسها — فى الحقيقة — الاشخاص الذين سيشتركون فى الحياة السياسية ، وحصرتهم تقريبا فى الاوربيين فقط .. وهى تعلم اليوم أنها هى التى يجب أن تكون مسئولة سياسيا، وأنها تقوم بالاشياء التى يجب على الاوربيين ان يمنحوها من أجلها تفويضا صريحا . ان هذه دائرة آثمة وسوف تتحطم .. ولكن كيف يمكن تحطيمها ؟ هذا هو السؤال ؟

وبعد أن ضمنت الحكومة للبيض السيطرة على الحياة السياسية عن طريق قانون الانتخاب الذى أصدرته .. اتجهت الى سلب بعض الضمانات الخاصة التى احتفظ بها افراد الشعب المجردين من حق التصويت .. ولاشك ان سلب هذه الضمانات من اختصاص الحكومة

البريطانية فقط ، طبقا للسلطات التى منحها اياها الدستور ثم أعلن رئيس وزراء الاتحـــاد بعد ذلك أن الخطوة التالية هى الوصـــول الى مرحلة « الدومينيون » ، ولكن أحدا لم يفهم مايعنيه ، لانه لم يقـــم بتوضيحه . فبعض الناس اعتقدوا ان حكومة المملكة المتحدة قد تطلب منها التنازل عن جميع مسئولياتها المتعلقة بالحميتين الى الحـكومة الاتحادية التى ستباشر حينئذ سلطانها كاملة ، وستحتل مكانها عضوا فى رابطة الكومنولث ، والبعض الاخر اعتقد أن ماقاله رئيس الوزراء . يعنى أن حكومة المملكة المتحدة سوف تحتفظ بمسئولياتها تجـــاه نياسالاند وروديسيا الشمالية حتى تصبحا أهلا للحكم الذاتى ، فيما يتعلق بمسئولياتها التشريعية فى ظل النظام الفدرالى .. ولكن القول بأن الحكومة البريطانية قد تتنازل عن سلطاتها الباقية فى الحـــال يعنى أنها قد تتنازل عن ذلك للحكومة الفدرالية نفسها ، لا للسلطات فى نياسالاند أو روديسيا الشمالية . والتفسير الاخير لعبارة رئيس الوزراء وان كان اضيق من مرحلة الدومينيون الا أن السلطـــات التى سوف تستخدمها الحكومة الفدرالية ستؤكد وضع مستقبل الاتحاد فى أيدى الاوربيين .

والافريقيون يرفضون كلا التفسيرين السابقين . لانهم يعلمون تماما ان رئيس الوزراء الفدرالى يعمل على أن يؤكد للبيض فى روديسيا سيادتهم . وحين لم تقم حكومة صاحبة الجلالة باعطاء تأكيدات كافية بأنها ستعارض خطوات الحكومة الاتحادية تزايد قلق الافريقيين ، ولجأ المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند الى العنف . ولقد استمعنا جميعا الى القصة التى وقعت أحداثها سنة ١٩٥٩ ، قصة الاجـــراءات العسكرية ، قصة الاعتقالات الواسعة ، ومقتل خمسين افريقيا فى نياسالاند ، والمحاكمات السرية والسجون التى امتلأت .. وهـذه القصة لن تنمى أحداثها من عقول وقلوب الناس فى افريقية الوسطى . خاصة وأن السجون مازالت غاصة بالمسجونين السياسيين .

وحين وجد رئيس الوزراء نفسه يواجه الاضطرابات والقلاقل فى الداخل ، والنقد من الخارج ، أمر بايقاف التمييز العنصرى فى مكاتب البريد بروديسيا الجنوبية ، كما عين أحد النواب الافريقيين « وزيرا صغيرا » ، وقد أعلنت الحكومة البريطانية رأيها صراحة بأن وضع « الدومنيون » لن يمنح الا اذا كان سكان الاتحاد يرغبون فى ذلك ، كما تحدث رئيس الوزراء الاتحادى عن الحاجة الى التفكير الجديد فيمـا يختص بشئون الاتحاد .. ولكن كلا من الحكومة البرلمانية البريطانيـــة وحكومة الاتحاد لم تقم بشرح ماتعنيه ..وعلى كل حال فقد اهتمت حكومة صاحبة الجلالة بالاحداث الجارية ، وقررت انتداب لجنـــة مولكتون لكى تدلى أمامها كل أقســـام المجتمع با رائها ، قبـل أن تبدأ محادثات سنة ١٩٦٠ . ولقد بينت حالة القلق التى سادت الاتحاد والتى نتجت عن تأكيدات قادته خلال سنة ١٩٥٨ بأن الاحوال فيـه مستقرة ، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الاجناس المختلفة بعضها بالبعض الاخر ، بينت الحاجة الى تقارير مستقلة غير منحازة لتبين حقيقة مايجرى هناك .

ومما لاشك فيه أن الحكومة البريطانية قد علمت اخيرا أن الاحوال ليست على مايرام فى وسط افريقية . كما بدا من المحتمل أن يكون رئيس وزراء الاتحاد ليس لديه الا فكرة ثانوية عن الخطة التى يسير عليها ، وانه يحتمل الا يتوقف عن المناداة بالحكم الذاتى للاتحاد ؛ اذا كان هذا هو مايعنيه بحالة « الدومينيون » ورئيس الوزراء يعلم اهم مايستطيع عمله طالما ظلت الانتخابات هى موضع الاهتمام ، هو أن يقطع كل رابطة بين حكومة الاتحاد والحكومة البريطانية . ولكن هناك احتمالين قد يسدان عليه الطريق :

الاول ، هو قوة الحكومة البريطانية واصرارها .. ولكن هذا قد لا يجعله يتردد أيضا فى تنفيذ مايرمى اليه ولقد صرح مستشاره الاول مستر جرين فيلد وزير العدل — بقوله « انني أظن أننا نستطيع الاستمرار بهذا الاتحاد دون تدخل من الوزارة البريطانية .. وفى حالة وقوع هذا التدخل فان لدينا القوة الكافية للتغلب عليه .

أما الاحتمال الاخر ، فهو مقاومة الشعب الافريقى .. وبما أنهم (اى أفراد الشعب الافريقى) لا يملكون الان حق التصويت فان تأثيرهم سيكون خارج البرلمان . وقد اتخذ هذا التأثير شكلا عنيفا فى نياسالاند سنة ١٩٥٩ . وقد درس رئيس وزراء الاتحاد تقارير خبراء الأمن ، ويبدو أنه قرر أن أى تهديد يثيره الافريقيون يمكن القضاء عليه بمجموعة قوانين العقوبات التى فرضت على الاقاليم الثلاث .. ولقد أعمل فكره ، ولذا جاءت رسالته فى رأس السنة لا تختلف الا قليلا عن مطالبة الاخيرة . لقد تكلم عن «نبذ الاعتقاد بانه يمكن تحطيم الاتحاد» ، وأعلن أن حكومة الاتحاد يجب أن تحصل على استقلالها التام فى الميدان الذى تعتبر مسئولة عنه . ويجب ان تحصل عليه بسرعة اى فى سنة ١٩٦٠ أو ١٩٦١ على أقصى تقدير .

وهذه التصريحات تختلف قليلا عن المطالب الاخيرة الخاصة بحالة « الدمينيون » وان كانت مازالت تدل على القوة والتصميم من جانب حكومة الاتحاد ، والضعف الواضح من جانب بريطانيا .

وقد ناقش الامر رجال الكنائس المسيحية ، بما فيهم اساقفة الكنيسة الكاثوليكية والطائفة الانجليكانية .. ولكن يبدو أن ويلنسكى يريد أن يختصر الطريق الى النجاح مستعينا بالضغط والقهر والقوة العسكرية . واذا كانت مثل هذه الاجراءات ستقود زعماء الاتحاد الى الاستقلال ، فان أحدا لا يستطيع ان يوضح وهو متأكد مدى تأثير هذه الاجراءات على الاغلبية الكبيرة من الشعب فى الاتحاد ، أى على الافريقيين وعلى الرجال الاحرار من الاجناس الاخرى .

ان الخطر المتزايد يتفاقم اكثر واكثر حين تقفل صمامات الامان ، وحين تغلق الطريق التى يستطيع الناس المحرومون من التصويت أن ينفسوا عن آرائهم من خلالها .. ولا توجد الآن الا بعض الوسائل القانونية القليلة التى تركت للناس للضغط على الحكومة .

ومن جانب آخر ، فان استعراض القوة الذى تم فى أوائل عام

١٩٥٩ ، واستمرار حبس المسجونين السياسيين ، كان له أثر ملحوظ على الافريقيين . وقد يكون هذا الاثر هو الخوف الزائد من السلطة التى ترسب فى عقولهم ، مما يدل على أن اجراءات القمع قد نجحت نجاحا كبيرا ، اكثر من اية اجراءات اتخذت من قبل . واذا كان الامر كذلك ، فان الاتحاد قد يسوده السلام ، ومن ثم يستمر التقدم الاقتصادى .. وهذا هو ماتعتقده الحكومة ، بل انها ترى أيضا أن المحافظة على القانون والنظام بالاضافة الى الفرص الاقتصادية المتزايدة ، سوف تؤدى الى التئام الجراح الحالية ، وتحقيق آمال الشعب الافريقى . وقد وقع البلجيكيون فى هذا الخطأ نفسه .

واعتقادى أن موقفنا نحن البيض لا يقاس بالارقام ، وانما بما يناله من استحسان العالم وتقديره . واذا استطعنا نحن فى أفريقية الوسطى ان نعيش جميعا ، سودا وبيضا فى احترام وتعاون متبادلين ، فاننا نكون قد أدينا خدمة جليلة الى هذا العالم المتعدد الاجناس .. كما اننا سنكون قد أدينا خدمة خاصة للكومنولث لما سيحدثه نجاحنا من تأثير على المشكلة العنصرية باتحاد جنوب أفريقية .. كما أن هذا النجاح سيكون ضربة قاضية توجه الى هذه السياسات العنصرية المتبعة هناك . وهذه بلاشك نتائج مثمرة تكفى لاثارة عزائم المغامرين .. وهنا يمكن أن تظهر العظمة الادبية للشعب البريطانى .

انفصال نياسالاند هو الحل الوحيد

بقلم م . و . كانياما شيومى

« المشاركة » . « الحقوق المتساوية للشعب المتمدين » . « التقدم الاقتصادى » . هذه هى العبارة البراقة والكلمات الخادعة التى استعملها المستوطنون الاوربيون بتأييد افريقية الوسطى وقائمة هذه العبارات يمكن أن تصبح أكثر طولا كما يمكن اختراع عبارات أخرى اذا ثبت أن الأولى غير مقنعه لدرجة كافية وقد يتأثر العالم بهذه الكلمات بعض الوقت وقد يتأثر بها كثير من الناس طول الوقت ولكن عبارة لنكولن الخالدة ستظل صادقة أبد الدهر قد تستطيع أن تخدع الناس بعض الوقت وقد تستطيع أن تخدع بعض الناس طول الوقت ولكنك لن تستطيع ان تخدع كل الناس طول الوقت والافريقيون فى نياسالاند خصوصا ، وفى أفريقيه الوسطى عموما لن يمكن خداعهم طول الوقت .

ولا يعنى هذا أنه لانوجد قلة من الافريقيين تؤيد الاوربيين بل اننا لندهش فى الحقيقة اذا لم توجد هذه القلة ذلك لاننا نؤمن أن مجتمعنا مجتمع عادى ومثل هذه القلة يجب أن توجد والبعض يفعل ذلك من أجل المال وتنفق فعلا نقود كثيرة لهذا الغرض والبعض من اجل الفرص المتاحة والمناصب والكثير من اجل عقد النقص التى يشعرون معها بالوضاعة والآخرون لعدم فهمهم الاوضاع .

ولكن وجود مثل هؤلاء الناس فى مجتمعنا يجب الا يؤخذ على انه انعكاس الرأى العام .. تماما كما أن وجود بعض الشيوعيين فى امريكا يجب ألا يؤخذ على أنه انعكاس الافكار السائدة هناك .

ونحن شعب نياسالاند جزء من القارة التى صممت على الايكون لها سادة الا شعوب القارة نفسها ... ومادام الامر كذلك فلا مجال للتراجع .. وهؤلاء الذين يتحكمون اليوم فى مصيرنا يستطيعون فقط أن يؤخروا نجاح ارادة الافريقيين فى تحرير القارة من الذل والاستعباد ولكنهم لايستطيعون منع هذا النجاح من أن يتحقق ذات يوم .

ولماذا نعارض نحن الافريقيين فى نياسالاند خصوصا وفى افريقية الوسطى عموما اتحاد افريقية الوسطى ؟ ولكى نجيب على هذا السؤال يجب أن نذكر أولا أن نياسالاند بها من السكان ٢٫٧٢٠٫٠٠٠ من الافريقيين و ٩٨٠٠ من الاوروبيين و ١١٧٠٠ من الآسيويين وغيرهم وبها مجلس تشريعى عدد اعضائه ٢٧ عضوا منهم عشرون يمثلون ٩٨٠٠

اوربى والسبعة الباقون (ثلاثة منهم منتخبون وبانتخابات غير مباشرة وأربعة معينون يمثلون ٢٫٧٢٠٫٠٠٠ أفريقى) وبها أخيرا مجلس تنفيذى مكون من عشرة أعضاء منهم اثنان افريقيان فقط معينون من قبل الحاكم العام ولذلك فهما غير مسئولين أمام الشعب •

لكى نفهم طبيعة المعركة التى تخوضها نياسالاند من المهم اننتذكر النقاط الهامة التالية :

١ ـ ان نياسالاند بل افريقية كلها فى الحقيقة ليست امتدادا لاوربا ولن تكون كذلك أبدا وبذلك فان المعركة التى تخوضها نياسالاند هي جزء من المعركة الكبرى التى تخوضها أفريقية كلها ضد السيطرة والمهانة والضغط .

٢ ـ ان المشكلات الافريقية يجب ان تجد حلها أولا وأخيرا على ايدى الافريقيين انفسهم وقد يحتاج الافريقيون الى المهارة الفنية الاجنبية والى الاستثمار الاجنبى ولكنهم لن يسمحوا بأن تفرض هذه المساعدات الاجنبية شكل الحكومة التى يعيش فى ظلها الافريقيون وأخيرا وليس آخرا أننا نعيش الآن فى عصر « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » و « ميثاق الامم المتحدة » والافريقيون مثلهم فى ذلك مثل باقى شعوب الارض يصرون على أن يكون لهم بمقتضى نصوص هاتين الوثيقتين الفريدتين الحق فى اختيار شكل الحكومة التى يعيشون ويموتون فى ظلها والحق فى ان يكون لهم وجودهم المميز فى بلادهم وهاتان الوثيقتان هما بالنسبة لنا الشاهد الحى على معارضة استغلال الانسان لاخيه الانسان .

وهؤلاء الذين يؤيدون بقاء اتحاد افريقية الوسطى الذى فرض علينا فرضا يقرون أن بقاءه هام للمحافظة على المدنية والحضارة فى هذه المنطقة وهذا الادعاء الشرير يعكس أمرين أثيمين : الاول ان المستوطن الاوربى ينظر الى نفسه باعتباره « وكيلا للمدينة » وينظر للافريقيين باعتبارهم برابرة جاء لتمدينهم ولكى يصبح الافريقى متمدينا يجب أن يكون مرضيا عنه من الاوربيين وهؤلاء الاوربيون هم القضاة والمحلفون والشهود الذين يحكمون على مدنية الافريقى وهذا الاتجاه فى التفكير عند الاوربيين يعكسه النظام التعليمى فى افريقية الخاضعة للاستعمار كما تعكسه الدعاية التى تعمل فى الخارج عن الافريقيين سواء فى الصحف أو السينما أو الاذاعة أو التلفزيون أو وسائل الاتصال الاخرى .

والافريقى لا يقبل بل أنه يعارض فى أن يقال له انه غير متمدين بل أن الكبرياء والاستعلاء والادعاء الباطل وتأليه الذات التى نراها توجه نحونا كل يوم من المستوطنين الأوربيين فى أفريقية الوسطى ليست من المدنية فى شيء والافريقى له ماض وتاريخ وميزات وقد أنكر الاوربيون على الافريقى هذا التاريخ كما تجاهلوا ثقافته وبدلا من ذلك أخذوا يزرعون فيه عقلية العبيد طبقا لما تمليه عليهم مبادىء الاستعمار والامبريالية وافريقية الحرة هى فقط التى تستعيد مقدساتها وتحيى من جديد أمجاد ماضيها •

بل أن هذا الادعاء الباطل يمكن أن ينطبق أيضا على بلاد مثل غانا وأثيوبيا وليبيريا وغينيا بحيث تعتبر هي الأخرى بلادا غير متمدينة وهذه اهانة لا تغتفر لان التاريخ يشهد أنه في الوقت الذى كانت فيه أوربا فوضى تعيش فى حالة بربرية بدائية كانت أفريقية هي مركز الحضارة المدنية

والحاجة الى تدفق رأس المال هو تبرير آخر لفرض هذا الاتحاد وهم يفترضون أن رأس المال لن يأتى اذا كانت السلطة فى أيدى الافريقيين اننا مقتنعون أن الاستقرار يتوقف فى أية دولة على وجود حكومة نابعة من الشعب وتعمل من أجل الشعب ورأس المال والامكانيات البشرية المتدفقة اليوم على غانا تفوق ما كان يأتى اليها منها قبل استقلالها وقد كانت الادعاءات الكاذبة نفسها تثار ضد غانا وهى مشتبكة فى معركتها من أجل الاستقلال وطالما كانت أفريقية الوسطى ميدانا للصراع - كما هو المتوقع اذا أصر المستوطنون البيض على ابقاء امتيازاتهم - فان راس المال لن يكون آمنا فى هذه المنطقه واذا لم تبعد السيطرة البيضاء فان النفوذ البريطانى ونفوذ المغرب سيقوى ويشتد كذلك فان النفوذ البريطانى سوف يستمر اذا كان البريطانيون مستعدين لاعتبار الافريقيين أصحاب حق يجب أن تحترم آمالهم ورغباتهم لا أن تحتقر .

وهناك أيضا هؤلاء الذين يقولون بعدم أهلية الافريقيين لحكم أنفسهم ولكن وصاية الاوروبيين على الافريقيين أصبحت غير معقوله خاصه اذا كان نصيب هؤلاء فقط هو الاعتداء على النساء بالضرب كما حدث فى جنوب أفريقية واطلاق الرصاص على الآمنين كما حدث فى أفريقة الوسطى واستعلاء الاوربيين كما يحدث فى كينيا وأفريقية الوسطى وأماكن أخرى وليس لاحد الحق فى أن يحدد متى وكيف يستطيع الافريقيون حكم أنفسهم بأنفسهم ونحن مقتنعون أننا بمجرد حصولنا على الاستقلال فاننا سنستطيع أن نجعل من بلادنا وقارتنا قوة ثالثة فى ميدان السياسة العالمية .

والادعاء الذى يحتج به الاوربيون المستوطنون لاخفاء اصرارهم على بقاء الاتحاد هو ادعاء يدل على انانيتهم الفاضحه أنهم يصرون على أنه بدون الاتحاد فان نياسالاند - بالذات - لن تستطيع الوقوف على أقدامها وهذا الادعاء مبنى على تمويه الحقائق فأولا لم تكن نياسالاند أبدا شحاذا فقيرا يقف على باب البلد المحسن « روديسيا الجنوبيه » عندما أرغمت على الدخول فى اتحاد أفريقيه الوسطى لقد كانت لها ميزانيه متوازنة بل أنها كانت تحقق فائضا لقد كان دينها العام يبلغ ثلاثة ونصف مليون جنيه انجليزى فقط على حين كان الدين العام فى روديسيا الجنوبية يتجاوز ١٣٠ مليون جنيه وبذلك فان مركز نياسالاند الاقتصادى المتين قد ضاع حين اندمج اقتصادها فى اقتصاد روديسيا الجنوبية التى تنفق مبالغ طائلة على شكل قروض لتشجيع هجرة البيض اليها واستيطانهم بها .. وفوق ذلك فان الايدى العاملة النياسلاندية هى التى تعمل فى مناجم « حزام النحاس » وفى المزارع بروديسيا الجنوبية .. وبدون هذه الايدى العاملة فان اقتصاد هذه البلاد سيصاب بالشلل وحين يقول البعض أن نياسالاند هى التى تستفيد أولا من تشغيل ابنائها فى روديسيا الجنوبيه نقول أن هذا اخفاء للحقيقة الواقعة

لانهم يخفون تاريخا طويلا من التجنيد لم يكن لتؤيده الحكـــومة بالرغممن معارضة الافريقيين له اذا كانت رفاهيه نياسالاند موضع الاعتبار ٠

ومن بين النتائج الخطيرة لاستغلال الايدى العـاملة النياسلاندية فى روديسيا الجنوبية ان الامكانياتالزراعيه للبلاد لم تتطور وقد يتغيراقتصاد نياسالاند لصالح شعبها بعد اتمام مشروع توليد القوى الكهربية من نهر شيو ولكن بدلا من التركيز على تطوير البلاد فان القوانين الزراعيـة كما لاحظت ذلك لجنة دلفن ــ جعل الناس هناك ينظرون الى الزراعة باشمئزاز وبذلك يسقطون فريسة لوكلاء تجنيد العمال مما أدى الى تدمير المجتمـع وانهيار نظام القريه ٠

والادعاءات الاقتصـادية استعملت لاستغفال العـالم والرأى العـام البريطانى أما الاهداف الحقيقية فهى منع نياسالاند وروديسيا الشمالية من أن تصبحا دولتين مستقلتين أفريقيتين تقعان على حدود روديسيا الجنوبية التى تطبق بها سياسه التفرقة العنصرية ٠٠ وقد أعلن هذا صراحة سـير روى ويلنسكى ولورد مالفرن وقت النضال لتحقيق الاتحاد وبمعنى آخر فان الدوافع الحقيقية لانشاء الاتحاد دوافع سياسية ولكن اضفى على الفكرة قناع شخص بالقول ان الاتحاد ضرورى اقتصاديا لنمو نياسالاند وبقائها ولكن الافريقيين فى نياسالاند لن يقبلوا ذلك أبدا ٠

وفى سنة ١٩٥٢ جمع الافريقيون الملاليم من أجورهم الضئيلة التى كان متوسطها حينئذ هو أربع دولارات شهرياللعامل الواحد ليرسلوابعثات منهم الى لندن وقد عقدوا العديد من الاجتماعات وقابلوا موظفى الحـكومة ولكن أراءهم قوبلت بالاحتقار كما أهملت مطالبهم ٠

ولم يجد الزعماء والرؤساء الافريقيون حينئذ بدا من استخدام سلاح لجأت اليه من قبل كثير من الشعوب الضعيفة الا وهو المقاومة السلبية وعدم التعاون وهنا أرسـلت القوات من روديسيا وتانجانيقا واسـتعملت حجه الشيوعية الكاذبة لقتل أحد عشر شخصاً كان بعضهم يمسك بالانجيل فى يده ــ واصابة اثنين وسبعين بجراح وهم يتظاهرون ضد الاتحاد وقـــد انتزع أحد الرؤساء الافريقيين واسمه جومانى من فراشه وهو مريضومات فى المستشفىبعد ذلك حينكان ينتظرأن يوجه له البوليس احدىالتهمالملفقة ومن قبل فى سنة ١٩٠٠ قتل أحد الجنود الانجليز أباه وكان مع جومانى أحد القساوسة ميشيل سكوت وقد جرد من رتبة الـكهنوتية وصودرت أوراقه وأدواته كما عزل رؤساء القبائل الذين ظاهروا الحركة وصـدرت عدة قوانين جعلت من الصعب على المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند أن ينظم نفسه ويجمع نقودا وتبرعات علانية ومن بين هذه القوانين قانون له مثيل فى روديسيا الجنوبيه يعطى للحاكم سـلطة طرد أى زعيم أفريقى يدخل الى نياسالاند من البلدين الآخرين عضوى الاتحاد ٠

وقد ترتب على صدور القانون السابق فى روديسا الجنوبية أن دكتور سننجزباندا وآخرين من زعماء المؤتمر فى أفريقية الوسطى بما فيهم شخصى قد منعوا دخول هذا الاقليم أو ذاك من الاقاليم الثلاثة ٠

وعلى كل حال فان كل هذه الاجراءات التعسفية لم تجد وعندما صدر دستور يعطى لثلاثة ملايين أفريقى خمسة مقاعد فقط فى المجلس التشريعى من مجموع عدد المقاعد البالغ ٢٣ تاركا الثمانية عشر مقعدا الباقية للاوربيين فاز أعضاء من حزب المؤتمر الوطنى الافريقى بالمقاعد الخمسة جميعا برغم ان المؤتمر يتخذ شعاراً «الاستقلال خارج نطاق اتحاد افريقية الوسطى» .

واذا كان الاوربيون فى أفريقية الوسطى، أواذا كانت الحكومة البريطانية مؤمنين حقا بالديمقراطية لوجب عليهم أن يقبلوا تلك النتيجة التى تعبر عن ارادة الشعب ورغبته فى الخروج من الاتحاد وأن يمنحونا الاستقلال خارج الاتحاد .. ولكن بدلا من ذلك فقد ازدادت دعايتهم عنفا ضد المؤتمر وضد كل حركة تدعو للانفصال وحين ذهب الاعضاء الجدد فى المجلس التشريعى لالقاء خطبهم الافتتاحيه كان زعيم المؤتمر وسكرتيره العام يجيبان عن أسئلة الاتهام فى احدى المحاكم التى وقفا أمامها متهمين باثارة الاضطرابات والقلاقل بعد أن هاجم البوليس منزليهما واعتقلاهما .

ولذلك كان من الواضح أنه يجب علينا أن ندعم قوتنا المنظمة .. وذلك باختيار زعيم يتصف بالجديه والامانة والشجاعة والتصميم وقد وجدنا هذا الزعيم فى شخص دكتور باندا الذى جعل من المؤتمر الوطنى هيئة منظمة تنظيما جيدا يتزايد أعضاؤه باستمرار كما يتزايد تصميمه على الكفاح وقد بث الامل فى قلوب الشعب وأصبح بالنسبة لهم بطلا محبوبا .

وقد كانت استجابة الشعب الى نداءات دكتور باندا خير تكذيب للدعاية التى انتشرت فى كثير من جهات العالم من ان معارضه اتحاد أفريقية الوسطى مقصورة على قله من الناس وفى سبتمبر ١٩٤٨ أرسلت قوة عسكرية الى نياسالاند لاشاعه الذعر والخوف بين الافريقيين فى القرى بحجة اجراء تدريبات عسكريه عادية وفى نوفمبر استجاب الافريقيون فى نياسالاند لنداء المؤتمر الوطنى فقاطعوا الانتخابات الاتحادية ولم يسجلوا أسماءهم فى قائمة الناخبين باستثناء ستين أفريقيا .. كما قاطعت الانتخابات أيضا المجالس البلدية المكونة من رؤساء القبائل ومندوبى المراكز ونتيجة لذلك لم يتقدم من الافريقيين للانتخاب غير هؤلاء الذين عينهم الحزب الفدرالى المتحد وهو حزب سير روى ويلسنكى وقد فاز هؤلاء تقريبا بالتزكية وفى الوقت نفسه كتب تقرير بطلب قوات الاتحاد لاستخدامها ضد من سموهم « المخلون بالامن والنظام » وأخذت السلطات فى اعتقال الناس حين يحيون دكتور باندا حتى ولو كان ذاهبا للقاء الحاكم .. كما اخذت الصحف تكتب عن اضطرابات لم تقع ولم يكن لها وجود وبلغ عدد من حكم عليهم بالغرامة أو السجن لتهم ملفقة ثلاثمائة شخص من بينهم سبعة وثلاثون امرأة ضربن ضربا مبرحا فى يناير ١٩٥٩ فى زومبا .

وأصبحت نياسالاند تندفع بسرعة هائلة نحو حكم بوليسى كانت بذرته قد ظهرت منذ فرض عليها الاتحاد وقد أرغم رؤساء القبائل على عدم اصدار أى اذن أو تصريح وعلى عدم التعاون مع أعضاء المؤتمر الوطنى وبذلك أخذت الشقة تتسع بين الحكومة والشعب أكثر فأكثر بسبب الاتحاد وقبل أن ينعقد أى اجتماع فلا بد من الحصول على تصريح اما من البوليس أو من

رئيس القبيلة ومن تلك الفترة كان ضباط البوليس يرفضون اصدار التصاريح أو يصدرونها متأخرة وكذلك فان حاكم نياسالاند أعلن في بيان له تأييده الرسمي لكل أعمال الارهاب البوليسية التي تجرى حينئذ في البلاد ويقول هذا البيان في جزء منه :

« يجرى الآن القبض على زعماء المؤتمر الوطني الافريقي بنياسالاند وابعادهم خارج البلاد » ·

كما أعلن الحاكم العام عدم شرعيه المؤتمر الافريقي في نياسالاند ورابطة الشباب ورابطة الشابات التابعين للمؤتمر وكل من يدير هذه الهيئات أو يساعد في ادارتها معرض للسجن مدة ١٤ عاما وهؤلاء الذين يستمرون في عضويه المؤتمر أو يسمحون بعقد اجتماعات له معرضون للسجن سبعة أعوام ·

وحيث أن حاله الطوارىء معلنة الآن بالبلاد فان للحكومة سلطة فرض غرامات اجبارية على كل الناس في أية منطقة يقع فيها اضرار بالروح أو بالممتلكات وما دمت تذهب الى عملك اليومي في سلام فليس لك أن تخاف شيئا ولكن اذا قمت بمعارضة الحكومه بالقول أو بالفعل أوبالمظاهرات فستجد نفسك وسط متاعب خطيرة ·

ان قرارات البوليس القويه والقوات الحربية هنا لتحمي أرواحكم وممتلكاتكم ما دمتم لا تخرقون القوانين ·

من واجبكم أن تساعدوا الحكومه حتى تقضى على الفوضى والخروج على القانون ابتعدوا عن الاجتماعات والمواكب والمظاهرات ·

افعلوا ما تأمركم السلطات بعمله ·

اذهبوا الى أعمالكم كالمعتاد ·

قد أصدر الحاكم العام بيانه هذا بعد أربع وعشرين ساعه من تصريحه بأنه لا توجد ضرورة لاعلان حالة الطوارىء ·

وهكذا أصبحت نياسالاند دولة بوليسية بين عشية وضحاها وكما يحدث في الدول البوليسية فقد شن البوليس حملات ارهابية ضد المؤتمر الوطني الافريقي وزعمائه كما احرقت بيوت الافريقيين وأعلنت عليهم حرب تخويف واسعه النطاق ·

وقد أعلن الحاكم أنه سيقدم دليلا حاسما يثبت أن المؤتمر قد اشترك في مؤامرة لاغتيال الموظفين الاوربيين وأعلن سير روى ويلسنكي أن هذا الدليل سوف يهز العالم المتمدين · وأعلن وزير المستعمرات البريطاني آلان لينوكس بويد ان هذه المؤامرة تشبه مؤامرات الماو ماو وقد رفضت الحكومه طوال شهر كامل بعد ذلك أن تشكل لجنة تحقيق ولكن نتيجة لضغط الرأى العام البريطاني والنقد الذى وجه الى الحكومة الاستعمارية اضطروا الى تشكيل لجنة تحقيق وصفها مستر لينوكس بويد نفسه في مجلس العموم بانها تتكون من « خبراء محايدين لهم خبرتهم القانونية

والادارية والافريقية ، وقد وضعت الحكومة البريطانية ثقتها الكاملةفي هذه اللجنة .

مؤامرة اغتيال ؟ .. ولكن اللجنة اكتشفت أنه لا توجد ايه مؤامرة دبرها الافريقيون بل وجدت بدلا من ذلك ان الحكومة قتلت واحدا وخمسين افريقيا من بينهم سبع سيدات « كانت سيدتان منهن حاملتين والأخرى تحمل طفلها الصغير » وان « هذه القوة الغاشمة قد استخدمت خلال عمليات القبض » وان الناس يسجنون ويعتقلون لاسباب سياسية أكثر منها لاسباب أخرى .. وقد أثبتت اللجنة أيضا أن المعارضة ضد اتحاد أفريقية الوسطى معارضه واسعه في جميع أنحاء البلاد وحتى بين رؤساء القبائل الافريقية وبعضهم ليسوا أعضاء في المؤتمر الوطني الافريقي وكلهم يتقاضون مرتبات من الحكومة ، لا يوجد من يؤيد الاتحاد وبرأت اللجنة دكتور باندا زعيم المؤتمر الافريقي من التهم واثبتت أن المؤتمر هو حزب الاغلبية الافريقية في نياسالاند .

وذكرت اللجنة في تقريرها أن « نياسالاند » دولة بوليسية لا يأمن أحد فيها أن يوجه نقدا لسياسة الحكومة .

وقد كان المرء يتوقع أن تقبل الحكومة البريطانية التي تتشدق دائما بالحديث عن الديمقراطية تقرير لجنة دلفن كنقطة بداية في محادثات عن مستقبل نياسالاند وبدلا من ذلك اقتبست بعض الفقرات التي تؤيد وجهة نظرها وأعلنت أن الحكومه عليها أن تعمل أو تنسحب ولكنها نسيت — كما في تقرير لجنة دلفن — أن الشقة قد اتسعت بين الحكومة والشعب بسبب الاتحاد .

***

ما هو مستقبل نياسالاند ؟ الجواب هو أنه اذا كنا نعني الافريقيين في نياسالاند فليس لهم أو للافريقيين عموما في أرجاء الاتحاد أي مستقبل ان الاتحاد هو تشكيل سياسي يهدف الى تدعيم الاوربيين كجنس سيد في أفريقية الوسطى ففي المجلس التشريعي المكون من تسع وخمسين عضوا يوجد سبع وأربعون عضوا أوربيا معظمهم انتخبه البيض الذين يسيطرون على قائمة الناخبين والباقون من الافريقيين الذين انتخبوا بطريقة تجعل هؤلاء الذين يؤيدن الاوبيين هم الذين يقع عليهم الاختيار فقط .. وقد أدى هذا الى وضع العراقيل في طريق التطور السياسي الطبيعي للافريقيين في نياسالاند .. كما اجلت المحادثات الدستوريه بناء على طلب الاوربيين مدة تزيد على العام وقد نالت التغييرات الدستورية التي أعلنها أخيرا الحاكم العام الاحتقار الذي تستحقه لانها بكل بساطة أضافت بعض الافريقيين الذين يختارهم الحاكم العام الى المجلس التشريعي .

ان الافريقيين في نياسالاند يريدون الديمقراطية على أساس « رجل واحد تصويت واحد » وهم لايقبلون أن يكون وجود ٧٥٠٠ أوربي سببا لتحرير الديمقراطية لتلائم المؤامرات السياسية الاثيمة التي يحكمهـــا البيض .

وقد حدد المؤتمر الوطني الافريقي أخيرا المركز القانوني للاوربيين في ظل الاستقلال .. أننا نرحب ببقائهم في أفريقية ولكن يجب « أن يكونوا

مستعدين لاداء الواجبات الملقاة على عاتق أى مواطن فى أية دولة وفى الوقت نفسه يجب ألا يطالبوا بأية حقوق تزيد عن الحقوق التى يتمتع بها أى مواطن فى أية دولة ٠

ولن تتحقق الديمقراطية فى نياسالاند الا اذا نالت استقلالها وحينئذ فقط سوف تتمكن نياسالاند من مساعدة الافريقيين فى روديسيا الجنوبية في نضالهم من أجل حريتهم ٠

وما يهدد به بعض البيض من أن روديسيا الجنوبية سوف تنضم الى جنوب أفريقية اذا استقلت نياسالاند ليس الا شبحا يلوحون به لتخويف هذا الجزء من العالم الذى لا يعلم انه لم يعد يوجد فرق بين روديسيا الجنوبية وجنوب أفريقية فيما يختص بالتفرقة العنصرية ٠٠ فالافريقيون فى البلدين يعاملون المعاملة نفسها ولكن العالم يعرف شيئا عن التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيــة لان جرائد الانجليز هنــاك تنشر وقائعه حيث أن البوير يضطهدون الانجليز أيضا وفى روديســـيا الجنوبية حيث يقوم الانجليز باضطهاد الافريقيين تطلق الجرائد التى تسمى نفسها أفريقية والتى تصدر عن وكالة « ارجوس » الانجليزيه تطلق على الاضطهاد اسم « مشاركة » ٠

والبريطانيون يكرهون جنوب أفريقيه بسبب اضطهاد مواطنيهم هناك والبوير لن يسمحوا لروديسيا أن تخل بالتوازن الموجود بين هاتين الجماعتين الأوربيتين اللدودتين بانضمامهما الى اتحاد جنوب افريقية وفضلا على ذلك فان اقتراح ضم روديسيا الجنوبيه الى جنوب أفريقية اعتراف بأن الاضطهاد فى روديسيا هو شبيه بالاضطهاد فى جنوب أفريقية وهدم للحجة القائلة بأن نياســـالاند ملحقة بالروديستين لاسباب اقتصادية وليس من المعقول فى رأينا أن تسعى دوله غنية للانضمام الى دولة شريرة لان دولة فقيرة لاتريد الاتحاد معها ٠

وتجميع الاقاليم الافريقيه نوقش بحماس فى مؤتمر اكرا وكان رأى الافريقيين فى نياسالاند وما زال هو أن نياسالاند المستقلة فقط هى التى تستطيع تحديد الاتحاد الذى تدخله وأى من جاراتها ستدخل معها فى هذا الاتحاد ٠

ولذلك فان الافريقيين فى نياسالاند يطالبون بأن يسمح لبلادهـــم بالانسحاب من اتحاد أفريقية الوسطى ٠ ٠ان هدف نضال نياسالاند من أجل الحرية هو أن تظهر نياسالاند المستقلة التى تقوم الحـكومة فيها على أسس ديمقراطية تتحقق فى ظلها المساواة بين المواطنـين بما تتضمنه من تطبيق لمبدأ « رجل واحد تصويت واحد » فى انتخابات حرة ٠

وقد قدمت غينيــا الاجابه الى هؤلاء الذين يدعون أن الافريقيين غير مستعدين للاستقلال وأنهم عاجزون عن النهوض بصناعاتهم دون مساعدة السلطات الاستعماريه فعلى الرغم من أن الفرنسيين قد جردوها من الموظفين والخطوط التليفونية والأسلحة والذخائر وأدوات المستشفيات وغيرها من الادوات والمهمات التى أغرقوا بعضها فى المحيط الاطلسى — فان غينيا فى ظل حكومة من الافريقيين وحدهم لم تطهر كوناكرى العاصمة فحسب بل قامت أيضا ببناء أكثر من ثمانية آلاف كيلو متر من الطرق البرية والف كيلو متر من الطرق المائية وألف وخمسمائة مدرسة وبدأت تشغيل أول

خطوط للاتوبيس بعد عام واحد من استقلالها ونستطيع نياسالاند ان تفعل الشيء نفسه وعلى كل حال فان الافريقيين يفضلون الفقر مع الحرية في ادارة شئونهم وارتكاب أخطائهم على العبودية في ظل ما يزعمونه من الرفاهية الاقتصادية .

والافريقيون في نياسالاند يريدون دستورا جديدا يحقق رغبات أغلبية شعب نياسالاند في أن تكون للافريقيين أغلبية المقاعد بالمجلسين التشريعي والتنفيذي ان المجلسين الحاليين اللذين يضمان عددا اسميا من الافريقيين - معينان غالبا بوساطة الحاكم العام - ليس انعكاسا لتوزيع السكان الحقيقي في نياسالاند وفي الحقيقة أن الطبيعة الشاذة لتكوين هذين المجلسين يعكسه ضعف المستوى الثقافي والاقتصادي والهوان الاجتماعي الذي يعانيه الافريقيون ان الافريقي يعامل اليوم كمواطن من الطبقة الرابعة في وطنه وهذا الحال لا بد له من نهاية .. ولا نهاية له الا بمنح الافريقي الحق في حماية نفسه بنفسه .

والامريكيون عليهم واجب في هذه المعركة .. ولا يمكن لهم ان يظلوا ساكنين ولقد كان صوت أمريكا مسموعا وحاسما ضد الغزو البريطاني الفرنسي لقناة السويس .. وكان مسموعا أيضا فيما يختص بالمجر والتبت .. وبالطبع فقد أثر الرئيس الامريكي على ديجول حتى يعترف بحق الجزائريين في الاستقلال وصوت أمريكا يجب أن يسمع من جديد ولا يمكن أن يكون هناك نوعان من السلوك احدهما تتعامل به أمريكا بخصوص مسائل المجر والتبت والآخر يتبع حين تكون الشعوب المختصة هي الشعوب الافريقية في نياسالاند وأوغندا وكينيا .. الخ تلك الشعوب التي يضطهدها ويقتلها حلفاء أمريكا ولا يمكن أن يكون هناك قانونان احدهما ينطبق على شعب بريطانيا القوي والآخر على شعب نياسالاند الضعيف وأمريكا يجب أن ترتفع الى مستوى مركزها الادبي كقوة عظيمة والاجراءات التي تتخذها يجب أن تقوم على اساس من ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان وبهذا فقط يمكن للاخاء الانساني أن يكون حقيقة واقعة .

ولقد قال ادموند بيرك قبل قيام حرب الاستقلال الامريكية مباشرة لا يمكن حكم أمة ما بالضغط والاضطهاد المستمرين » وكذلك فان الشعب الافريقي من الكاب الى القاهرة ومن زنجبار الى السنغال وسواء كان في نياسالاند أو انجولا أو باسوتولاند أو الجزائر أو القاهرة لا يمكن أن يحكم بالضغط والاضطهاد » .

وحل مشاكل القارة لايمكن أن يتم باقامة حكومات صورية أو بمساندته الحكومات غير المرغوب فيها بافريقية الوسطى وجنوب أفريقية وموزنبيق عن طريق مدها بالقروض والاستثمارات والاسلحة وبغض النظر عن أصوات جماهير الافريقيين المضطهدين فان هذه السياسة تساعد على بذر السخط والتذمر الذي قد يؤدي الى أي شيء في المستقبل ان افريقية تخص الافريقيين فقط وهي ليست امتدادا لاوربا ولذلك فان الافريقيين مثلهم في ذلك مثل باقي الشعوب في مختلف أنحاء العالم يجب أن ينالوا حقهم في ادارة شئونهم بأنفسهم سـواء أحسنوا الادارة أم أساءوا وحينئذ فقط يستطيعون المساهمة في رخاء الجنس البشري وتدعيم السلام في العالم .

أفريقيا البرتغالية

أقدم المستعمرات في افريقيه بل أقدم المستعمرات الاوربية في العالم اليوم هي المستعمرات البرتغالية غينيا وانجولا وموزنبيق التي تبلغ مساحتها جميعا قدر مساحة أوربا الغربية تقريبا وعدد سكانها حوالى عشرين مليونا نسبة الافريقيين منهم حوالى ٩٨٪ وعلى الرغم من أن تاريخ اتصال هذه بأوربا يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادى فان هذه الأقاليم الثلاثه تعتبر من أكثر المناطق تخلفا في القارة وتاريخها يتسم بالاضطراب والازدواج لأن المستعمرات البرتغالية فى أفريقية كانت مسرحا لأعذب الكلمات عن النوايا الطيبة وفي الوقت نفسه تجرى على خشبته احط أنواع الاستغلال البشرى وأقسى أنواع التفرقة العنصرية وأشد حوادث الاضطهاد للافريقيين .

ولقد نشأت من السياسات والاتجاهات التى كانت سائدة فى الماضى تقاليد تدعى حكومة البرتغال الحالية التي يرأسها دكتور أوليفيراسالازار(١) بانها هى السبب فى هذا الهدوء السطحي الذى يسود المستعمرات الثلاث ويصر المستعمرون البرتغاليون على أنهم قد تعلموا خلال أربعة القرون والنصف الماضية كيف يعيشون مع الافريقي وكيف يكتسبون تقديره واحترامه ولكن السجون ممتلئة والهجوم مستمر على النظام الشيطاني للعمل بالعقود والحاميات العسكريه تقوى باستمرار وتسعى البرتغال ديبلوماسيا لكسب التأييد لسياستها التى تتبعها فى المستعمرات ولكن باستقلال دول غرب أفريقية والكونجو البلجيكى فان حدود الازمة تقترب كل شهر من أفريقية البرتغاليه التى كانت حرمات معزولة مصونة .

وفى المقال التالى يتحدث هنريك جالفاوعن المعارضة التى تلقاهاسياسة دكتور سالازارفى أفريقية والسنيور جالفاو مؤرخ وأديب مشهوروقدكان من كبار المديرين بالمستعمرات ونائبا عن انجولا فى الجمعية الوطنية البرتغاليه وفى سنة ١٩٤٩ أعلن اتهامه الدرامى المشهور ضد الارهاب الحكومى الظالم فى انجولا .. وفى سنة ١٩٥٧ القى القبض عليه وصدر عليه حكم بالسجن ثمانية عشر عاما وعومل معاملة ظالمة وقد جذبت قضيته اهتمام العالم وبينما كان قابعا فى السجن كان جالفاو الصامت هو خير شاهد على النظام الحر المطبق فى أفريقية البرتغاليه وفى سنة ١٩٥٩ هرب جالفاو من السجن ولجأ الى فنزويلا وهو فى المقال التالى يؤكد الحاجة للتفاهم أكثر من الحاجة للعمل السياسى وذلك اذا كنا نريد أن نجد حلولا للمشاكل المعاصرة فى أفريقيا .

---

(١) لم تعد هذه الحكومة قائمة اليوم .

افريقيا البرتغالية اليوم وغدا

هنريك جالفاو

قبل أن نناقش الموقف الحالى فى أفريقية البرتغالية فى ضوء مشكلات اليوم والغد المعقدة يبدو لى من الضرورى أن نعرض باختصار كثيرا من الحقائق التى اسهمت فى اسدال الغموض على معلوماتنا وفهمنا للمشكلات العميقة القائمة فى القارة كلها جنوبى الصحراء التى تعتبر أفريقية البرتغالية جزءا منها .

وانا الاحظ أنه على خريطه أفريقية السياسية توجد قارتان لافريقيه تكونان المثلث الهائل الممتد عند قدم أوربا كالاسفين بين محيطين ويفصل هاتين القارتين الافريقيتين محيط هائل من الرمال والفراغ هو الصحراء ففى شمال الصحراء توجد أفريقية التى تعتبر جزءا من الشرق الاوسط أكثر من كونها أفريقيه وهى أفريقيــة المسلمة التى تضرب فى أغوار التاريخ بحضارتها العريقة البارزة وفى جنوبى الصحراء تقع أفريقية التى تسمى أحيانا أفريقية السوداء وهى جديدة على التاريخ والجغرافيا لم تتكشف لنا حدودها الخارجية الا منذ عهد قريب وأفريقية السوداء هذه تختلف عن أفريقية الاخرى شمال الصحراء اختلافها عن بقية أنحاء العالم (١) .

ولكن هنـاك بعض وجهات النظر التى تقول أن هنـاك عددا كبيرا من أفريقية ولكن هذا ليس حقيقة لان المقصود بذلك « أفريقية » التى يتحدث عنها كل شخص وتكون موضوعا للمناقشه وقبل النصف الثانى من القرن التاسع عشر حينما كانت البرتغال هى الدولة الاوربية الوحيــدة الموجودة بافريقيه كان يشار الى أفريقية بكلمة « افريقات » جمع أفريقية التى كانت تتضمن معنى يسيطر عليه التنوع الغامض مثل أفريقية ميدان المستكشفين العظام وأفريقية مسرح الحيوانات المتوحشه المخيفة وأفريقية مصدر العبيد وانصاف الآدميين وافريقية أرض الغابات العذراء والصــحراء القاتلة .. وفى الحقيقة ما زالت آفريقيه أرض الاساطير التى يشار اليها باعتبـارها أرضا مجهولة لقد كانت أفريقية حينئذ هى أفريقية الاسطورية التى خلقها خيال المغامرين الذين عادوا ليرووا عنها حكاياتهم على الرغم من أنهم لم

---

(١) لانستطيع ان نقر وجهة النظر هذه فى الفصل بين ما يسمونه أفريقية المسلمة شمال الصحراء وأفريقية السوداء جنوبها .. فما كانت الصحراء الكبرى ولن تكون فاصلا بينهما أبدا .

يعكسوا حقيقة القارة ولكن هذه « الافريقات » قد اختفت فى مطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر لتحل « أفريقات » أخرى محلها تختلف عنها كثيرا بلا شك وان كانت غير حقيقية هى الاخرى خاصة اذا حكمنا عليها بالحقائق التى يفيض بها اليوم سيل الكتب والصحف والتقارير والمراجع العلميه ٠

أفريقية ـ هذه التى كانت مجهولة كما لو كانت توجد فى كوكب آخر غير أرضنا هذه ـ أصبحت بعدسنة ١٨٥٠ موضع اهتمام الاستعمارية الاوربيه المادية واخذت الامم الغربية تهتم بكشفها علميا وان كانهدفهامن ذلك هو الطمع فى امتلاكها واستغلال ثرواتها وفى نفس الوقت على كل حال كان يوجد علماء مخلصون مبشرون لهم مثلهم العليا بل بعض المغامرين الوطنيين ومن هذه المنافسة بين الامم الطامعة فى القوة والمصادر المادية ظهرت أفريقية الجديدة أفريقية اندفع الجميع الى اكتشافها والى اقتسامها فى الحال دون معرفة سابقة بالارض أو بالشعوب ٠٠ وقد ظلت أفريقية هذه تخضع حتى الحرب العالمية الثانية لنظام الاستعمارية الكشفية الامبريالية

والى أفريقيةهذهالعامرة بالثروات‌من ذهب وماس‌ونحاس ويورانيوم وأخشاب ثمينة ومنتجات استوائية ومناظر سياحية والمليئة بعـــدد من السكان الذين انتقلوا بسهوله من العبودية الىالعمل الاجبارى باحط الاجور الى هذه القارة هرع خليط من التجـار ورجال الصناعة ومن السياسيين والصحفيين ومن العلماء والسياح والمغامرين ٠٠ الكل تدفقوا على القارة كالسيل المنهمر اما بدافع من الامال المـادية أو من حب الاستطلاع لرؤية الاجناس البشرية أو أنواع الحيوان وبدأ العالم كله يسمع الحـديث عن « أفريقيات » عديدة بعدد الاشخاص والسياسات المهتمين بالقارة وقد ذلل هذا الخليط العجيب كل الصعاب الخطيرة التى اعترضت طريق المستكشفين الأوائل ورسموا على عجل صورة جديدة لافريقية ليست فى الحقيقة سوى خليط مشوش زادت من غموض معلوماتنا وفهمنا للقارة السوداء ٠٠ومما زاد فى هذا الاضطراب الذى أصاب معلوماتنا ذلك الصراع الذى‌نشب بين المصالح المختلفة وطمع الآخرين فى نصيب أكبر من ثروات أفريقية ٠

وعندما كانت هذه الافريقات تستخدم للاستهلاك المحلى مثل تسلية الاصدقاء الراغبين فى القراءةأو موضوعا لمذكرات تكتب عن بعض الرحلات لارضاء الميول الرخيصة لم يصب العالم أو أفريقية نفسها بأى ضرر من زيف هذه الوقائع ، وكذبها ٠

ولكن عندما يتحدث عن أفريقيه السياسيون أو كبار الموظفين‌المسموعة أصواتهم فى الدوائر السياسية او الماليون الكبار أوالمراسلون ذوو الشهرة العالمية أو العلماء ذوو الميول السياسية أو الكتاب الذين يقضون أجازاتهم باحثين عن مواد جديدة وباختصار كل ذوى الاسماء اللامعة الذين حين يكتبون أو يتحدثون الينا عن أفريقية نتقبل كلامهم لانه محـوط بهالة من شهرتهم واسمائهم الرنانة عندما يتحدث هؤلاء عن أفريقية فان أى‌خلط أو اضطراب لا يمكن اعتبارهغير ضار كما أن أفريقية التى يمكن أن يقررهؤلاء مصائرها سوف تعانى الكثير ٠

ويبدو لي أن الفروق الاساسية التي توجد والتي يجب أن نعيها تماما في ذاكرتنا بين هذه «الافريقات» وبين أفريقيه الحقيقية هي ان تلك الافريقات قد هبطت الى أقل من حقيقتها كأرض تشاهد من وجهة نظر المنافسة السياسية أو الاقتصادية التي لاتعنى بحقائق انسانية معينة عن السكان الافريقيين وافريقية الحقيقية كما ترى من وجهة نظر المدنية التي تدعى المسيحيه واعتناق الفلسفه الديمقراطيه ليست سوى قارة أهمها متيقصون للمصير الانساني للبشر ٠

ويجب أن نتأكد أن أفريقية اليوم تلك التي نراها على الخريطة قدتم استكشافها خلال السنوات الثمانين الاخيرة سواء بطريق البر أم عن طريق الجو ولم يبق غامضا فيها إلا أجزاء صغيرة كما أن ثرواتها الدفينة قد عرفت وسوف تجذب مزيدا من هؤلاء الذين يصنعون « الافريقات » بل أنه من الصحيح تماما أن أحجار أفريقيه وتربتها ومياهها ومعادنها أو بمعنى آخر جسدها المادي كل هذا قد أصبح معروفا عند طلبة المدارس وغيرهم أحسن بكثير مما كان معروفا لدى الرواد الاوائل ، رواد عهد الاساطير الذين اخترقوا أفريقاتهم سواء على أقدامهم أم في عربات البوير التي تجرها الثيران ٠

ولكن من الصحيح أيضا أن الاسرار الانسانية لافريقية والحقائق التي ستكون حاسمة في تقرير مستقبل أفريقية السياسي والاقتصادي وفي تحديد مكانها في خضم المصالح الانسانية هذه الاسرار والحقائق معروفة بدرجه أقل مما كانت عليه منذ خمسين عاما ٠ وكل ما حاول المرء أن يتعلمه قد انقلب رأسا على عقب بوساطة المصالح المادية والسياسية التي تعتبر غريبة عن مصالح أفريقيه الانسانية ٠٠ أفريقية الحقيقية والاتصال « بالأشياء » قد أصبح أكثر توثقا ولكن الصله بالحقائق الاسانية في أفريقية قد أصبحت لاسطحية فقط بل قد شوهتها المعلومات الواردة في الكتب والافكار الثابتة التي تشبه عوارض الجنون والتي تسعى اما الى طبع افريقية بالطابع الغربي بوساطة السياسة التي أفسدتها روح الرأسمالية الخالصة أو طبعها بطابع غير غربي بوساطة الافكار الثورية ذات الطابع السوفييتي ومعظم المثقفين الذين يذهبون الى أفريقية اليوم مثل الاساتذة والموظفين الاداريين وكبار مراسلي الصحافة العالمية والسياسيين والكتاب والعلماء لم يعودوا يعبرون أفريقية سيرا على أقدامهم كما كان الحال منذ خمسين عاما وذلك ما عدا قلة قليلة منهم وهم بذلك يتصلون اتصالا سهلا بالمظاهر الملموسة للاحداث المضطربة التي تقع في المدن وأماكن التجمع الكثيرة وهم يحكمون ويحللون بدقة لايرقى اليها الشك ولكنهم يمرون سريعا على حقائق أفريقية الغبابية التي يمثلها أناس مبعثرون ما زالوا في حالتهم البدائية بالرغم من المضايقات الكثيرة التي بدأت تغمرهم ٠٠ وبذلك يفشل هؤلاء المثقفون في تقدير الحقائق الانسانية الخاصة بأفريقية الاخرى ٠ ٠ أفريقية مجهولة ولكنها حقيقة واقعة ٠

وبجانب هؤلاء لا نجد سوى التجار ذوي الامكانيات القليلة والمعنوية الضعيفة والموظفين الصغار ذوي الاستعداد العقلي الضعيف ورجال الارساليات الذين لا يعبئون كثيرا بالايمان الذي يمثلونه ٠ وما أريد قوله هو أن هؤلاء

المتصلين اتصالا وثيقا بافريقية الانسانية ليس لديهم المقدرة الكافية على الدراسة والتعلم ٠٠ وهؤلاء الذين يملكون هذه المقدرة ليس لهم اتصال بأفريقية ومما لاشك فيه أن المرء يجد السمات الحقيقية لأفريقية لدى هؤلاء السكان القبليين الذين مازالوا يعيشون على الفطرة ٠٠ وهذه المظاهر لا تمثل كما يعتقد الكثيرون فى بعض الافريقيين من الطبقة الراقية الذين تلقوا تعليمهم فى الجامعات الاوربيه والافريقية لان هؤلاء الناس ليس لهم جذور عميقة فى ثقافتهم الافريقيه الخاصة مثل ما لهم فى الثقافة التى حصلوا عليها ٠

انني أخشى ان هؤلاء الافريقيين الذين يشبهون السراب الذين يتحكمون فى الادب والسياسة سوف يكون لهم تأثير مدمر على المصير الانسانى لافريقية الحقيقية لانهم فقدوا بصيرتهم كبشر ان أفريقية التى نراها كل يوم فى الصحافة والأدب ليست هى أفريقية ذات الحضارة المسيحية وليست هى أفريقية الجديدة بسياسة الانسان وأنا مقتنع أنه اذا فشلت القوتان المتصارعتان فى العالم فى معرفة الحقيقة فسوف تقع اضطرابات فى أفريقيه الحقيقية بين الشعوب التى تسكنها ٠

ومع ذلك فلن تستطيع القول أن الثورة التى تبدو وشيكة الوقوع فى أفريقيه هى نتيجه مباشرة أو غير مباشرة لهذا الاضطراب وعلى كل حال فان الثورة فى أفريقية كانت ضرورية مثلها فى ذلك مثل الثورة العالمية التى لم تمنع قيامها الحربان الماضيتان اللتان لم تستطع أفريقية تجنب الاشتراك فيهما ٠٠ والاشكال غير الموحدة لهذه الثورة والآثار المتوقعة سلفا التى أوجدت هذه الاشكال وفقدان الانسجام بين الحركات الثورية المختلفة هذه هى النتائج المباشرة والمنطقية للاضطرابات الهائلة الناتجة عن هذه الافريقات التى تراها السياسات المصطنعه ومصالح عصرنا المادية ٠

عندما أقول أفريقية الانسانية فاننى لا أشير فقط الى الجنس الزنجى بل الى أعضاء كل الاجناس المقيمة حاليا فى أفريقية وكثير منهم ولد وتعلم هناك ومصيرهم يجب أن يتحد مع المصالح المشتركة للاجناس الاصلية فى مصير أفريقى واحد ولكن من الطبيعى أن أفترض أولا أن الجنس الاسود الجدير بالاعجاب كما كان بائسا فى الماضى وكما هو كذلك فى الحاضر فسيظل بائسا فى المستقبل وسط قارة خالية من الانسانية ٠

ودعنى الآن أقص عليك صورا من هذا الاضطراب الذى يخفى الوجه الحقيقى لافريقية والعامل المشترك بين هذه الصور هو أنها فى تطورها ونتائجها العملية ليست سوى ادلة صارخة على اخطاء سياسات معينة وعلى التناقض العميق فى معرفة حقائق أفريقية معينة ولكن هذه السياسات لاتتغير كما أن أحدا لايهتم بتعمق معرفته بالحقائق ٠

هذه السلبية التى تراقب بها هيئة الامم المتحدة الحرب المكشوفة المستمرة ضد الزنوج فى اتحاد جنوب أفريقية وهذه المناقشات عن سير الحوادث فى أفريقية التى لا يمكن تصديقها والتى تستمر فى جمعية الدبلوماسيين والسياسيين الذين يمثلون الحكومات أكثر من تمثيلهم للشعوب وهذه اللعبه الفظيعة التى تدور فى نفس الجمعية العامة لتحديد مصير

أفريقية الانساني بوساطة المصالح السياسية للشيوعية التى لا تقل استعمارية عن الغرب وان كان لها كل مساوىء الغرب دون أى حسنة من حسناته ومصالح الرأسماليه القائمه على انظمة ديمقراطيه اسطورية والتى فى بعض الاوقات لاتقل شرا واثما عن الشيوعية السوفييتية والصراع القاتل ضد الماو ماو واللوائح التى ما زالت تفرض وتجد من يدافع عنها لتخفى نظم العمل الاجبارى الذى يعتبر فى بعض حالاته أسوأ من العبودية والتاييد غير الانسانى الذى تضيفه حكومات الديمقراطيات الغربية الكبرى التى تعتبر نفسها المدافعة عن حقوق الانسان وكرامه الفرد على سياسه الديكتاتور سالازار فى أفريقية والتى يستنكرها ، ليس الديمقراطيون البرتغاليون ، فحسب بل مشاعر الاخاء الانسانى التقليديه لدى ٨٠ ٪ من الشعب البرتغالى الذى يعارض النظام، والبراكين التى تغلى فى كينيا واتحاد وسط أفريقية وفى الامم حديثة التكوين · كل هذه الأمثلة هى الحقائق الصارخة والتعبير الحى عن التهديد الموجه ضد المستقبل القريب للشعوب كلها من جميع الاجناس التى تسكن أفريقية ، وبدرجة أقل ضد العالم كله

وفى نطاق الحقائق السابقة ، تكمن اليوم وغدا مشكلات أفريقية البرتغاليه ·

ولأوضح الآن نقطة واحدة ·· ان الشعب البرتغالى يرزح تحت نير دكتاتورية غاشمة منذ ثلاثين عاما ، كاداة لقوة طاغية تؤيده سلطة حاكمة غاشمه ، فى الثروات والامتيازات ، حكمت البرتغال وكأنها جيش احتلال أجنبى ·· لقد عزلت الشعب ·· عزلت ممثليه الشرعيين وقادة الفكر والعمل البرتغاليين عن كل المشكلات وفرضت بالقوة اتجاهاتها وآراءها وقد حدث هذا كله خلال الثلاثين سنة الاخيرة تحقيقا للرغبات الشخصية للرئيس وارضاء لاهواء الطغيان الذى يمثله حدث هذا كله فى البرتغال نفسها وفيما وراء البحار ··· وأصبح البرتغاليون الذين يعيشون فى الوطن الاصلى أو فى أفريقية البرتغاليه وقد انحطوا الى مستوى الاهالى الاصليين الذين لا يفعلون شيئا الا دفع الضرائب واطاعة أوامر البوليس · ولذلك فمن الخطأ الانتساب الى البرتغال بما تضمه من شعب وممثلين ومسئولية المشكلات الحاضرة التى تسبب الخجل والعار للسياسات والادارة التى تسيرها وتعقدها يقع الجزء الاكبر منها على عاتق حكومات بعض القوى الديمقراطية التى شجعت واعلنت اغتباطها باستمرار الدكتاتور البرتغالى ونظامه الاستبدادى ·· بالرغم من أن هذه الحكومات تحارب بعض اشكال الديمقراطية ·

وحين أكتب ذلك اعتقد انني أعكس وجهة نظر الديمقراطية البرتغالية بشأن المشكلات الافريقية الحاضرة والمستقبلة اننى اتهم سياسة سالازار بانها ضد البرتغال وضد مشاعر ومبادىء الشعب البرتغالى وأنا أؤكد أن هدف الديمقراطية البرتغالية لا القضاء على سياسة سالازار فحسب ولكنها تقود تصرفات البرتغال فى أفريقية الى رحاب الكرامة الانسانية وقد أثبتت الديمقراطية البرتغالية ونعنى بها البرتغال من خلال تجربتها الطويلة كمشيدة للأمم أن لديها الادارة والمقدرة - اذا منحت الحرية الكافية - على حل المشكلات الخطيرة التى أوجدتها الديكتاتورية المستقرة منذ أمد طويل وعلى قيادة الشعوب التى تسكن مستعمراتها فيما وراء البحار الى المصير الانسانى ·

وأثناء محاولة الوفاء برسالتها فى أفريقية سقطت البرتغال صريعة غدر وخيـــانة دكتاتورية نازية فاشستية وهى عاجزة عن تحرير نفسها من الاضطهاد بسبب المساعدة التى تمد بها القوى الديمقراطية الكبـيرة الحكومه الحاضرة ٠

وقد طبق سالازار فى الاقاليم البرتغالية بافريقية أساليب القهـر نفسها التى يستخدمها فى الوطن الام ليفـرض ما يسمى بـ « ســـلام سالازار » وما يسمى بـ « نظام سالازار » الذى هللت له دعايته كثيرا ٠٠ ومثل هذا السلام والنظام لا يعرفهما الا من فى القبور ٠٠ فمن جهة تضغط قوة قاسية على الرأى العام وتجبره على كتمان آلامه ومن وجهة أخرى فان محاربة التقدم والمعرفة التى أصبحت ديدن الحكومة قد دلت على انحطاط واجب الطاعة المفروض على المواطنين نحو الحكومه الى سلبية الحيوانات المنزلية ٠٠ وقد خلقت هذه الوسائل التى ينفذها البوليس والرقابه ضد المواطنين فى الوطن الأم حالة من الثورة المكتومة تضاعف فيهـــا البؤس المتزايد الذى يرزح تحته الأغلبية والغنى المتزايد الذى يبـــدو على الطبقة الحاكمة المستبدة وهذه الثورة يحبسها فى الافواه الخوف الـــذى يعتبر المرض الذى أصابت به الديكتاتورية الناس ولقد توقف العمل على رفع مستوى الاهالى فى أقاليم ما وراء البحار وسمح لاسوأ أشكال العمـــل الاجبارى بالظهور وحملت أحسن العناصر الانسانية على الهجرة ٠٠ وفضلت الديكتاتورية نظاما اداريا شريرا ظهرت آثاره الاجرامية فى استغـــلال القوة العاملة الوطنية ٠٠ وهذه الحالة السيئة معروفة فى داخل الوطن وفى العالم كله وقد حاولت بصفتى المفتش الســـامى لما وراء البحار ونائب انجولا وكنائب برتغالى ضد هذه الظروف أن أبصر الرأى العام البرتغالى حتى تتوقف هذه الاحوال ونعود بأسرع ما يمكن الى سياســـة أفريقية تعتبر برتغالية حقيقية ولـــكن التأييد الذى يناله نظـــام سالازار من الديمقراطيات الكبيرة لم يسمح لنا بأن نفعل شيئا ٠

ولذلك فان أفريقية البرتغالية اليوم هى شىء مضـــاد لآمال وارادة وروح ثمانين فى المائة من مجموع الشعب البرتغالى انها مجموعـــة من المستعمرات على الطراز القديم تحتلها وتستغلها قلة سياسية ورأسماليه مستبدة بكل معانى الكلمة، ومن هذا الموقف تنبت كل الصعاب التى تقف فى طريق التطور الطبيعى والمنطقى لافريقيه البرتغالية نحو مصير انسانى وهو المصير والسياسة السليمة الوحيدة التى يستطيع المرء أن يتمناها لافريقية وأنا أعتقد جازما اننا سنسير على هذا الطريق اذا عادت البرتغـــال الى سياستها القديمة التى اتبعتها فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن والتى دعمتها تجارب أربعة قرون من الاتصال بالسكان الافريقيين والتى أظهرت اتجاه البرتغال لان تعيش فى وحدة روحية ومالية مع السكان من الاجناس الاخرى ولم تقف فى وجهها دكتاتورية سالازار وعصـــابته من الانتهازيين ٠

وكلمة الاستعمار أصبحت اليوم موضع اتهام الكثـــيرين ٠٠ وهى بمعانيها المختلفة التى تتضمن الاستكشـــاف والاحتـــلال بالقوة المسلحة والطمع السياسى والاقتصادى وبمعناها العضوى الآن الذى يهدف الى

تحقيق الحرية للشعب هذه الكلمه باخطائها وأثامها الكثيرة نها لحظات من العظمة ، العظمة بأبطالها وقديسيها وشهدآئها .. وقبل أن نوجه الاتهامات للاستعمار يجب أن نسأل أنفسنا سؤالين – الاول هو هـل كان يمكن للاستعمار أن يوجد بشكل آخر فى عصره الذهبى وان يعطى آداب وروح العصر ؟ والثانى هل كان يمكن لشعوب آفريقية أن تستمر فى الحياة اذا كانت قد تركت وحدها أمام عوامل الفناء التى كانت تهـدد قبل تدخل الاوروبيين بزمن طويل الجنس الزنجى وأهم هذه العوامل هى الاسترقاق والحروب القبلية وأعمال السحر والشعوذة وأكل لحوم البشر ؟ وفضلا عن ذلك فانه من الاستعمار بكل أخطائه واثامه نشأت الشعوب التى حصلت اليوم فى أفريقية على استقلالها أو هى فى الطريق الى الاستقلال ٠

وقد حدث الانفصال من مرحله المعنى البطولى البربرى القديم للاستعمار الى مرحلة المعنى العضوى المعاصرة حين ألغى الرق وفى مجال هذا المعنى الجديد للاستعمار بدأت البرتغال بتاريخها الطويل وخبرتها الكبيرة فى أفريقية التى تفوق خبرة وتاريخ تلك الدول التى ظهرت عندتقسيم القارة وعلى الرغم من الصعاب السياسيه والاقتصادية الكثيرة بدأت سياســـه لرفع مستوى الشـــعوب الواقعــة فيما وراء البحار وتحقيق استقلالهم تدريجيا وقد ظهرت هذه السياسه فى مجال القانون والادارة والاشراف الحكومى بشكلأقل مما ظهرت به فى مجال العلاقاتوالصلات بين البرتغاليين وأهل المستعمرات وقد بدأ الزنوج يظهرون فى المدارس الثانوية والجامعات فى كويمبرا ولشبونة وعين أحد الزنوج حاكما على غينيا البرتغالية ٠٠٠ وهذه هى بداية تكوين طبقة ممتازة من الزنوج وبداية استعدادها للتدخل فى الحياة السياسيه والادارية للاقاليم ٠٠ تدخلها كبرتغاليين لا تعترض طريقهم فروق قانونية أو أدبية ٠٠ وهذا أيضا صورة لمجتمع المستقبل الخالى من مشكلات التفرقة العنصرية ٠٠ وهذه هى السياسة التى خلقت البرازيل وقادتها نحو الاستقلال بغض النظر عن فروق الزمان والمكان واذا كانت البرتغال سينقصها المصادر المالية اللازمة لتنفيذ التطـــور الاقتصادى بأقاليمها الافريقية فى الحال والذى يجب أن يصحب التطور السياسى والاجتماعى ذلك النقص الذى يظهـــره ما يقوم به الاحتــــلال الاقتصادى للقوى الاخرى فى أفريقية فان ما يعرض عن ذلك هى تلك العلاقات الانسانية التى نشأت عن البرتغاليين الافريقيين ٠

والسياسه البرتغالية التقليدية فى أفريقيه والتى تبرر اقامتنـــا الطويلة هناك قد قلبتها دكتاتورية سالازار رأسا على عقب ٠٠ والمشكلات التى نجمت عن هذا الانقلاب والعودة الى السياسات الاستعمارية التى سبق أن تعرضت لاتهام البرتغال قبل أن يتهمها العالم كل هذا واكرر ذلك مرة أخرى تقع مسئوليته على رأس الديكتاتور وعصابته وليس على رأس البرتغال ٠

وعلى كل حال لا يعنى ابعاد كل هـــذه المسئوليات ان الديمقراطية البرتغالية لا تعرف مدى خطورة هذه المشكلات ومدى توغلها فى العالم السياسى والمبادىء المعنوية وحقوق الشعوب ومستقبل أفريقية ٠ ٠ على

العكس نحاول الديمقراطيه البرتغالية أن نقدر حقيقة هذه المشكلات وان تجد لها الحلول فى حدود الامكانيات التى تملكها ٠

وما سوف يجذب انتباه الديمقراطية فى أفريقية البرتغاليه هـو المشكلات العديدة التى تنشأ عن سياسة مبنية على القهر والضغط ٠٠٠ سياسه لا تفيد الا فى الدعاية وفى التمويه والكذب ، ولكنها غير انسانية وقد غيرت هـذه المشكلات التعبير الافريقى التقليدى وأعطت أفريقية البرتغاليه الوجه الزائف الذى يبدو منها الآن ٠

وبمجرد أن تحل هذه المشكلات الأساسية التى أوجدها الدكتاتور وبمجرد أن تتحرر البلاد وتصبح ممارسة المهام الديمقراطية حرة لا قيد عليها فان برنامجا جديدا للعمل سوف يفرض نفسه على أفريقية فمن جهة سوف تصحح الاخطاء والآثام التى سيتركها النظام القديم وسوف تبدأ من جديد مشروعات التنمية الاقتصادية والادبية والسياسية ورفع مستوى السكان الاصليين والمستوطنين الدائمين ومن جهة أخرى سوف نهتم بقيادة افريقية البرتغاليةفى طريق الحكم الذاتىوتكوين اتحاد فيدرالى أوكونفدرالى بين الدول المتحدثه بالبرتغالية ذلك الاتحاد الذى سيكون أكثر الاتحادات طبيعية وانسانيه ٠

ويبدو لى أن البرنامج السابق هو الوحيد الذى يتلاءم مع المصالح الادبية والسياسية والروحية والاقتصادية للبرتغال كأمة حرة تحتل مكانها بين مجموعة الدول الحرة كما يتلاءم أيضا مع مصالح الافريقيين والمستوطنين فى أفريقية البرتغالية الذين لايمكن الآن الاضرار بمصائرهم أو معارضتها دون أن يحدث لهم جميعا بل لأفريقية نفسها ضرر جسيم ٠

ان افريقيا التى تهب الآن فى ثورة عارمة لتخرج من ظلام الجهل والنسيان أفريقية تحتاج فى قيادتها الى العواطف وليس الى المبادىء ٠٠ الى نبضات الثورة وليس الى تقدير احتمالات الثورة وفى وسط لعبة العواطف هذه لعبة المصالح المشكوك فيها أعلم أنه سيكون هناك هؤلاء الذين سيريدون ــ مخلصين أو غير مخلصين ــ برنامجا اصلاحيا أصيلا دون أن ينظروا لحظة ليتساءلوا عن مدى امكان تنفيذ خططهم الاصلاحية٠ وهؤلاء الناس الذين استقوا معلوماتهم عن أفريقية من مصادر سيئة أو من مصادر نظرية بحيث أن افريقية التى يتصورونها فى مخيلتهم لم توجد بعد وآخرون غيرهم يعرفون معلومات جيدة عن أفريقية ولكنهم شركاء فى سياسات توسعية سوف ينصحون بالاستقلال الكامل لكل المناطق الافريقيه التى مازالت تحت الوصايه وهو الاصطلاح الذى تطلقه الامم المتحدة على الدول غير المستقله دون أن يعبئوا بشىء الا بمبدأ حق جميع الشعوب على ظهر الارض فى الحرية وانى لأظن أن أى شخص يعرف أفريقية الانسانية باقسامها القبيلية السياسية وميراثها فى المنازعات والمعارك القبيلية والمشكلات الناجمة من عدم أهليتها لممارسة المهام الموكولة اليها سوف يقرون أن هذا الاستقلال التام لن يصبح ممكنا قبل أن تعد الشروط اللازمة للحكم الذاتى ٠٠ ولولا ذلك لتضاعفت المتاعب التى يعانيها الجنس الزنجى كما سيزداد انتهاك حقوق الاجناس البشرية الاخرى

التى دعمت نفسها فى القارة الكبيرة ولكن الى من يمكننا أن نعهد بهـــذا وبعضها جرب بالفعل وقد ثبت ان بعض هذه الحلول تخدم مصالح القوتين الكبرتين المتنازعتين فى العالم اكثر مما تخدم مصالح الشعب الافريقى نفسه ؟ اذ أن كل ماستحدثه من نأثير هو احـــلال احدى السلطتين مكان الاخرى ولا شىء يدل على أن هاتين القوتين سوف يكونان أكثر قدرة عـلى اعداد الافريقيين للحكم الذاتى من القوى التى ظلت هناك منذ وقت طويل ان الاستعمار التقليدى هو المسئول عن الاخطاء والآثام التى يهـاجم من اجلها اليوم حين تثور الشعوب التى كانت موضع استغلاله ذات يوم ٠٠ ولكنه قد اكتسب أيضا خبرة ومعرفة لا يمكن تعويضهما الا بعدمضىوقت طويل ونزف كثير من الدماء والعرق والدموع وبما أننـــا متأكدون ان الاستعمار القديم لا يستطيع أن يستمر بعد ذلك وانه نوجد مبـــادىء جديدة وروح جديدة ونظرية جديدة عن العلاقات السياسية بين الناس ، وحيث اننا نقدر أنه بتطوير المصالح غير المتعلقة وليس بالثورة تستطيع أفريقية أن تقاد الى مصيرها الانسانى فيجب الا يكون هناك شك فى أن الامم الموجودة اليوم فى أفريقيه والتى لها ماضى هناك وتجربة هى التى تقدم أحسن ضمان لاعداد شعوب أفريقية للحكم الذاتى ٠

ولقد ظلت البرتغال فى أفريقية مدة أربعة قرون حتى الآن ،ومثلهذه الاقامه الطويلة التى تعتبر أطول اقامة فى كل أنحاء القارة الافريقيه والتى مكنتها دولة توقفت عن أن تصبح خلال القرون الثلاثة المــاضية سلطة اقتصاديه وعسكريه هذه الاقامة لم نكن لتستمر دون أن توجد المقدرة على الحياة مع الاجناس الاخرى ودون المعرفة العميقة بهذه الاجناس ٠

ولا أحد اليوم من سكان المستعمرات البرتغالية فىأفريقية فى مركز يسمح له بالمطالبة بالاستقلال السياسى فى الحال دون أن يتعرض للمأساة التالية ـ العودة الى البربرية مع القضاء على أعضاء الاجناس الاخرى التى تعيش هناك وذبحهم أو ابتلاعهم فى الحال بوساطة واحدة من القوى التى تتطلع اليوم الى مراكز جديدة فى القارة ٠ وطبعا ليس فى صالح الشعوب الافريقية أى حل من تلك الحلول وعلى كل حال فان مثل ذلك الابتلاع قد يخدم مصالح قوة أخرى والحل المؤكد الحل الذى يقـــدم اعظم الضمانات الانسانية هو الذى يضمن وضع العراقيل فى الطريق الذى تريد البرتغال الحرة أن تتبعة لتنفيذ مهمتها فى تحرير أقاليمها واقامة مجتمع متحد حينئذ سوف يصبح هو النتيجة الطبقية لجوار وحياة مشتركة استمرت أربعـة قرون حتى الآن ٠

اتحاد جنوب أفريقيا

يبدو جنوب افريقيه كما لو كان منعزلا وهو قابع فى موقعه بطرف القاره ومدنه الكبيرة مثل جوهانسبرج ودربان وكابتاون ومناجمه الغنيه وحدائقه الجميلة ومزارعه البديعة تجعل من اتحاد جنوب أفريقية أقرب البلاد الافريقية الى الغرب كما يبدو أنها تحميه من امواج الازمات التى تتدفق قادمة من الشمال ولكن الحوادث الاخيرة قد بينت أن الاتحاد هو أرض الغضب الاعمى والحزن وسكانه العشرة ملايين من السود وثلاثة الملايين من البيض والمليون من المليونين والنصف مليون من الآسيويين يعلمون جميعا ان مشكلات جنوب أفريقية تحل اليوم عن طريق الحزم ولكنها قد تحل غدا عن طريق وسائل أخرى أكثر حزما ٠٠ والكثيرون يخشون أن يصبح من المستحيل أن يسود السلام الاتحاد ٠

ان ايجاد حلول لمشكلات جنوب أفريقيه هذه المشكلات التى تمتد جذورها لاكثر من ثلاثة قرون مضت هي تاريخ الاستعمار الابيض هناك ، لن يكون سهلا ولم يستطع المسئولون فى لندن « قبل أن يخرج الاتحاد من الكومنولث » ان يفعلوا شيئا لتهدئة المشكلات العنصرية التى تكمن فى أعماق مأساة جنوب أفريقية ولكن من المحتمل أن تؤدى الآجراءات شبه الرسمية مثل مقاطعة بضائع الاتحاد والتهديد بوقف استثمار رءوس الاموال الاجنبية هناك الى التأثير على السياسة العنصرية الرسمية ومن الواضح انه لن يكون هناك حل سهل لمشكلات الاتحاد المعاصرة على حين ترفض الاغلبية غير الاوربية بشدة قبول سياسة التمييز العنصرى وفى الوقت نفسه تبدو الاقلية البيضاء مصممة على عدم السماح للافريقيين أن يصبحوا مواطنين ذوى حقوق متساويه وفى أماكن أخرى من أفريقية يبدو هناك أمل فى التقريب بين الطرفين وعقد صلح بينهما وفى أفريقية البرتغالية قد يبدو هذا الامل بعيدا ولكن اتحاد جنوب أفريقية يبدو كأرض مخيفة لا يمكن أن يتم فيها هذا الصلح والتقارب الا بمزيد من المآسى والدماء ٠

وحين نقرأ المقالات الآتيه ستبدو لنا طبيعة الموقف المحتم القاسى واضحه جليه ٠

وكاتب المقال الاول ورث فيرست وهو صحفى وكاتب سياسى وأحد زعماء المؤتمر الوطنى لجنوب أفريقية أما م٠د٠سى دىوتميل الذى كتب المقال الثانى فهو وزير شئون البانتو (الافريقيين) فى حكومة الاتحاد وأخيرا يكتب المقال الثالث رونالد سيجال الروائى والصحفى ومنشىء ورئيس تحرير صحيفة جنوب افريقية ـ يصدرها الآن من المنفى خارج الاتحاد ـ وهى واحدة من أكثر الصحف الافريقية تأثيرا ٠

جنوب افريقية اليوم

بقلم
ورث فيرست

اذا كنتم قد واجهتم مشكلاتنا نفسها تصرفتم كما نتصرف نحن الآن — هذه هي الحجه التي يرددها البيض في اتحاد جنوب افريقية دفاعا عن سياسية بلدهم ولقد جعلهم التأكد من أن بلدهم أصبحت محل سخط العالم حساسين ذوى طباع حادة · واعلانات حقوق الانسان التي تنادى بالفرص المتساوية للجميع وميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان والاتفاقيات المتتابعة التي عقدتها منظمة العمل الدولية كل هذا عظيم جدا ويمكن أن يطبق في بلاد أخرى ·· ولكن ليس في جنوب افريقية لان هناك في الطرف الجنوبي من القارة يوجد مجتمع متعدد العناصر مجتمع معقد تجتاز فيه المدنية الغربية اختبارا عصيبا ·

وأفريقية الجنوبية تعتبر نفسها هي المنار الذى يرشد الى طريق المحافظة الدائمه على السيادة البيضاء فوق القارة · وقد أتت حكومات وذهبت أخرى وتشكلت أحزاب ثم حلت ولكن سياسة السيطرة البيضاء قد ظلت ثابتة لم تتغير ان أعضاء حكومة الوطنيين الحالية هم أكثر المدافعين عن السيادة البيضاء تطرفا وقد بدأ وضع أسس سياستها قبل سنة ١٩٤٨ بكثير حين تشكلت الحكومة تحت رئاسة مالان · والسياسة الرسمية التي تحكم العلاقات بين الجماعة المسيطرة المكونة من ثلاثة ملايين أبيض وبين الاغلبية الافريقية التي تبلغ عشرة ملايين هذه السياسة تسمى اليوم أبارثيد ولكن أطلق عليها من قبل وفى فترات مختلفة أسماء التفرقة و « الوصاية » وصيانة الحضارة البيضاء والتطور المقسم أو الموزع وسواء أكانت تسمى التفرقة أو الوصاية وسواء أكان ذلك في أيام حكومة سمطس أو في عهد حكومة الوطنيين الحالية فان الجميع ينكرون وجود صفة أو مبدأ العنصرية في هذه السياسة العامة ·

والقول بأن الرجل الابيض هو المسيطر هناك أمر لاشك فيه ولكن ذلك يرجع — كما يدعى البيض — الى أنه متمدين والى أنه اسمى من غيره وليس الى أنه أبيض اللون · وقد نشأ على مر الزمان تراث شعبى من الاساطير والاكاذيب لتسويغ التفرقة العنصرية وتختلف الحكايات باختلاف الرواة والمستمعين ·

فهناك مثلا ادعاءات البيض انهم قد وصلوا الى الطرف الجنوبى للبلاد في الوقت الذى عبر فيه المهاجرون الناطقون بلغة البانتو الذين حضروا من أواسط افريقية ليمبوبر عند الحدود الشمالية للاتحاد ··· وهذا

ادعاء يبدو عاما فى نظر أحد ممثلى الاتحاد أمام الجمعيه العـــامه للامم المتحدة ٠٠ وهناك ادعاء آخر بأن التمييز العنصرى هــو أمر من الله وان التفرقه بين الاجناس قد ذكرت فى التوراة ٠٠ وهنـــاك ادعاء يقول ان الافريقيين لم يقدموا شيئا للمدنية وان الافريقيين ـ سواء فى الاتحـاد أو فى القارة كلها ـ ليس لهم تاريخ بل عاشوا فى حالة وحشيه وهناك من يقولون ان الافريقيين منحدرون عن البيض من نواح عديدة يصـــعب ايضاحها بل ان عملية التجهيل قد تضاعفت فى عهــد حكومه الوطنيين الحالية فمثلا منعت الحكومه تدريس التطور فى المناهج الدراسية لانهـا تتضمن الحديث عن وحدة الجنس البشرى ٠٠ كما اقحمت الحكومة لوائح التفرقة العنصريه فى عمليات نقل الدم وذلك حتى لا تنقذ حياة رجل أبيض بدم مأخوذ من افريقى ٠٠٠ بل لقد منع الاطباء السود من تشريح أجساد البيض ٠

ان حكايات جونان سويفت الخيالية تبدو باهتة بجـــانب الوقائع الموجودة فى جنوب أفريقية ٠٠٠ وقد قيل بحق أن حياة الاتحاد تقوم على السخريه المرة وذلك على الرغم من أن الاساطير الشعبيه التى تكون هذا العنصر لا تخلو جميعها من الرقه وان كان معظمها يشترك فى القول بأن الافريقى متخلف ومنحط وان المدنية سوف تتحطم اذا انضم الى مجتمعها كشخص مساو للابيض ٠

وهذا الادعاء فيه نقطتا ضعف : الأولى هى أنه اذا كان الافريقيون منحطين بالوراثة فلم يكن هناك داع اذن لاصدار التشريعات التى تبقيهم كذلك والمجموعات القانونية فى جنوب أفريقية مليئة باللوائح التى تقصر شغل الاعمال الفنيه على البيض وقد أضيف قسم خاص الى نظام تعليم البانتو (الافريقيين) يهدف الى الا يجد الافريقيون مكانا فى المجتمــع الاوربى فوق مستوى أشكال معينة من العمــل كما قال رئيس الوزراء فيرفورد ٠ كمـا استمرت الجهود لتحويل عدد من عمال المصانع الراقين الى الحياة القبلية من جديد ٠

ونقطة الضعف الثانيه فى هذا الادعاء الذى يقول ان المدنية سوف تتحطم اذا قبل الافريقى فيها على قدم المساواة مع الابيض هى أنه يفترض ان الاوربى لديه بعض الصفات الخاصه والمواهب التى تجعل منه متمدينا بالطبع اما الافريقى فلا يمكنه أن يقترب من المدنية حتى بعد أجيال من الحياة فى ظل المدنية ٠

وقد أثبتت التجربه الافريقية فى الاتحاد ان الفرصة لم تتسع بل قد انكمشت ٠ وبعد ان كان حق الانتخاب مكفولا للافريقيين فى المـــاضى أخذ يضيق حتى أصبح مقصورا على حق التصويت فقط ثم ضاق شيئا فشيئا حتى الغى تماما فى النهايه ٠ وانها لنتيجة مرة حققتها رســالة البيض الحضارية فى جنوب افريقية ان يظل الافريقيون بعد ٣٠٠ عام متأخرين الى درجة أنه يجب ابعادهم عن الاشتراك فى الحضارة حتى لا يفسدوها ٠

والعنصرية كانت ومازالت عاملا رئيسيا فى وسيلة فرض السيطرة فى الاتحاد وقد وضعت هذه العنصرية وزر تخلف الافريقى على عاتقه وقد وضع

حل المشكلة العنصرية فى أول الامر على أساس التخفيف من الكراهية العنصرية تدريجيا خلال فترة ممتدة من الزمان تكون من الطول بحيث تكفى لتحضير البدائين واعادة تعليم المتمدينين فى سماحة وصبر .. وقد جذب هذا الحل الانتباه بعيدا عن المشكلة الرئيسية .. ذلك ان العنصرية قد فرضت طبيعة السيطرة والاستغلال واستخدمت البيضاء النابعة من اللون لاكساب وسائل السيطرة الغموض . وحيث تعمل الامتيازات لتكون موافقة للون فانها تتدعم على هذا الاساس ولا يصبح من اسهل ازالتها أو الغاؤها وحيث تتمكن البشرة البيضاء من أن تصبح المؤهلات اللازمة للحصول على الامتيازات بحيث تمكن البيض من الاستئثار بالمهن والوظائف الممتازة وتمنحهم الحق فى احتكار التمثيل السياسى والفرص التجارية فان ربع السكان فقط يمكن السيطرة عليهم ليروا ان المحافظة على « الحضارة البيضاء » أو « السيطرةالبيضاء» شرط لبقائها واستمرار رفاهيتها .

ووجود عديد من المجموعات الجنسية فى الاتحاد قد مكن جنوب افريقية من الادعاء ان موقفها فريد فى ذاته ولا يجب مقارنتها بغيرها من الدول وفى الحقيقة تعتبر مشكلاتهامن نوع المشكلات التى تعانيها دولة تتطور بسرعة فى الميدان الصناعى مع ما يصاحب ذلك من حاجة ماسة الى قوة عمل ضخمة تؤخذ من الارض والعمل الزراعي وتوجه الى العمل المأجور وجنوب افريقية ليست هى الدولة الوحيدة التيعانت هذه المشكلات فقد كان لها نظائرها فى بلاد كثيرة بينها من كان يوجد بها ذلك الخليط من السكان يذكر أوليفر كوكس فى كتابه « الطبقات والجنس » « فى الحقيقة كان على الطبقة المتوسطة البيضاء فى أول عهد الرأسمالية أن تتحمل الاعباء وتقاسى مثلما يقاسى اليوم كثير من الملونين ويقول انه لتسويغ هذه المعاملة كانوا يزعمون ان العمال غير موهوبين بالطبيعة ومتخلفون وعلى ذلك فهم يستحقون حالتهم تلك » .

وقوانين المناطق المغلقة التى كانت ترغم الفلاحين على العمل فى مصانع انجلترا فى بدء قيام الصناعة بها تشبه نظام المعازل الموجود بالاتحاد .. تلك المعازل التى تبلغ مساحتها ١٢٪ من مساحة الاتحاد ومع ذلك يعيش عليها ٧٠ ٪ من عدد السكان والفقر المدقع بالاضافة الى الضرائب الثقيلة يرغم الافريقيين على العمل فى مؤسسات البيض وقوانين التشرد التى صدرت فى انجلترا خلال الثورة الصناعية كانت تعتبر التعطل اهانة والكسل خطيئة وكان الغرض من تعليم الفقراء ليس الثقافة وانما تعليمهم العمل والهوان وذلك بغرض حماية للنظامفى المجتمعالذى كان يحتقر الفقراء ويعتبر استقلالهم تهديدا لطبيعته الاصيلة .

وقد دخلت جنوب أفريقية ميدان الصناعة منذ جيل مضى فقط وبعد الدول القديمة المتقدمة بكثير .. دخلت فى فترة كانت دروس التاريخ فيها قد عرفت تماما وثبت ان السياسات المشابهة لسياسة جنوب أفريقية سياسات فاشلة مدمرة ولكن العنصرية قد أعمتهم عن رؤية الحالات المشابهة ودراسة الأمثلة مما لم يؤد فقط الى تحويل الانتباه

عن التكوين الاساسى لاقتصاد جنوب أفريقية ولكن الى اخفاء مدى عنف الاستغلال والمعدل المرتفع الذى وصلت اليه الثروة بغض النظر عن الرخاء الانسانى

الوقائع تنطبق على جار جنوب أفريقية الشمالى أى على اتحاد أفريقية الوسطى وعلى كل حال فقد وجد كل من الاتحادين مستعينا بالعنصرية المتعصبة والقوة الهوجاء انه من الضرورى تغيير وسائله وأشكاله متهربا هنا وهناك من ضغط الرأى العام المستنير وكاسيا السياسات القديمة أقنعة زائفة جديدة ومحاولا اخماد معارضة الافريقيين وغيرهم وايقاع الاضطراب فيها .

ولذلك فان سياسة اتحاد وسط افريقية التى تعتبر شبيهة بسياسة جنوب أفريقية الخاصة بالسيطرة البيضاء توصف بأنها سياسة « المشاركة » وانها مرحلة جديدة من العلامة العنصرية .. وفى الاتحاد الذى تدير دفة الحكم به حكومة الوطنيين قد اضطرت تلك الحكومة برغم احتقارها وعدائها للرأى العام العالمى الى تقديم سياساتها العنصرية فى ضوء مقبول .

لقد قامت حكومة جنوب افريقية المكونة كلها من البيض بعدة محاولات أصابت النجاح بدرجات متفاوتة لتجديد البيت القديم .. واذا كانت تلك الحكومة قد استطاعت ان تؤثر على بعض الذين يعيشون فى الاتحاد فتقنعهم بأنها تسير الى الامام بدلا من الخلف فذلك يرجع بدرجة كبيرة الى أن فكرة السيادة البيضاء متأصلة فى البناء الاساسى لجنوب افريقية ... وقد استغرقت احقابا كثيرة لتعمق لنفسها فيه .

ومنذ الايام الاولى لاتصال الافريقيين بالبيض وأرضهم تنتزع منهم وقد اكتملت هذه العملية وأصبحت قانونية فى سنة ١٩١٣ حين صدر أول قانون للاراضى الذى خصص لملايين الافريقيين مناطق صغيرة لا تكفى لهم أو لحيواناتهم .. وسياسة الاتحاد الخاصة بالاراضى مرتبطة بسياسة الضرائب قد أصبحت المحور الذى يرغم رجال القبائل من الافريقيين على الهجرة الى المدن للعمل بأجور منخفضة واتساع تعدين الذهب والماس والصناعات التعدينية الاخرى وكذلك تقدم الصناعة قد أدى الى الاسراع بالعملية ذلك انه طالما استمرأ الافريقيون حياة المزارعين المستقرة فلا يمكن ارغامهم على الخدمة فى المناجم والصناعة وهجرة العمل قد أدت الى تدمير الزراعة الافريقية لان المنازل تخلو من الرجال الاشداء القادمين فى أوقات كثيرة فضلا على ان هذه الهجرة قد جعلت من الاجور نظاما ثابتا . والتعديل الذى أدخل على هذه العملية هو أن هؤلاء الرجال أصبحوا زارعين مقيمين ولكنهم يعملون على زيادة دخلهم بالعمل فى المناجم أو فى المدن فترات متقطعة .

وتطور آخر أصاب السيادة البيضاء هو ادخال نظام العزل فى الحكومات المحلية فقانون المناطق المزدحمة الاول الذى قدمته حكومة سمطس سنة ١٩٢٣ ينص على مبدأ صاغته اللجنة ويقول « لا يسمح للافريقيين بدخول المدن التى هى من صنع الرجل الابيض وحده الا اذا عمل فى خدمة الرجل الابيض .. ويجب أن يرحل من هذه المدن فورا حينما تنتهى هذه الخدمة » .

ومما يزيد من مرارة هـــذه التفرقة العنصرية ما نصـــت عليه التشريعات المتوالية بعد ذلك ، فهي لا تسمح للافريقي بأن يوجد في المدينة على حسب مشيئته وهي تحرمه التدريب الفني وتغلق في وجهه أبواب اكتساب المهارات الفنية وتقيم فوارق ضخمة بين أجور الاعمـــال الفنية وغيرها ‥ وهي تقيد حرية الافريقي في الحركة التي تعتبر عـاملا حيويا في تدعيم حرية الافريقي في البحث عن العمل المجزي وقد ورثت حكومة الوطنيين هذه المظاهر من التفـــرقة العنصرية ولكنهـــا قامت بتنفيذها بقسوة ووحشية أكثر من أية حكومة مضت ٠

وقد أكسبت الســـنوات الطويلة التي فرضت خلالها التفـــرقة العنصرية على الاغلبية العظمى من سـكان الاتحـــاد أكسبت الســـيادة البيضاء منطقا جديدا للمحافظة على نفسها ، ويســـــود الآن الخوف من الافريقيين ، الخوف من انتقامهم ؛ الخوف من انقلابهم على مضطهديهم ، الخوف من انتقاض ما يسمى بالوطنية السوداء التي يجـــب على البيض أن يحصنوا أنفسهم منها ، ووسيلة الحماية الوحيدة هي سياسة التفرقة العنصرية التقليدية نفسها ‥ انها اللجوء الى العنف والقسوة للتفـادى من الاحتكاكات التي يجب أن تنشب بالضرورة في الاماكن التي تقيم بهـا أجناس متعددة ٠

والدواء الجديد الذي تعالج به حكومة الوطنيين مشكلة الافـــريقيين يخفف مرارته ما يصرح به زعماءها من أنهم سيشجعون الافريقيين على التطور بطرقهم الخاصة وهي النغمة التي تشبه النغمة التي يرددهـــا البيض للافريقيين في كل مكان من القارة من أنهم سيشجعونهم على التطور حتى يصلوا الى مرتبة الحكم الذاتي ان لم يكن الاستقلال الكامل ٠

وسياسة « البانتوستان » أو تشكيل الافريقيين لحكومات في مناطقهم ليست هي الاستجابة لمطالبة الافريقيين بالمساواة والاشتراك في ادارة البلاد بل هي محاولة لتبديد مطالب الافريقيين وايقاع الفرقة بينهم باختيار بعضهم وارغامهم على قبول النظام الجديد وتغيير هـــذه الظروف التي سمحت بقيام حكومة سياسية شفوية ٠

ذلك أنه على الرغم من كل المصاعب التي وضعت في طريقهم فقد تقدم الافريقيون ونهضوا ونسبة الأمية أقل في الاتحاد منها في أي مكان آخر في أفريقية الزنجية لان (جنوب أفريقية) هو أكثر البلاد الصناعية في القارة تقدما كما أن نظمه التعليمية هي أقدم النظم وقد ازدادت مطامح العمال الافريقيين وخاصة في الثلاثين سنة الاخيرة على الرغم من سوء مركزهـم عن ذي قبل وخاصة فيما يتعلق بالثروة المنتجة واشتراكهم في انتاجهـا وفيما يتعلق أيضا بارتفاع أجور البيض في الفترة نفسها وقد اكتســب الافريقيون المهارات الفنية على الرغم من سياسة الاتحاد العنصرية ولكن اذا كانت السيادة البيضاء لها منافع وفوائد فان هذه الفوائد ليســـت في الحقيقة سوى ثمرة للتعبيرات الفنية في مجتمع يتحول نحو الصناعة ٠

وحتى هذا التقدم نجد أنه يمثل خطرا على تكوين جنوب أفريقية . فالعملية يجب أن تتكتل وتتجمع والا فسوف يدمر معزل البيض التقليدي

وسوف يبدأ الافريقيون يغزو معازل البيض الاقتصادية ، وسوف يئول الأمر الى غزو معازلهم السياسية فهل يمكن تغيير هذه العملية ؟ وهل يمكن الاستغناء عن الايدى السوداء العاملة الضرورية ؟ هذه هي المشكلة الحقيقية التى تعانيها حكومة البيض ٠

والحل الذى تقدمه حكومة ابيض لهذه المشكلة سهل وذلك اذا كشفنا عنه ستار الكلمات الزائفة الذى يخفى طبيعته الحقيقية ! فالمعازل الافريقية التقليدية سوف تصلح أوطان السود القومية وسوف تكون سبع ولايات فى مجموعها لكل منها جهازها التمثيلى ومندوبها العام للمحافظة على الصلة بينها وبين العاصمه فى بريتوريا والسفراء القبليين فى المـــــدن لابقاء العمال الافريقيين تحت التأثير والاشراف القبلى ٠

وقد اختيرت بعض اللجان للبحث عن الاساس النظرى الذى نعام عليه هذه الولايات الخيالية فى داخل دولة جنوب أفريقية ولتضـــــع تخطيط التطور الاجتماعى والاقتصادى لهذه الاوطان الخاصة ٠

ونتيجة لذلك ألغيت البقية الباقية من مظاهر تمثيل الســـود فى البرلمان ومجلس الشيوخ وقطعت الخيوط التى كانت تربط الافريقيين بالوظائف السياسية العامة ٠

ومن الآن فصاعدا سوف يتولى الرؤساء الافريقيون والســـلطات القبلية وممثلوهم فى المدن والريف الاشراف على تنفيذ قوانين التفرقـــة العنصرية محافظة على حقوقهم القبلية القديمة كما يقولون ، وهذا ليس الا محاولة جديدة لتطوير وسائل الحكم غير المباشر الذى كان الســـبب فى فشل الادارات الاستعمارية فى أجزاء كثيرة من القارة ٠

والحكم الذاتى فى مواطن الافريقيين الخاصة سيكون حسنا جـــدا اذا كان مقبولا من سكان هذه المناطق واذا كانت اقتصاديات هذه المناطق كافية ٠٠ ولكن اتخاذ هذه المواطن فى المعازل الافريقية التى أصبحت اليوم غاصة بالسكان ومتأخرة ومتخلفة لان مهمتها طوال مئات السنين كانت أن تظل كمخزن للايدى العاملة التى تحتاج اليها المراكز الصنـــاعية التى على بعد مئات الاميال ــ اتخاذ هذه المعازل مواطن جديدة سيجعلها عاجزة عن البقاء مستقلة ٠

واللجنة التى انتدبتها حكومة الوطنيين لبحث المشكلة وظلت تعمل سنين عدة اقترحت تخصيص مبلغ ٢٩١ مليون جنيه تنفق على تحســـين المعازل خلال عشر سنوات ٠٠ ولكن لم يحظ بالموافقه كـــل ما اقترحته خاصا بالاصلاحات الاجتماعية ٠٠ وكل ماوافق البرلمان على انفاقه كل عام على المعازل هو مبلغ ١ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه فقط بل ان هذا المبلغ لا ينفق كله

وتحويل المعازل الى أوطان تعتمد على نفسها لا يتضمن فقط انفاق مبالغ طائلة من المال لن يقبل دافع الضرائب الابيض تحملها على الاطلاق كما أن الحكومة لن تطالبه بها خوفا من غضب النـــاخبين بل انه يعنى أيضا قلب الشكل الاقتصادى كله لاتحاد (جنوب افريقية) ٠

وفكرة « البانتوستان » أو « ولايات الافريقيين الخاصة » هــذه ليست سوى حيلة شيطانية تهدف الى معاملة الافريقيين معاملة الاجانب في أوطانهم وسوف تلغي حقوق الافريقيين التى مازالت باقية لهم في المدن ولن يسمح لهم بدخولها الا كعمال مؤقتين أما حقوقهم الكاملة فانهم يتمتعون بها في مناطقهم الخاصة فقط وفي تلك المناطق سوف يحكم الافريقيين رؤساؤهم الذين لن يتولوا وظائفهم الا اذا قبلوا تنفيذ ماتأمر به الحكومة .. وسيكون هذا الحكم بمقتضى القوانين التى سيصدرها برلمان الاتحاد وتشرف عليها ادارة شئون البانتو التى تشبه الاخطبوط والتى تقوم بالاشراف على أدق تفاصيل حياة الافريقيين .

وفي خلال الاحتفال بواحدة من هذه السلطات القبلية قال رئيس الوزراء للافريقيين :

« لقد كان للرجل الابيض شجرة تقدمه الخاصة التى زرعها منذ وقت طويل جدا . وقد نمت الآن وأثمرت ومن أجل التقدم لابد للبانتو (الافريقيين) أن تكون لهم شجرتهم أيضا .. اذ يجب ألا يشعروا بالمرارة والحقد حين ينظرون الى حديقة رجل آخر .. ازرعو شجرتكم الصغيرة الخاصة وسوف تنمو وتكبر !

وهذا كلام خال من المنطق السليم : ذلك أن حقيقة الامر هى أن الافريقيين هم الذين زرعوا شجرة الرجل الابيض ومازالوا يفعلون .. وهم يقضون معظم أيامهم يعملون في أراضي البيض ومناجمهم ومصانعهم فلا يستطيعون رعاية شجرتهم الا اذا انتهوا من شجرة سيدهم وبرغم ذلك يقال انهم لم يزدهروا كالبيض لانهم كسالى ولان طرق زراعتهم متأخرة وعتيقة .

وآمال حكومة الوطنيين لايقاف تقدم الافريقيين معلقة على سياسة البانتوستان ولكن القبلية لاتلائم اقتصاديات البلاد وسوف تؤخر مشروعات التقدم الوطنية ومن هنا وجدت سياسة حكومة الوطنيين معارضة من جانب قطاعات صناعية هامة وهذه المعارضة تزداد حدة كل يوم .

والمعارضة السياسية في بلد به أحزاب وجماعات سياسية كثيرة يمكن الحكم عليها بالدرجة التى تتلاءم مع نظرية جنوب أفريقية الاساسية من أن البيض يجب أن تكون لهم السيادة الكاملة .. وتدور المناقشات حول احتمال أن هذه السيادة مؤقتة أو دائمة ، وحول المدى الذى يسمح للتقدم الافريقى أن يصل اليه ، وحول درجات المشاركة التى يسمح بها للافريقيين ..

وبرامج الانتخاب الخاصة بالاحزاب البيضاء كانت تعبر دائما عن قصة طويلة من التغيير والتلاعب بالقائمة الانتخابية ومن التشدق بالالفاظ لمنح الافريقيين مزيدا من الحقوق بفرض تخفيف وقع قوانين المرور التى تحد من حرية الحركة .

ولكن ما مدى تجاوب الافريقيين مع ماسبق ؟ ان الحركة السياسية

الافريقية قد ملت هذا الخداع وضاقت بها ذرعا ٠٠ ولقد ضيقت الحكومة الخناق كثيرا على الاجتماعات والمواكب السياسية الافريقيـــة حتى انه فى السنوات الاخيرة لم تعد أية اجتماعات أو مواكب ٠

وقد انتهى تماما الاعتقاد الذى كان سائدا بين الجماعات السياسية البيضاء القريبة من الحزب الوطنى (حزب البوير) بأن غــــير البيض يقبلون فكرة استذلالهم وانهم ينتظرون بفارغ صبر أن تتغير قلوب البيض

والحق ان حدة المناقشات والمنازعات السياسية بالاتحاد قد ازدادت بنمو الحركات السياسية لغـــــير البيض والمناقشـــات حول مستقبل الافريقيين تدور باستمرار بين البيض ولكن من ناحية النضال الســياسى الافريقى ٠

والبرنامج المفصل لمطالب الملونين يتضـــــح فى برامـــج المنظمات السياسية الرئيسية للافريقيين وهو المؤتمر الوطنى الافريقى المتضامن مع المؤتمر الخاص بالهنود والمؤتمر الخاص بالملونين واتحاد العمال الوحيـــد غير العنصرى (مؤتمر «جنوب أفريقية» للديمقراطيات) ٠

ونتيجة هذه الجهود قد انعكست فى ميثاق الحرية الذى ووفق عليه فى اجتماع لمندوبى كل الاجناس فى يونيو ١٩٥٥ بعد مجهودات واسعة لمعرفة آمال الامة وآلامها فى كل مناهج الحياة وهذا الميثـاق هو أكثر المناهج السياسية تقدما فى البلاد ٠

وسياسة المؤتمر ـ وهو المسئول الأول عن الميثاق ـ تقوم على مبدأين رئيسيين يرتبط كل منهما بالآخر :

المبدأ الاول ـ هو أن البيض يحتكرون الحكومة وأن أحزاب المعارضة معرضة للقمع والكبت وغيرها من المتاعب الانتخابية والدستورية ولذلك فان الامر سيحتاج الى معجزة لادخال أيه تعديلات على السياســـة الوطنية عن طريق البرلمان ٠

والمبدأ الآخر ـ هو ما ورد فى ديباجته من أن (جنـــوب أفريقية) ينتمى الى كل من يعيشون فيه بيضا وسودا ولا تستطيع أية حكـــومة أن تدعى السلطة الا اذا كانت تستند على رغبة كل أفراد الشعب ٠

والميثاق عبارة عن تسجيل للمآسى التى وقعت وهو كذلك اعـلان للمطالب الاساسية التى يطالب بها المؤتمر ٠٠ والجزء الاكبر منه مطالبة بالحقوق التى تم الاعتراف بها كجزء من ميراث كل البشر فى عصرنا الحديث وهو يتضمن المطالبة بأن تكون حقـوق الجميع متســـــاوية بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العنصر فـلا يســـجن أحـــد دون محاكمة وأن يحفظ القانون حق الجميـــع فى الكلام والعبـــادة ولقـــاء بعضهم لبعض وأن تحترم حرية العاملين فى تكوين اتحادات عمل ، وأن يصبح التعليم اجباريا ومجانيا وعلى قدم المساواة لكل الاطفال ، والامية عند الكبار يجب القضاء عليها عن طريق خطة حكوميـــة لتعليمهم ، وأن تعنى الدولة بكبار السن واليتامى والعجزة والمرضى ، وان تلغى الاماكن المخصصة لاقامة الزنوج ، وكذلك تلغى القوانين التى تحطم العـــائلات

وتفرقها ، وان ينتهى حاجز اللون فى الرياضة والحياة الثقافية وأن تقوم الدولة بوضع وتنفيذ قانون للصحة الوقائية ٠

وهكذا تتوالى المطالب خلال الاقسام العشرة الرئيسية والست والخمسين مادة من مواد الميثاق ٠

والميثاق لايعترف بالنظرية التى تقول أن التعليم يجب أن يكون من المؤهلات اللازمة لممارسة حق التصويت وان الناس المتأخرين فى المجتمع يجب أن يعدوا لحمل المسئولية المدنية قبل أن يعهد اليهم بها ٠

والميثاق لا يقترح على غير البيض أن يهتموا بالحصول على مطالبهم العاجلة كالمسكن الطيب والاجور المرتفعة والخدمات الاجتماعية بدلا من الاهتمام بالتصويت ٠ وسياسة الاتحاد ترى فى الحقوق السياسيةضمانا ضد استمرار المشرعفى الاعتداء على مصالح أغلبية السكان ٠٠ كما خلا الميثاق من أى اقتراح باجراء اصلاحات صغيرة فرعية أو طلب تعديل هذا القانون أو ذلك من قوانينالتفرقة العنصرية كما سيحدثه ذلك من تغيير حيوى فى الموقف العام للتفرقة العنصرية ٠

ولكن ٠٠ كيف يمكن تغيير طابع السيادة البيضاء التى تبلغ من العمر ثمانمائة سنة ؟

ان الميثاق يذكر فى مادة من مواده الاقتصادية : كل الناس سيكون لهم الحق فى الاتجار حيث يختارون وأن ينتجوا ويعملوا فى كل الحرف والمهن والوظائف ، ولكن مجرد التفوه بالحقوق واعلانها دون أن يحدث أى تغيير فى نظام الاشياء الذى يجعل هذه الحقوق مقصورة على البيض لا يجعل لهذه التصريحات كبير جدوى أو فائدة ٠

والمؤتمر يتبع سياسة تطالب بالقضاء على الفقر ومنع مصادرةالاراضى واستبدال الاكواخ والاحياء القذرة بمساكن واحياء لائقة وضمان الاجور المتساوية للاعمال المتساوية وانهاء هجرة الايدى العاملة وتشغيل الاطفال والعمل بعقود ٠٠

وكل هذا يتوقف على تحطيمالطابع الاجتماعىالاقتصادى الذىيسود البلاد ٠٠ والذى يشكل هذا الطابع هو الاحتكارات التى تحتكر صناعة تعدين الذهب مرتبطة بالمصالح الصناعية الاخرى كذلك ملاك المزارع الواسعة وهم جميعا يتحكمون فى الثروة القومية للبلاد ٠

ويطالب الميثاق أيضا بحفظ الثروة القومية للبلاد وبنقل ملكية الثروات المعدنية والبنوك والصناعات الاحتكارية الى الشعب كله ٠

وتأميم صناعة تعدين الذهب والاحتكارات الصناعية واعادة توزيع الارض تلك الخطوات الضرورية لحل المشكلة الرئيسية الخاصة برفع مستوى أفراد الشعب من غير البيض ليست من خصائص الاشتراكية فقط ٠ ولذلك فان الميثاق لم يطالب على الاطلاق برسم برنامج اشتراكى والمؤتمر يهدف فى الميثاق الى عرض آمال كل الطبقات والجماعات المتطلعة الى الحرية فى اتحاد (جنوب افريقية)

***

والسبب في تعقد الموقف فى (جنوب افريقية) يرجع الى أنهـا لاتدار بوساطة قوة مسيطرة من وراء البحار بل بوساطه مستوطنين بيض يقيمون فى قاعدة محليـة آمنة ويؤيدهم البريطانيون والامريكان ومستثمرون آخرون من وراء البحار ٠٠

وبما ان الاستقلال الكامل لاية دولة جديدة فى أفريقية يعنى فهم روابط التبعية السياسيه والمالية فان حرية الاغلبية العظمى من الشعب فى الاتحاد تعنى كذلك انهاء السيطرة القديمة بكل آشكالها ٠

وحركة المؤتمر فى اتحاد (جنوب افريقية) ليست حركة قومية سوداء خالصة ٠٠ ذلك أن الحريات التى يطالب بها الميثـاق هى لكل الذين يعيشون هناك مهما كان جنسهم أو لونهم ٠

واحدى المفاجئات فى الموقف احرج بالاتحاد هى أن حركة غيرالبيض ومطالبهم انسانية كلها وأنها لا تدعو الى عنصرية سوداء كرد فعل للنظام الحالى البغيض ٠

وحركة المؤتمر لا يمكن ان تغلق نفسها فى داخل اطار ضـيق من البرلمانية السياسية لانها لم تكرس نفسها لذلك ٠٠ ولقد بنت قوتها من خلال المعارك السياسية مستعملة أساليب المقـاومة السلبية والمقـاطعة والاضرابات والمظاهرات الجماعية ٠

ولا تعنى وسائل الكفاح هذه أن حركة المؤتمر لانقدر أن التفـكير السياسى لابيض قد غير من أساليبه ، فبينما يحتمل الا تطرأ تغـييرات كبيرة على مقاومة الملونين لمحاولات البيض اعاقة تقدمهم نجد أن مقاومة البيض ولأى تغيير يمكن أن تضعف ، ذلك أن البيض قد وجدوا أن القوانين الكثيرة التى صدرت للحد من حريات الملونين وتقييد حركتهم السياسية قد حدت من حريات البيض أيضا ٠٠ وأصبحت الحكومة تسـمى معارضيها من البيض بأنهم ليسو من (جنوب افريقية) وأنهم غيروطنيين

وقد لوحظ حدوث تطور فى الفكر الاوربى فى السنوات الاخـيرة منذ تكوين جماعات كحزب الاحرار والاطار الاسود والمؤتمر الديمقراطى والجذب التقدمى الذى انشق من الحزب المتحد ومثل الحركات التى تدعو الى سياسة العناصر المتعددة والمعارضة لحكومة الوطنيين ٠

والسبب فى ظهور هذه الحركات هو أن بعض البيض فى (جنـوب افريقية) بدءوا يؤمنون أنه ـ وان كان التمييز العنصرى يجلب لهـم اليوم فوائد مادية عاجلة ـ له عواقب خطيرة ، (فجنوب افريقية) كدولة تعتبر احتمالات التوسع الاقتصادى كبيرة هائلة ـ أصبحت النظم الاقطاعية الظالمة التى يسير عليها البيض تعوق من حركاتها وتشمل تقدمهـا كما أن التفرقة العنصرية وارهاب الملونين يعملان على تآكل المجتمـع الابيض وتحطيمه ببطء ٠٠ ذلك المجتمع الذى يطبق قوانين تهدد آدمية الافريقيين بدعوى ابقائهم فى أماكنهم ٠

والبيض فى (جنوب أفريقية) وهم متربصون خلف أبوابهـم

ونوافذهم المغلقة خائفون من اليوم الذى سيجرفهم فيه الطوفان ويتأثرون بالاتهامات التى يوجهها اليهم العالم الخارجى وقد بدءوا يتيقنون الضعف المتزايد الذى يطرأ على موقفهم .. لقد أصبح الرجل الابيض فى أفريقية يحمل على عاتقه عبئا جديدا .. هل سيتمكن من التفادى من النتـــائج المترتبة على طريقته فى الاستعمار وسط عالم أصبح ينبذ تلك النظريات والطرق ؟

وقد يستطيع الرجل الابيض أن يحافظ على مكانته فى الاتحـــاد بعض الوقت ولـــكن من يعرف الى متى ؟ وعلى كل حـــال فان أى تغيير فى الاتحاد سيكون مرجعه الى ثلاثة عوامل على الاقل : النمو المتزايد فى قوة لحركة الملونين السياسية وتسرب الضـــعف الى النظام الحالى فى (جنوب أفريقية) وأخيرا اتجاهات الرأى العـــام فى باقى أجزاء افريقية وفى العالم الخارجى .

السياسة المتبعة نحو البانتو فى جنوب افريقية

بقلم : م · د· سى· دى وت نل
وزير شئون البانتو بحكومة اتحاد (جنوب افريقية) (١)

هناك بعض الحقائق التاريخية المعينة كامنة خلف التوزيع الحالى للسكان فى اتحاد (جنوب افريقية) ·

(أولا) ان التاريخ قد قسم (جنوب افريقية) الى مناطق للبانتو ومناطق للاوربيين فعندما وصل المستوطنون الاوربيون الأوائل منذ أكثر من ثلاثة قرون لم يكن البانتو يحتلون الارض وكان السكان الاصليون فى منطقة « الرأس » هم الهوتنتوت والبوشمن وقد وصل كل من الاوربيين والبانتو فى وقت واحد تقريبا تحركت قبائل البانتو من وسط افريقية جنوبا وتحرك الرواد الاوربيون تجاه الشرق والشمال وعندما تقابل الاثنان فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وقعت بينهما مصادمات حدود ·· ولكن بعد ذلك احتل الاثنان الارض بسلام فاستقر البانتو فى المناطق التى احتلوها أولا وكذلك الاوربيون فى الاراضى التى استولوا عليها منذ اللحظات الاولى ·· وبذلك فان كلتا الجماعتين لها مطالب تاريخية وحقوق أصيلة فى الارض التى يجب الاحتفاظ بها ليعيش عليها الاثنان بسلام ·

(ثانيا) لقد حمى القانون الاراضى التى تشغلها قبائل البانتو الكثيرة وذلك لمنع البانتو من أن يصبحوا طبقة من البروليتاريا التى لا أرض لها فلا أحد غير البانتو يستطيع تملك الارض فى هذه المناطق ·· ولو لم توجد هذه الحماية لكان الاوربيون المتحضرون الاغنياء قد اشتروا هذه الاراضى من البانتو البدائيين ولكان هؤلاء قد تحولوا حينئذ الى مجرد عبيد ·· فالبانتو فى (جنوب افريقية) لم يطردوا الى البرية والارض القفراء ·

---

(١) فى هذا المقال الذى كتبه الوزير الابيض المسئول عن اضطهاد الافريقيين وغيرهم من الملونين نقرأ كل الحجج التى يبرر بها البيض أعمالهم الوحشية ·· ولعل المقال السابق الذى كتبه مستر رث فورست والمقال التالى الذى كتبه مستر رونالد سيجال وهما افريقيان · يعانيان ظلم البيض — فيهما الرد الحاسم على هذه الحجاج الواهية التى يسوقها وزير الاضطهاد ·

والمناطق التى يختص بها البانتو وحدهم تتضمن بعضا من أجود الاراضى الزراعية فى (جنوب افريقية) التى تقع فى الشرق حيث الامطار الغزيرة والتربة الخصبة ولو كان الاوربيون قد منحوا بعض الملكيات الصغيرة والكبيرة فى مناطق البانتو لكان الاقتصاد هناك قد أصبح فى مستوى أعلى مما هو عليه الآن ٠٠ ولكن المبدأ الذى وضع هو ألا يصبح البانتو مجردين من ملكية الارض ٠

وأكثر من ذلك فان الارض الاضافية الواقعة على حدود مناطق البانتو كانت ومازالت ملكا للبانتو وبرلمان الاتحاد يوافق كل عام على تخصيص مبالغ كبيرة لشراء أرض تضاف الى ١٥٫٣ مليون فدان المخصصة للبانتو بمقتضى صندوق البانتو وقانون الارض الصادر فى سنة ١٩٣٦ وقد أضيف أكثر من عشرة ملايين فدان حتى الآن من هذه الاراضى الاضافية الى المساحات المخصصة للبانتو والاراضى تشترى من المزارعين الاوربيين الذين تقع أراضيهم على حدود مناطق البانتو بسعر السوق ٠٠ وقد بلغت مساحة مناطق البانتو ٦٤٣٤٨ ميلا مربعا ٠

وبالمقارنة يتضح أن مساحة أراضى البانتو تبلغ قدرا أكبر من مساحة انجلترا وويلز (٥٨٨٢٥) ميلا مربعا وتقترب من أربعة أضعاف مساحة الدانيمارك (١٦٥٧٦) ميلا مربعا وقدر مساحة النمسا مرتين (٣٢٣٧٣) ميلا مربعا وتقل قليلا عن مساحة ولايات انجلترا الجديدة السبع بالولايات المتحدة (٦٦٦٠٨) أميال مربعة وقدر مساحة ليبيريا مرة ونصف المرة (٤٣٠٠٠) ميل مربع ٠

ومناطق البانتو ما زالت متخلفة الى حد كبير ٠٠ ولكن جهودا كبيرة بذلت لتحسين وسائل الزراعة البدائية التى يتبعها البانتو ولزيادة مقدرة الارض على استيعاب أكبر عدد ممكن من السكان والمصادر الطبيعية لهذه المناطق مخصصة لاستعمال البانتو وحدهم وسوف تستغل بوساطتهم فقط وستوجه رءوس أموال البانتو للعمل على تقدم هذه المناطق ٠٠ وقد كانت البداية حين أنشئت مؤسسة الاستثمار الخاصة بالبانتو لمد يد العون الى رجال الاعمال منهم وقد روعى عند وضع الخطط اللازمة لرفع مستوى مناطق البانتو المقدرة الاستيعابية للأرض ومدى نشاط السكان ٠ وهذا يتفق مع النتائج التى توصلت اليها وكالات الأمم المتحدة من أن الاراضى المتخلفة لا يمكنها أن تتقدم أسرع ممايستطيع سكانها استيعابه من مساعدات ٠

وسياسة التطور المختلف على حسب الاجناس المعروفة عادة باسم الابارثيد (أو التفرقة العنصرية) قائمة على أساس التجربة التقليدية (فى جنوب أفريقية) تجربة تشجيع تطور الاجناس التى توجد بينهم فروق شاسعة فى الثقافة والحضارة ٠٠ وهذا هو الطريق الوحيد لضمان المستقبل وتحقيق العدالة فيما بين البيض وغير البيض (بجنوب افريقية)

ومن الناحية التاريخية نجد أن البانتو ليس لهم ادعاء سابق فى هذا الجزء الذى تشغله الامة الاوربية وكذلك نجد أن الاوربيين ليس لهم حق سابق فى المناطق التى يشغلها البانتو ٠

والاوربيون ليسوا مستعمرين جاءوا الى جنوبى افريقية لفترة محدودة فمنذ ثلاثة قرون كان هدف الاوربيين الذين هاجروا الى المنطقة وخاصة من دول غرب أوربا هو تكوين أمة واحدة وقد قطعوا علاقاتهم بأوربا ولم يصبح لهم موطن آخر أو أرض آباء أخرى غير (جنوب افريقية) واذا كانت مطالبهم فى هذه الأرض موضع المناقشة باستمرار فانهم لم يعد لهم هدف سوى أن يجعلوا منها مكانا آمنا لاولادهم انها ميراثهم الوحيد .

ومن حسن الحظ أن هناك سياسة خاصة بتقدم هذه الاجناس المختلفة ولن يشوب هذه السياسة الاحتكاك والتصادم الذى صاحب التطور المختلف أو التقسيم الذى حدث فى البلاد المستقلة الاخرى بالعالم وهذا الخليط الموجود فى (جنوب افريقية) مكون من ملكية البانتو المنفصلة ومن قوة الارض الفائقة ومن التجمع الطبيعي للعناصر الجنسية المختلفة ذات الفروق الثقافية المتباينة ليس فقط بين الاوربيين والبانتو بل بين جماعات البانتو انفسهم الذين يتحدثون لغات مختلفة ولهم عادات وتقاليد متباينة ومن ناحية الاجناس نجد أن توزيع البانتو فى (جنوب افريقية) كالتالى : ٨ر٢ من المليون من الهوسا و ٥ر٢ مليون من الزولو ومليون من السوتو الجنوبيين ومليون من السوتو الشماليين و ٨٠٠ ألف من الستوانا و ٤٠٠ ألف من الثونجا و ٣٠٠ ألف من السوازى ومائتى ألف من الفندى ومائتى ألف من الديبيلى و ٣٠٠ ألف من جماعات أخرى أصغر .

والهدف من سياسة التطور الخاص بكل فريق هو أن يسير البانتو المتخلفون نحو الحكم الذاتى تحت اشراف أوصيائهم من البيض فى نطاق مجتمعاتهم الخاصة فى مناطقهم وسوف تعطى للبانتو حقوقهم كاملة فى مناطقهم بمجرد أن يصبحوا قادرين على ممارستها وسوف يدربون على تحمل المسئوليات التى تصاحب الحكم الذاتى . وآمال الفرد من البانتو محصورة فى نطاق مجتمعه الخاص بحيث انه حين يحقق تقدما فانه لن يترك قومه وشأنهم بل سيستخدم مهارته الجديدة المكتسبة فى خدمة قومه .. وبذلك فان هذه السياسة تهدف الى تزويد الفرد من البانتو بوظائفه الخاصة ، ومنحه مجالا أوسع لخدمة مجتمعه ، مما سيمكنه من التقدم والتطور بالسرعة التى تؤهله لها قوته الموروثة .

وعملية رفع مستوى مجموعات كاملة من المتخلفين ـ وليست قلة مختارة منهم فقط كما يحدث غالبا فى البلاد المتخلفة الاخرى ـ هى عملية بطيئة بطبيعتها ، حيث أن استعداد هؤلاء لها يكون ضعيفا . وعلى كل حال ، فالفرص متاحة للافريقيين بقدر ما يستطيعون انتهازها وفى حدود الوسائل المتاحة ، حيث أن البرلمان لا يمكن أن يعتمد مبالغ الا فى حدود سنة قادمة فقط .. وبذلك لايمكن تحديد وقت محدود ليحصل المتخلفون على تحررهم المعنوى . على حين يقول البعض ان الحكومة لاتفعل الا القليل جدا من أجل البانتو ، نجد آخرين يقولون ان الحكومة تنفق أكثر مما يجب لرفع مستوى البانتو ولكن كل حكومة لا يمكنها ان تتحرك الا بالسرعة التى يحددها لها الناخبون عن طريق نوابهم بالبرلمان .

والمراقبون الاجانب الذين حضروا الى (جنوب افريقية) بعقول مفتوحة ، صرحوا بان جهود الحكومة لرفع مستوى البانتو فى كل ميادين النشاط الانسانى ليس لها مثيل فى العالم ولكن الحكومة لا تسدى بذلك احسانا الى الافريقيين وهى لا تؤمن بالوطنية المحدودة الضيقة وعند هذا المستوى نجد أن الافريقيين لم يفـدموا ما فيه الكفاية ليسيروا أمورهم بأنفسهم فما زالوا يحتاجون الى ارشاد الاوربيين . والمسئولون من البانتو يرجون ألا يتركهم الاوربيون متخلفين .

وقد أعطيت الفرصة للبانتو ليبدءوا فى تعلم كيف يديرون شئونهم الخاصة فى كل نواحى الحياة والمخربون الذين يريدون اشعال النار فى مصحة أقيمت لنفعهم الخاص بوساطة السلطات الاوربية ومن أموال دافع الضرائب الاوربى سوف يفكرون مرتين قبل أن يحاولوا تدمير مستشفى تقيمه سلطة من البانتو وبأموال جاءت من جيوبهم كدافعى ضرائب .

وبذلك فان روح سياسة «التفرقة العنصرية» هى اشباع الافريقيين بروح الاستقلال والاعتماد على أنفسهم حتى يستطيعوا أن يفعلوا ما يشاءون .

والتقدم الملحوظ فى حياة البانتو قد تم بنشاط البانتو فى كل الميادين فى ميادين الحكم الذاتى والتعليم والتقدم الاقتصادى وفى الخدمات الاجتماعية فمن الناحية السياسية نجد ان البانتو يتقدمون نحو الحكم الذاتى بكل الامكانيات والوسائل التى تملكها حكومتهم والتى تسمح بها درجة تقدمهم والنظام القبلى المعروف لدى البانتو قد اتخذ أساسا لتقدمهم بنفس الوسيلة التى اتخذت بها طرق أخرى بسيطة كأسس لنظم الحكومة الاوربية .. مع وجود فارق واحد هو أن تقدم البانتو قد سار بخطا أسرع وقد روعيت ثقافات وتقاليد البانتو فى خلال تطورهم السلمى من البدائية الى المجتمع .

والنظام القبلى عند البانتو له جذوره وقد ظل قرونا عديدة محكوما بقوانينه وعرفه وقطع هذه الجذور بضربة واحدة سيكون معناه انهيار معنويات البانتو وجعله عاجزا عن الاقتباس من تراثه الثقافى .. ولذلك فان تطوير النظم الحكومية لدى البانتو بدأ بتلك النظم التى يعرفونها ، وبالطبع ستكون هناك اقتباسات واضافات فيما يختص بمطالب الحضارة الحديثة وسيجرى ادخالها بمعونة الاوربيين .

والقول بان (جنوبى افريقية) تحاول أن تعيد البانتو الذين تحرروا من النظام القبلى الى ذلك النظام قول غير صحيح فعدد قليل جدا من البانتو الذين تحرروا كاملا من النظام القبلى .. فمثلا لا يوجد حتى الآن فرد واحد من قبيلة الزولو لا يستطيع الكلام بلغة قبلية أو لا يمارس عادة من عاداتها وحين نطور النظام القبلى ونطبعه بطابع المدنية ونطوره الى قوة تقدمية فلا يعنى ذلك أن نتوقع من البانتو المتعلم العودة الى القهقرى فى القرى القبلية والاكواخ الطينية ولكن ذلك يعنى العودة الروحية الى تراثه ، عاداته الكامنة فى اعماقه حتى لا يضيع بالنسبة الى قومه ومتى يساعدهم

ويعمل على رفع مستواهم بمهاراته الجديدة المكتسبة وبهذا سوف يخرجون من الظلام الى النور ٠

ولذلك فان بدء عملية التقدم هو النظام الذى نما عبر السنين بين البانتو وقانون سلطات البانتو الصادر سنة ١٩٥١ يشكل الأساس الذى تقوم عليه سلطات البانتو القبلية أو الاقليمية ونظام البانتو يبدأ من السلطة القبلية البسيطة عند قاعدة الهرم الى السلطة الاقليمية (الاقاليم هى مجموعة القبائل) فى المنتصف وأخيرا الى السلطة العليا التى تضم عدة أقاليم فى القمة والتى تعتبر برلمانا للبانتو تتعاون فيه مختلف السلطات لممارسة سلطة التشريع لمنطقة ضخمة هى الوطن القومى للبانتو وهذه المستويات الثلاث من الحكم الذاتى قد ترتبط بسلطة محلية خاصة وبسلطة اقليمية وبسلطة قومية ٠

وقد نشأت حتى الآن ٣٧١ سلطة قبلية واجتماعية من بين عدد يتردد بين ٤٥٠ الى ٥٠٠ وبالاضافة الى ذلك أنشىء ٢٦ مركزا و ٢٣ مديرية واقليم واحد وهذه السلطات تتكون كلها من أعضاء ورؤساء وسكرتيرين من البانتو وقد أنشئت أيضا سلطات للضرائب والقضاء المدنى والجنائى وفى المستقبل ستتسلم كل الوظائف الادارية الموجودة فى أوطانهم القومية للبانتو أنفسهم ٠

وحين يتعلم البانتو حكم أنفسهم سينسحب الاوربيون تدريجيا من مراكزهم كاوصياء وحينئذ ستكون الحكومة ممثلة بقومسيريين عموميين سيكون عملهم الرئيسى هو تقديم النصائح والارشادات مع الاهتمام بالتطور والنظام الادارى ٠

والبانتو الذين يعملون بالمناطق الاوربية سوف يرتبطون بأوطانهم عن طريق ممثلين محليين منهم كانوا موظفين ثم هم يتلقون الآن تدريبا خاصا٠٠ وهؤلاء الذين يعملون بعيدا عن أوطانهم القومية سوف يمارسون حقوقهم السياسية وغيرها فى أوطانهم نفسها وفى المستقبل سيتركز البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى الكامل للبانتو فى أوطانهم ٠

ومن الناحية السياسية والاقليمية ستسير الوحدات القومية للبانتو وللبيض نحو تكوين كومونولث خاص (بجنوب افريقية) يقترب فى الشكل من الكومنولث البريطانى ومن الناحية الاقتصادية سوف يكون هناك تعاون بين الوحدات المختلفة على طريقة التعاون القائم بين الدول الغربية ٠

ولا يسمح للتجار من غير البانتو بالدخول الى أوطان البانتو والتجار الاوربيون الذين صرح لهم فى الماضى بالاتجار هناك سوف ينقلون مؤسساتهم تدريجيا الى اشراف أشخاص من البانتو حينما تسنح الفرص المناسبة والبانتو اصبحوا يظهرون اهتماما متزايدا بالتجارة ففى السنوات السبع بين ١٩٥١ و ١٩٥٨ تضاعف عدد التجار من البانتو فى مناطقهم الخاصة من ٣٨٠٠ الى أكثر من ستة آلاف تاجر ٠

والقدرة الشرائية المشتركة للبانتو فى جنوبى أفريقية تقدر بمبلغ يتردد بين ٤٠٠ و ٥٠٠ مليون جنيه سنويا وهى تتزايد باستمرار ٠

والبانتو يشاركون فى الرخاء والاستقرار العامين لجنوبى افريقية ومستوى معيشتهم يرتفع بنسبة أسرع من النسبة التى يرتفع بها مستوى الافريقيين فى أجزاء أخرى من القارة والظروف المعيشية الطيبة والأجور الأكثر ارتفاعا ، واحتمالات العثور على أعمال قد جذبت آلافا من البانتو من أجزاء أخرى من افريقية الى الاتحاد ٠٠ ويقدر عدد الغرباء من البانتو الموجودين بالاتحاد بحوالى ٧٥٠ ألف شخص سواء أكانت هجرتهم قانونية أم غير قانونية ٠

والتطور بأوطان البانتو سيتقدم فى خطوط ثلاثة الاول وهـــو يتضمن وسائل تطوير الزراعة والغابات والتعدين والثانى هـو تنشيط التجارة واقامة الصناعة وتكوين طبقة من رجال الاعمال الافريقيين والخط الثالث من خطوط التطور يتم حين يدخل البانتو فى أعمال النقل والمهن العلمية والادارة والهدف العام لهذه الخطة هو تشجيع الانتقال من مرحلة الحياة البدائية الى مرحلة الاقتصاد والحديث المتنوع ٠

وليس معروفا بشكل عام ان البانتو فى (جنوب افريقية) يتقاضون أجورا أعلى ويقيمون فى مساكن أرقى ويتناولون غذاء أحسن ويتعلمون تعليما أرقى من معظم الافريقيين فى بلاد أخرى كثيرة فمثلا نجـــد أن (جنوب افريقية) هى على رأس الدول الواقعة جنوبى الصحراء التى تهتم بحل مشكلات البانتو المقيمين بالمدن وتزويدهم بالمساكن وحينما شرع فى اعادة بنـــاء كوريا اهتمت وكالات الأمم المتحدة بطرق بناء المســاكن الرخيصة المحترمة التى تتبعها (جنوب افريقية) وعن طريق الانتاج الكبير والتنظيم الحسن وخفض تكاليف مواد البناء الاساسية ٠ أمكن القضــاء على مشكلة الاكواخ الافريقية والاحياء الحقـــيرة التى كانت تضمها ففى ظرف ثمانى سنوات بنى مائة ألف مسكن مصنوعة من الطوب والاسمنت المسلح فتهيأت سبل الاقامة لحوالى نصف مليون شخص ٠

وفى ميدان تعليم الاميين كان تقدم الافريقيين مذهلا وحتى الى عهد قريب كان اتحاد (جنوب افريقية) هو البـــلد الوحيد (جنوب الصحراء) الذى يدرب محليا عددا لا بأس به من البانتو الفنيين لان الاحسان يبدأ بالبيت كما يقولون (وجنوبى افريقية) تحتـــاج الى المثقفين من البانتو لرفع مستوى زملائهم من سكانها وقد ارتبط الاوربيون فى الاتحـــاد بسياسة تهدف الى تعليم وتمدين البانتو وبينما كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة من البانتو سنة ١٩٤٦ هى ١٢٪ أصبحت النســبة الآن ٣٥٪ وفى نهاية هذا القرن ستكون الامية قد انتهت تماما ٠

ومنذ صدور قانون تعليم البانتو سنة ١٩٥٤ زاد عدد أطفال البانتو الملتحقين بالمدارس من ٧٠٠ ألف الى ٣٠٠ر١ر٠٠٠ تلميذ أى انه تضاعف تقريبا فى خمس سنوات واليوم بها ٦٣٣٦ مدرسة للبانتو يديرها قسم

تعليم البانتو وبالاضافة الى هذا العدد بهـــا مئات من المدارس الرومانية الكاثوليكية وغيرها من المدارس الخاصة وبها أكثر من ٢٥ ألف مدرس من البانتو بالاتحـــاد وستة آلاف طالب فى ثلاث وأربعين كلية للمعلمين يتخرج منهم ألفا معلم كل عام وقد أنشئت ثلاث كليـــات جامعية كاملة بأوطان البانتو حيث نجد ان جزءا من هيئة التدريس من البانتو المؤهلين تأهيلا علميا كاملا ولأول مرة يصبح للبانتو حيـــاة جامعية كاملة من النواحى الاكاديمية والثقافية والاجتماعية وبالاضافة الى هذه السبيل يتلقى عدد كبير من البانتو مناهج تعليمية كاملة فى جامعة (جنـــوب افريقية) وهى جامعة تلقى دروسها بالمراسلة ٠

والانفاق السنوى على تعليم البانتو فقط يبلغ ٨,٥٥ مليون جنيه منها ٦ر٥ ملايين جنيه تساهم بها الدولة ويتيح قانون تعليم البـــانتو للآباء لاول مرة رأيا حقيقيا فى تعليم أولادهم فقد أنشئت لجنة منهم فى كل مدرسة ومجلس مدارس فى كل منطقة ويوجد الآن حوالى ٤٨٣ مجلس مدارس و ٤١٠٠ لجنة مدرسة تتكون من الآباء والامهات ورجال الكنيسة وغيرهم من المهتمين بالتعليم ٠٠ وهذا النظام يمكن النظر اليه أيضـــا كبرنامج لتعليم الكبار من البانتو وتدريبهم على الاعتماد على النفس وعلى ممارسة الديمقراطية ٠

ان سكان (جنوب افريقية) من البانتو يجدون العناية من المهد الى اللحد والعجزة وغير القادرين والمرضى والمسنين هم موضع اهتمام أقسام الخدمة الاجتماعية التابعة للدولة ووسائل العناية بهـم تتخذها الحكومة المركزية والادارات الاقليمية والسلطات المحلية والكنائس ومنظمات خاصة أخرى ومسئوليات الدولة فى هذا الخصوص تتجلى فى المعاشات والعلاوات والهبات والامداد بالخدمات الضرورية ونوادى الشباب ٠٠ الخ ٠ وينفق سنويا مبلغ أربعة ملايين جنيه على معاشات العجزة والعميان والمساعدات التى تقدم لغير القادرين من البانتو والخدمات الصحية التى تقدم للبانتو تكلف الحكومة والادارات الاقليمية والبلدية حوالى ١٤ مليونا كل عام ٠٠ وفى كل المراكز الرئيســـية توجد المستشفيات والعيادات الطبية حيث يستمتع البانتو بالعلاج المجانى والعمال الصناعيون من البانتو يشتركون فى مشروعات خيرية وتأمين ضد الحوادث ٠٠ والمناجم تمد عمالها بخدمات طبية كاملة ومجانية فى مستشفيات وعيادات طبية ممتازة ٠

وواحدة من أكبر المستشفيات المتخصصة فى العالم هى مستشفى براجوانات لغير الاوربيين بالقرب من جوهانسبرج حيث بها ١٨٢ طبيبا متفرغا (منهم ١٦ من البانتو) وألف ممرضة من البانتو وسيرتفع قريبا عدد الاسرة بالمستشفى الى ٢٥٠٠ سرير وما ينفق على هـــذا المستشفى سنويا يبلغ ٥ر١ مليون جنيه تقدمه ادارة الترنسفال المحلية ويحـــد البانتو حاليا حوالى اثنى عشر ألف ممرضة وعدد لا بأس به من الاطبــ كلهم من البانتو ٠

وقد شنت حملات ناجحة ضد بعض الامراض ٠٠ كما صرفت ملايين الجنيهات لمكافحة مرض السل الرئوى ٠

وما زال كثير من البانتو ينظرون الى العلاج الحديث بشك عميق ولكن الممرضات والاطبـــاء من البانتو يتمكنون تدريجيا من التغلب على أعمال السحر والشعوذة ٠

وفى هذا الاتجاه وغيره يسير البانتو عبر الطريق نحو الاعتماد على النفس فى اطار مجتمعهم الخاص ٠

الوجه الآخر للعالم الحر

بقلم
رونالد سيجال (١)

يخالجنا بعض الشك فى أن الولايات المتحدة قد اكتشفت افريقية. وخلال الجولة التى قمت بها فى الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات فى أواخر سنة ١٩٥٨ ، وجدت هناك اهتماما ودهشة ، واعتقادا بأن أفريقى الغد سيكون أمريكيا أيضا ، وأن مايحدث فى أكرا ولاجوس يتردد صداه في بوستون ومونتجومرى • لقد بدا لى حينئذ ، ولا يزال يبدو لى، أن هذا الاعتقاد يتسم بالجهل والبساطة ، وأنه يتطلب حدا أدنى من الجهد والتدخل • ومع وجود بعض الاستثناءات فان من تحدثت معهم فى ذلك الوقت وهؤلاء الذين قرأت تقاريرهم ومقالاتهم ، كانوا يبدون أنهم لا يهتمون الا بالحوادث السطحية وان اهتمامهم موجه الى افريقية غير المعقدة ، الى تلك الدول السوداء التى ساعدوا أو سيساعدون قريبا على استقلالها • ان اهتمام الشعب الامريكى كله بافريقية يبدو كشعور طيب بعيد المنال ، أو كأمانى طيبة من صديق للعائلة عند الاحتفال بالاستقلال.

ان افريقية السوداء تستطيع أن تكون شاكرة ومعترفة بالجميل للحماس الذى تقابل به انتصاراتها ، وأن تتطلع الى الهدايا فى أغلفتها اللامعة التى تقدم لها فى هذه الاحتفالات •

ولكن اذا توغلنا فى المساحات الشاسعة من القارة ، لرأينا افريقية ذات الاجناس المتعددة التى تعانى وتقاسى • تلك المناطق من القارة التى تتحكم فيها أقليات من المستوطنين البيض • وبالنسبة للسكان السود فى تلك المناطق ، يعتبر الاستقلال هو نهاية النضال الاعزل الذى لا نهاية له •• ذلك النضال الذى يجب أن تستمر فيه متحملة آلاما قاسية وتجاهلا من الجميع • وهذه الشعوب تعتقد أن الولايات المتحدة تكتفى بابداء مظاهر القلق بين الحين والآخر • ولكن ليس هناك شىء سهل •• فالشعور الطيب يجب أن يتحول الى عمل ايجابى للاصلاح •• والشخص لا يستطيع أن يكتسب أصدقاء دون أن يجعل من بعض الناس أعداء ألداء له فى داخل الوطن وخارجه •

---

(١) تلقينا مقال مستر سيجال قبل وقوع حوادث شاربفيل بوقت قصير • وبعد وقوع تلك الحوادث هرب مستر سيجال الى انجلترا • وعلى كل حال فان هذا المقال يدل على أن أحداث شاربفيل لم تكن غير استمرار لحوادث المقاومة المشابهة •

ولا يمكن أن يوجد الا عدد قليل من الشعوب نعـــانى من اليأس والهوان مثلما يعانى شعوب أنجولا وموزمبيق .. هؤلاء الافريقيون الذين نسيهم الجميع وهم يرزحون تحت عبء الحكم البرتغالى ، ولم يتقدم أحد بعد لهذه الشعوب بوعد بالاســـتقلال أو الحرية ولذلك فان على الولايات المتحدة أن تنتظر طويلا لتؤثر فيهم ، وتتخذ من بينهم أصدقاء لها ، اذا كانت بعد تنتظر احتفالات الاستقلال كمناسبة لتقديم مشاعرها الطيبه · ومع ذلك فانها اذا أرادت التدخل فى هذه المناطق قبل ذلك ، فلا بد من أن تصطدم بسالازار ·· والبرتغال التى يحكمها سالازار هى واحدة من القلاع التى يعتمد عليها العالم الحر للدفاع عن نفسه ضد الهجوم ·· وعلى ذلك فانه اذا أرادت الولايات المتحدة أن تثبت وجودها فى افريقية ، فسوف تصطدم ببعض حلفائها هناك ·· واذا أصرت على التضحية بمبدأ الاستقلال الذاتى لتدعيم سياستها وخططها الاستراتيجية ، فانها ستربى فى افريقية شعورا بالمرارة ضد الغرب سيؤدى الى تعكير صفو الســـلام العالمى لعشرات السنين القادمة · ومن المهم أن نشير الى أن عملية الاختيار التى يجب عليها القيام بها لن تكون بين أفريقيا وأوروبا ، ولكنها ستكون عملية اختيار بين جانبين من شخصيتها هى ·· وبما أن الولايات المتحدة سوف تساعد على تقرير مســـتقبل أفريقية ، فان الشىء الذى لا يمكن تفاديه فى هذه العملية هو أنها ستقرر بالتالى مستقبلها هى ·

وفى جنوبى افريقية تصل المأساة الى قمتها · وفى كل يوم يصل الامريكيون الى هناك لفتح فروع جديدة لبنوكهم وبيـــوت استثمارهم ، وانشاء امتدادات جديدة لصناعاتهم والاستثمار الامريكى المبـــاشر فى الاتحاد يفوق مجموع كل ما تستثمره أمريكا فى باقى أنحـاء القارة ·· وهو يبلغ ، بالاضافة الى الارصـــدة المقنعة التى تأتى عن طريق بورصة العقود بلندن ، مبلغا يقل قليلا عن بليون دولار ·· والرقم الرســـمى للاستثمار الامريكى المباشر فى (جنوب افريقية) هو ٢٥٠ مليـــون جنيه انجليزى أى حوالى ٧٠٠ مليون من الدولارات · وحكومة (جنوب افريقية) مؤدبة مع رأس المال الأجنبى الذى يغطى كل نواحى الاقتصاد هنـــاك ·· وكما هو معروف ، فان (جنوب افريقية) لا تنتج فقط معظم حاجة العالم من الذهب وجزءا كبيرا من حاجته من اليورانيوم وكل حاجته من الماس تقريبا ، ولكن حكومته تقف أيضا الى حد التعصب ضـــد الشيوعية · وبرغم ذلك ، فهناك يسيطر ثلاثة ملايين أوربى على عشرة ملايين افريقى ومليون ملون وأقل قليلامن نصف مليون آسيوى.. وهذه السيطرة ليست سيطرة كاملة فحسب ، ولكنها مدمرة أيضا · ويرجع هذا الاعداد الى أن الافريقيين ليسوا مجردين من كل الحقوق الانتخابية ومن كل الحريات المدنية (الا بعض المظاهر الشكلية التافهة) فقط ولكنهم أيضا مكبلون بقوانين تصاريح المرور ، سواء كانوا فى ظل العبودية الصامتة بالمزارع التى يملكها الاوربيون ، أو يموتون جوعا ببطء فى المعـــازل الخانقة فالمليونان ونصف المليون من الافريقيين الذين يقيمون بالمدن ، مجردون من كل الحقوق ومن أى ضمان للاقامة أو العمل · وبما أن القانون يمنعهم من الاضراب ، ويفرض عليهم عقوبات صارمة اذا ارتكبوا هـذا الخطأ ،

تصل الى فرض غرامة قدرها ٨٤٠ شلنا والسجن ثلاث سنوات ، فانهم يتعرضون دائما للطرد أو سحب تراخيصهم ، الأمر الذى يجعلهم هدفا لاعادتهم الى المعازل المزدحمة الفقيرة ، أو ارسالهم الى مزارع البيض ليعيشوا هناك منسيين محتقرين . لا يتجاوز أجر العائلة منهم المكونة من سته أشخاص أو سبعة . ٢٥ شلنا فى الشهر ·· ومن هنا يتضح سبب مخاطرة الافريقيين بالاقبال على المدينه · وتعريض أنفسهم للسجن ، اذ يبلغ متوسط الاجر هناك ٤٥ شلنا فى الشهر · ولا نعجب بعد ذلك حين تذكر التقارير أن ٩٥٪ من الافريقيين المقيمين بمدينة دربان يعيشون فى أقل مستوى حتى أن أجورهم لا تكفى لشراء ما يحتاجون اليه ، من الخبز فقط ، وان معدل الوفيات بين الاطفال الافريقيين يتردد بين ٢٠٠ر٣٠٠ فى الألف ·

وقد يبدو عجيبا أن يظل الافريقيون على قيد الحياة فى ظل هذه الظروف المليئة بالاضطهاد واليأس · ولكن من بين كل شعوب القارة يرد الملايين العشرة من الافريقيين المضطهدين بجنوبى افريقية كلْ ضربة بأقسى منها ·· فبالرغم من العقوبات الوحشية التى يفرضها القانون، فقد نظم الافريقيون بالمدن ، ١٧٣ اضرابا غير قانونى خلال ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ ــ وأفلحوا فى رفع أجورهم فى تسع منها ·· وبالرغم من أن أحسن زعماء المؤتمر الوطنى الافريقى قد نفوا أو سجنوا ، فقد نجح المؤتمر فى تدبير ثلاث ثورات من أقوى الثورات التى واجهها الطغيان ، وذلك خلال السنوات الثلاث الماضية : ففى سنة ١٩٥٧ ، نظم الافريقيون مقاطعتهم الجماعية للأتوبيس وأخذ مائة ألف افريقى يقطع كل واحد منهم مسافة عشرين ميلا سيرا على قدميه كل يوم ، بدلا من أن يدفع مليما آخر زيادة على الأجر المعتاد ·· وقد تعرض الافريقيون خلال هذا الاضراب لأعمال العنف من جانب الحكومة التى اعتقلت ١٤ ألف افريقى فى منطقة جوهانسبرج وحدها ، وبرغم ذلك ، فقد أفلح الافريقيون فى حمل الحكومة على ابقاء تعريفة الركوب على ما كانت عليه ، وعلى سحب الامتياز من شركة الأوتوبيس · وللاحتجاج على اتهام زعماء المؤتمر بالخيانة العظمى نظم الافريقيون اضطرابا لمدة يوم واحد امتنعوا فيه عن الذهاب الىاعمالهم ، وبقوا فىمنازلهم ، وكان ذلكيوم ٢٦ من يونيو سنة١٩٥٧ · وعلى الرغم من تجمعات البوليس ، ومن تهديدات أصحاب الاعمال للعمال الافريقيين ، فقد تم الاضراب بنجاح تام وبلغت نسبة الاستجابة بين الافريقيين فى جوهانسبرج وميناء اليزابيث ٧٥٪ ·

واحتجاجا على زيادة الضغط والمهانة التى يلقاها الافريقيون فى مزارع البيض ، وعلى ازدياد عدد الافريقيين الذين ينتزعون من السجون حيث يمضون مدد العقوبة المحكوم عليهم بها لعدم حملهم تصاريح المرور ، ليرسلوا حيث يعملون بالسخرة فى مزارع البيض ــ دعا المؤتمر الافريقى الى مقاطعة وطنية عامة للبطاطس . وهو المحصول الرئيسى الذى تنتجه مزارع البيض بفضل العمال المسخرين ·· وفى خلال أسابيع ووجهت البلاد بفائض لم يسبق له مثيل من البطاطس ، فقد رفض الافريقيون فى جميع أنحاء البلاد أكل البطاطس ، حتى حين قام موظفو

الحكومة بتوزيعها مجانا فى الريف ، على حين رفض التجار الهنود أن يشتروها على الاطلاق ..

وفى نهاية الموسم ، حينما انتهت المقاطعة كان لدى الزراع البيض آلاف لا تحصى من أرطال البطاطس .. وأثبتت القوة الشرائية للجماهير غير البيض فعاليتها وقوتها .. والبطاطس ـ كما هو معروف ـ طعام رئيسى لدى الجماهير ذوى الدخل المنخفض فى جنوب افريقية ، ولذلك فان نجاح المقاطعة يجب أن ينظر اليه من ناحية التضحيات التى بذلت فيه .

والمجتمع الافريقى فى (جنوب افريقية) مجتمع متقدم .. انه أكثر مجتمعات القارة ثقافة ومهارة من الناحية الصناعية .. ولكن هذا التقدم لا يرجع بكامله الى الخبرة التى اكتسبها طوال ثمانين عاما من التصنيع المتزايد ، وخمسين عاما من النضال السياسى المنظم .

والدعامة الاساسية لحركة المؤتمر (التى تتكون من اتحاد المؤتمر الوطنى الافريقى ، والمؤتمر الهندى لجنوب افريقية ، ومنظمة الشعوب الملونة بجنوب افريقية ، ومؤتمر الديموقراطيين البيض ، ومؤتمر اتحادات العمال بجنوب افريقية) هى روح المشاركة بين الافريقيين والجالية الهندية .. وقد أحضر الهنود الى جنوب افريقية منذ مائة عام ليعملوا فى مزارع القصب فى ناتال ، ثم أخذوا فى العمل والاتجار حتى ازدهروا وأصبحوا هم الطبقة الثانية بعد البيض مباشرة .. وبازدياد قوتهم الاقتصادية فى الناتال ، ازداد أيضا حقد البيض عليهم واضطهادهم لهم . وارتفعت الاصوات الحاقدة تطالب باعادتهم الى أوطانهم ، أو على الأقل بتجريدهم من ممتلكاتهم لمصلحة البيض من البوير والانجليز الذين تضامنوا معا فى سبيل اضطهادهم ..

وقد أجابت الجالية على هذا الاضطهاد بمقاومة تقترب من حالة الحرب ، وكان يغذيها ويشجعها المهاتماغاندى نفسه . فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى .

وفى سنة ١٩٤٦ استصدرت حكومة سمطس من البرلمان قانون الاراضى المملوكة للآسيويين الذى حرم على الهنود امتلاك أراض جديدة . ولتعويض الهنود عن حقهم المسلوب فى تملك الأراضى ، أعطت الحكومة المقيمين منهم فى الترنسفال والناتال حقا مقيدا للانتخاب .. فأصبح لهم ثلاثة ممثلين من البيض فى مجلس النواب واثنان فى مجلس الشيوخ ، واثنان فى مجلس الناتال الاقليمى ، ولكن لم يسمح للهنود أن يمثلهم أى واحد منهم .. ولذلك بدأت المقاطعة الشاملة لهذا التمثيل المزيف والذى اشترك فيه عدد كبير من أعضاء الجاليات المختلفة .

وكان على الجالية أن تعرف أن مستقبلها يتوقف على تضامنها مع الجاليات الاخرى ، وليس على عملها المنفرد .. كما أن ثورة الافريقيين ضدهم فى دربان سنة ١٩٤٨ ، دلت الهنود على ضرورة التضامن السياسى مع الافريقيين على كل المستويات . وعندما رأى الهنود كيف أن قانون

مناطق الجماعات.قد أقصاهم تماما من الناحية الاقتصادية اذ أعطى الحكومة سلطة كاملة لابعادهم من المراكز التجارية الى أماكن تبعد عنها أميـالا كثيرة ، تضامنوا تضامنا كاملا مع الافريقيين ، وأخذوا يمدونهم بأموالهم وخبرتهم السياسية وخلال السنوات الاخيرة ، وناتال كلها متكاتفة ضد قوانين التفرقة العنصرية المتزايدة ، فقد انضم الهنود الى الافريقيين فى المظاهرات التى قاموا بها فى الشوارع ، وفى ثوراتهم ضد الطغيان .

والجالية غير البيضاء الوحيدة التى ظلت مغـلوبة على أمرها هى جالية الملونين : ففى خلال حركة النضال التى قامت سنة ١٩٥٢ ، حينما اعتقل ثمانية آلاف افريقى وهندى لخرقهم قوانين الاجناس ، ظـل الملونون بعيدا عن حركة النضال ..

ونظرا لأن البيض قبلوا اقامة بعض العلاقات الضعيفة بينهم وبين الملونين ، كما أعفوهم من قوانين تصاريـح المرور ومن القوانين الاخرى التى تضطهد الهنود والسود ، كما كان للملونين الذكور حتى عهد قريب حق الانتخاب ومبادىء الحقوق الصناعية وتنظيم أنفسهم فى اتحـادات عمال وحق الاضراب ـ نظرا لذلك كله ، فانهم كانوا أحسن حـالا من الافريقيين ومن الهنود الذين كانوا موضع احتقارهم ، وخوفهم أيضا .

ولكن منذ أن تولى الوطنيون (الحزب الوطنى الذى يمثل البوير) الحكم سنة ١٩٤٨ ، أخذت الحكومة تنتقص حالتهم المدنية : فقيـدت حقوقهم الانتخابية تقييدا خطيرا ، كمـا حطمت قوتهم العاملة بتقسيم اتحادات العمال الى فروع للبيض وفروع للملونين ، جاعلة كل السلطة فى أيدى البيض . وقد خولت المادة السابعة والسبعون من قانون تنظيم الصناعة ، وزير العمل ، الحق فى قصر أعمال معينة أو مهن معينة على البيض .. وفعلا تم قصر أربعة أقسام رئيسـية من صناعة الملابس على البيض .. ولذلك فان العمال الملونين فى صناعة المـلابس معرضون للطرد واحلال البيض محلهم ، والبحث عن أعمال غير فنية بأجور تقـل كثيرا عما كانوا يتقاضونه .

وقانون مناطق الاجناس الذى كان يطبق على الافريقيين والهنـود قد امتد أخيرا الى الملونين أيضا ، فأصبح المقيمـون منهم فى غربى اقليم الرأس معرضين للبيع الاجبارى لمنازلهم ومحالهم ومنشآتهم وكنائسهم ، والتخلى عن مراكزهم الاجتماعية ، والرحيل من المكان الذى عاشت منهم فيه أجيال متعاقبة الى مكان بعيد ، يكاد يكون فى حالة متأخرة تماما . وحتى فى الاماكن التى رفضت فيها المجالس البـلدية تطبيق التفرقة العنصرية بين البيض والملونين كما حدث فى مدينة الكاب ، قامت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين قسرا فى التجـارة ومناطق الاقامة وفى الاوتوبيس وعلى الشاطىء (ومن المحتمل أيضا تطبيق سياسة التفرقة العنصرية فى مناطق الصيد على طول الشاطىء) .

وسوف يمر بعض الوقت قبل أن يتحـول الملونون عن رضائهم ، الذى استمر قرونا ، نتيجة للعقوق الذى قوبل به اخلاصهم ولا شك أن

انضمام الملونين الى الميثاق المعقود بين الافريقيين والهنود أمر لامفر منه ٠٠ وقد بدءوا الآن يشعرون بالتعب والارهاق من كثرة الاحتجاج على تحول سياسة البيض تجاههم ٠٠ وبدءوا كذلك يتلمسون طريقهم نحو المقاومة الطائفية التى يتبعها الآخرون من غير البيض ٠ ففي نوفمبر سنة ١٩٥٩ أبعدت الحكومة مسز اليزابيث مافيكنج رئيسة اتحـــاد عمال مصانع حفظ الطعام للافريقيين الى معسكر أقيم حديثا لاعتقـــال السيدات فى « ساوتى » فى المناطق الحارة بجنوب غرب الكاب ٠٠ ولكن قبل أن تنجح فى الهرب الى باسوتولاند تاركة خلفها عشرة أطفال من أولادها الأحـــد عشر وزوجها ــ ربما الى الأبد ، ــ اندلعت الاضطرابات فى منطقة «بارل» المخصصة لغير الافريقيين ، والتى أقامت بها مسز اليزابيت مـدة ثلاثين عاما متواصلة ، فكانت السيارات تقذف بالحجارة وتضرم فيها النيران ، وكان السائقون البيض يهاجمون ، والمحال التجارية تدمر ، حتى اضطر البوليس الى التدخل ومعه مدافع الاستن والسيارات المصفحة ٠٠ وقتل واحد وجرح أحد عشر ٠٠

وذهل البيض فى جنوب افريقية حين أفادت التقارير الرسمية أن معظم من قاموا بالاضطرابات كانوا من الملونين ٠٠ وهكذا فان تمـــادى البيض فى فرض سيطرتهم على العناصر الاخرى ، جعلت هـــذه العناصر تناهضهم وتنقلب عليهم ، كما أن قسوتهم فى اســـتخدام ما بأيديهم من سلطة قد أفسد هذه السلطة ٠

وفى هذه الاثناء ، ظل البيض قابعين فى قلعتهم المغلقة ، يحميهـــم القانون الذى أصدروه ، والبوليس المسلح الذى وضعوه حولها ، وباصدار القوانين التى تقيد حرية الملونين الانتـــخابية ، وتسلب الاناث حرية التصويت ، أكد الحزب الوطنى الحاكم سلطته ، طالما استمر حكم البيض٠ ومن المتحالفين مع الافريكانز (البوير) البيض الذين ينحدرون من أصل بريطانى والمقيمون بالمدن ، والبالغ عددهم مليونا وربع المليون أو مايزيد٠ وقد يكون هؤلاء ممن يكرهون ادارة البوير وحكمهم ، وخاصة عنـــدما يستخدم هـــؤلاء سلطتهم لزيادة أنصبتهم فى المشروعات الكبرى التى يسيطر عليها البريطانيون ، ولكن هؤلاء البيض البريطانيين ســـوف ينحنون لسلطة البوير ، وسوف يساعدونهم فى عملية اضطهاد غـــير البيض ٠

وهؤلاء الذين يتكهنون بوقوع انقسامات سياسية داخل صـــفوف البوير أنفسهم يتوقعون فى كل مظهر من مظاهر القلق الذى يـــبدو فى صفوف المثقفين من البوير انتكاسا عن الطريق العريض الحالى المؤدى الى الاجرام والقسوة ، هؤلاء يتجاهلون العاملين اللذين أسس الحزب الوطنى الحاكم اليوم ــ (حزب البوير) ــ عليهما سيادته : فالافريكانز ــ أى البوير ــ فى (جنوب افريقية المعاصرة) ، لم يعودوا كما كانوا من قبل ، «الملتحين» أصحاب دعوات الاصلاح المطتين جيادهم ، الممسكين بالمسدس فى يد وبالانجيل فى اليد الاخرى ٠ ان مؤيد الحزب الوطنى اليوم ، هو العامل ذو الياقة المنشاة الناصعة البياض فى السكة الحديدية أو المشرف

فى المنجم أو راعى الغنم ، أو الزارع ، أو الشـــاب المغرور الذى يرتدى سترته الجلدية ويركب سيارته ٠٠ وهم جميعا يعتمدون فى ضـــمان رفاهيتهم الاقتصادية وسيطرتهم السياسية على ابقاء «الكافر فى مكانه» والكافر هنا هو الافريقى ٠٠

والحق أنه لولا الايدى العاملة السوداء الرخيصة ، التى يرجـــع الفضل فى توفيرها الى قوانين التفرقة العنصرية ، ولولا الامتيازات التى تحميها مدافع الاستن الرشاشة ، والتى تتمتع بهـــا القلة البيضـــاء المسيطرة ، لكان الزارع والعامل من البوير قد اكتشفا سريعا أن الخبز لا يمكن أن يأتى هكذا سهلا مغطى بالزبد من أول وهلة ، وأن تضامنهما مع الحزب الوطنى هو تضامن الخوف ٠٠ وطالما حافظ الحزب الوطنى على قوته فى ابقاء الافريقيين خاضعين مستذلين ، فان الطبقات السابقة من البيض سوف تسرع الى صناديق الانتخاب لتؤيده وتصوت لمصلحته ٠

ومع ذلك ، فليس هذا كل شىء ٠٠ ففى أعماق ذاكرة أى شخص من البوير تكمن صورة الدائرة المكونة من العربات التى تجرها الثيران ، التى كان أجدادهم يحتمون خلفها ويطلقون الرصاص على أعدائهم حتى يهزموهم ٠٠ وبرغم أن الاعداء كانوا يحيطون بهم من كل جانب : الانجليز فى الجنوب ، والافريقيين فى الشرق والشمال ، ومتاهة من الحقـــد فى الغرب ٠٠ استطاع البوير أن يعيشوا وأن ينتعشـــوا ، وأن ينموا فى نفوسهم تعصبا للجنس لا يقهر ، وان كانوا قد أصيبوا بالمرارة من جراء هزيمتهم فى حرب البوير ٠

ولقد عملوا على التضخيم من الاخطاء التى ارتكبت فى حقهم ، وهم يحاولون فى الوقت نفسه التخفيف من الاخطاء التى ارتكبوها فى حـــق الملايين من غـــير البيض التى هزموها ليضطهدوها ٠٠ ولـــكن الجروح ما زالت تنزف ٠

والالتجاء الى العنف أصبح طابع هؤلاء الذين لا يرتاحون لمظـــاهر التحرر من السيطرة البيضاء ٠٠ فبعض الوزراء الذين يتبعون الكنيسة الهولندية ، وبعض المثقفـــين البارزين من الأساتذة فى جامعات البوير ، يحبذون بشدة ما يلجأ اليه البوليس من استعمال عصيه ومدافعه ٠٠ وهم بصفتهم أعضاء مكتب (الشئون العنصرية لاتحـــاد جنوب افريقية) ، يطالبون بنوع أشد من التفرقة العنصرية ، يترتب عليه أن تمتلىء المعازل بعدد أكبر من الافريقيين ٠ وهؤلاء البوير يعلمون أن مجتمعهم يعتمد فى تقدمه على استغلال جهود الافريقيين ، حتى ان عـــدد العمال الافريقيين الذين يعتمد عليهم اقتصاد البيض هناك يبلغ حوالى ستة ملايين نسمة ٠٠ كما أنهم يتجاهلون ذلك الوعى السياسى الذى ينمو نموا كبيرا بين صفوف الافريقيين فى الاتحاد ، وخارج الاتحاد ٠

وقد تفتقت عبقرية مستر فيرفورد ، رئيس وزراء الاتحاد ، عن خطة جديدة ليكبح جماح الافريقيين ويؤكد سيطرة البيض وسيادتهم عليهم ٠٠ وذلك عن طريق اعادتهم بالجملة الى الحياة القبلية الاولى ٠٠ فقانون

سلطات الباسو يبيح له أن يضع جموع الافريقيين فى معــازل ، تحت اشراف بوليسه المختص . وأن يختار لهم زعماءهم القبليين الذين يرضى عنهم ·· وقد قام فعلا بطرد الزعماء الذين عارضوا سياسته ، ووضــع آخرين ممن يستطيع أن يحركهم كالعرائس مكانهم ·· مهما كان الافريقى قد ابتعد عن حياة القبيلة ومهما كانت درجة ثقافته ، ومهما كانت المـدة التى قضاها فى المدن أو فى الخارج حتى أصـبح ينظر الى موطن أجداده كما ينظر الانجليزى أو الامريكى المهذب الى قرية أجداده المنسية ، فلا بد أن ينتسب الى قبيــلة ، وأن يوضع تحت اشراف ووصاية زعيمها الذى اختارته الحكومة ·

وقد تمادى مســتر فيرفورد فى سـياسته العنصرية بمجرد أن تولى السلطة · فبمقتضى السلطة المطلقة التى يخولها اياه قانون مناطق الجماعات لم يكتف بالتفريق بين البيض والسـود ، وبين الافريقيين والهنود وبين الهنود والملونين ، بل قسم المنـاطق الافريقية الى معـازل قبلية مفرقا بين الهوسا والزولو ، وبين الزولو والفندا ، وبين الفندا والسوانا ، وبين السوانا والسونو ·· بل انه أقام كليات قبلية لكل من هذه المعــازل القبلية · وخطوته القادمة هى انتداب سفراء من هؤلاء الزعماء الى المدن ليشرفوا على أبناء قبائلهم فيها ·

ولقد كانت سياسة دكتور فيرفورد الجديدة السبب فى تدعيم المعارضة البيضاء الجديدة · وحتى عهد قريب ، كانت المعارضة البرلمانية الوحيدة هى التى يمثلها الحزب المتحد ، الذى أنشأه وتزعمه سمطس ·· ولكن هذا الحزب لا يختلف عن الحزب الوطنى ، حزب البوير ، بل ان سمطس هو الذى وضع قواعد العنصرية التى سير عليها البوير اليوم ، فسمطس هو الذى تبنى قانون منـاطق الجماعات ، حين أصدر قبله قانون تمـلك الآسيويين للأراضى ، وما قام به البـوير من سلب حق الانتخاب من الملونين ، انما هو سير على الطريقة التى اتبعها سـمطس حين سلب الافريقيين هذا الحق ، وقت أن كان نائبا لرئيس الوزراء · والطرق التى يتبعها البوير لقمع حركات الافريقيين وغيرهم ، تتبع الأساليب الوحشية التى كان يتبعها نفسها الحزب المتحد حين كان يمســك بزمام الامور ·

وعندما تولى الحزب الوطنى الحكم سنة ١٩٤٨ اعتمد الحزب المتحد على شخصية سمطس ليسترد أغلبيته البرلمانية من جديد ·· ولكن سمطس مات فرأى الحزب حينئذ أنه يجب أن يتبع سياسة واضحة للمعارضة تتيح للناخبين فعلا فرصة للاختيار ·· وقد قام الحزب المتحد بمعارضة القوانين التى كان البوير يقدمونها للبرلمان ، والتى كانت تنقص من حرية البيض المدنية ·· ولكن انتخابات سنة ١٩٥٣ أثبتت أن البيض راضون عن التضحية بحرياتهم المدنية ، مادامت الحكومة تشدد النكير على غير البيض · إذ إنتهت الانتخابات بفوز البوير أيضا ·· وكذلك كانت الحال فى انتخابات سنة ١٩٥٨ بعد أن أعلن فيرفورد سياسته الجديدة عن المعازل القبلية الافريقية ·

وكان لابد من حدوث انشقاق فى صفوف الحزب المتحد ·· كما رأى فريق من أعضائه أن أحسن طريقة لاستعادة ثقة الناخبين ، تبنى طريقــة أعنف لاضطهاد الافريقيين ·· وفعلا اتخذ الحزب قرارا فى مؤتمره السنوى

الذى عقده سنة ١٩٥٩ ، بمعارضة شراء الحكومة لاراض جديدة لاضافتها الى أوطان الافريقيين القومية (البانتوستان) لانه من الخطر على البيض أن يعطى الافريقيون أرضا وسلطة محدودة لحكم أنفسهم ٠٠ ولم يعجب هذا القرار الجناح المتحرر فى الحزب، فاستقال أحد عشر من هيئة الحزب وكونوا الحزب التقدمى ٠

واليوم ما زال (جنوب افريقيه) هو بلد الفزع والرعب ٠ وقد أصبح دولة بوليسية مثلما كانت ألمانيا النازية ، ومثل البرتغال الآن ٠ والحزب الوطنى الحاكم سيقاوم أى تغيير يطرأ على الفكر السياسى السائد الآن ٠٠ ولكن من المؤكد أن رد الفعل المضاد لهذا الحكم يقوى ويشتد ٠٠ ورد الفعل هذا لن يظهر فى دوائر الصحافه أو فى صفوف المعارضة البرلمانية ، ولكنه سيظهر فى المدن التى يقيم بها الافريقيون ، وفى المحال التى يعيش فيها الهنود ، وفى مناطق الملونين الجديدة ٠٠ ان هؤلاء جميعا سوف يشتركون متضافرين فى المعارك الجديدة ، التى تنتشر بين جماهير الزارعين الافريقيين العاملين فى مزارع البيض ، أو المقيمين فى المعازل القبلية ٠

ولقد وجد المؤتمر الوطنى الافريقى تأييدا جماعيا ، حتى فى الاماكن التى لم تكن بها قبل الآن أية تنظيمات سياسيه ٠٠ وبرغم أن الحكومه قد حلت منظمات المؤتمر فى بعض الاماكن ، فقد استمر تأييد المواطنين له ، واستمرت الاضطرابات والمصادمات التى عبرت عن معارضة الافريقيين لسياسة حكومة الاتحاد ٠٠ وقد قمعت الحكومة هذه الاضطرابات بقسوة متناهية ٠ وفى الوقت الذى أكتب فيه هذا المقال ، يوجد مئات من زعماء القبائل فى السجن ، وقد حكم بالاعدام على سنه منهم ٠ وقد زادت سياسه فيرفورد الجديدة التى تهدف الى تجميع الافريقيين فى أوطان قومية أو معازل ، من تضامن الافريقيين ، وأثارت المستكينين الى الضعف واليأس منهم، وأقدموا بشجاعة على القيام بالمقاطعات والعنف ، ويعيش الآن الرجال المسئولون عن تنفيذ السياسة الجديدة نحو البانتو فى خوف ورعب على حياتهم، وقد هوجم مؤيدوهم علنا ٠ ٠ ولذلك تقدموا الى الحكومة طالبين الترخيص لهم بحمل أسلحة نارية ٠

وفى المدن والمناطق المزدحمه تبدو قوة المعارضة الافريقية المنظمة التى تشكل أكبر تهديد للحكومة ٠ والعمال الافريقيون هم الذين يحملون فوق أكتافهم الاقتصاد الابيض كله ، ولذلك فانهم يحتاجون ، فقط الى فرد عضلاتهم ليظهروا للحكومه مدى القوة السياسية الهائلة التى يمتلكونها ٠ ومن سنة ١٩٥٧ زاد عدد العمال البيض المشتغلين فى الصناعات الخاصة من ١٢٩ ألفا الى ألفين ومائتى ألف ، أى بنسبة ٥٧,٧٪ فى حين زاد عدد العمال الافريقيين خلال الفترة نفسها من ٢٠٠ الف الى ٣٦٧ ألفا ، أى بنسبة ٨٣,٥٪ ٠

والاضرابات عن العمل محرمة بالطبع على الافريقيين ، ولكنها ليست مستحيلة والامتناع عن العمل والاضراب عن الذهاب الى المصانع والمناجم، الذى وقع سنة ١٩٥٧ ، كان كفيلا بشل الحركة الصناعية والتجارية فى جميع أنحاء البلاد ٠ وقد حقق المؤتمر الافريقى الوطنى نجاحا خلال السنوات

العشر الماضيه فى تجميع صفوف الافريقيين تمهيدا للقيام بحركه جماعيه.

وفى خلال عام ١٩٥٩ ، توالت الحركات الوطنية التى قام بهـا غير البيض وتوالت أيضا ضحاياهم الذين سقطوا ضحايا الارهاب الحكومى . فقتل أربعة وجرح أربعة وعشرون فى كاتومانور بدربان فى ١٩ من يونيه . وقتل اثنان وجرح واحد فى ماريتزبرج فى ١٥ من أغسطس ، وقتل واحد وجرح عشرون فى بارل فى ١١ ديسمبر ، وفى اليوم نفسه قتل اثنا عشر

ولاول مرة فى (جنوب أفريقية) تشترك المرأة فى مقـاومة قوانين التفـرقة العنصريه ، وذلك عندما خرجت النســاء فى ١٩ من يونيـو فى كاتمانور فى مظاهرات للاحتجاج على مد العمل بقانون تصاريح المرور الى النساء أيضـا ، وكن يصحن « عنـدما تضربون النسـاء فانكم تضربون الصخور » . وفى كل عام يقدم للمحاكمة أكثر من مليون ونصف المليون من الاشخاص . وقد ارتفع عدد الضحايا من الافريقيين من ٣٩٠ شخصا سنة ١٩٥٣ الى ٧٩٨ شخصا سنة ١٩٥٧

ان وظيفة الحكومه هى أن تحكم .. وما ذكرته قبلا يبين: هل حكومة الوطنيين فى (جنوب أفريقية) تحكم فعلا أو لاتحكم ؟.. ولكن غير البيض سوف ينتصرون فى النهاية ، مهما طال الطريق ، ومهما استلزم الامر من تضحيات .. ذلك لانه ما من حكومة تستطيع أن تستمر هكذا فى اضطهاد الشعب الذى تحكمه ، وفى استنزاف دماء ضحاياها المعذبين المضطهدين .

تم الكتاب

الدار القومية للطباعة والنشر